غموض الصحراء

الطريق الى الكفرة



الطبعة الأولى

٢٠١٦م

المملكة الأردنية الهاشمية

غموض الصحراء الطريق الى الكفرة

العميد : معاش

محمد الطيب فضل دردوق

دار الجنان للنشر والتوزيع

عمان – العبدلي - مجمع جوهرة القدس التجاري – ط(M)

- هاتف: ٤٦٥٩٨٩١ ٦ ٠٠٩٦٢ تلفاكس: ٤٦٥٩٨٩٢ ٦ ٠٠٩٦٢
- موبايل: ٧٩٥٧٤٧٤٦٠ ٠٠٩٦٢ موبايل: ٧٩٦٢٩٥٤٥٧ ٠٠٩٦٢
- هاتف السودان – الخرطوم ٩١٨٠٦٤٩٨٤ ٠٠٢٤٩
- ص.ب ٩٢٧٤٨٦ الرمز البريدي ١١١٩٠ العبدلي
- البريد الإلكتروني: **dar_ jenan@yahoo.com**

daraljenanbook@gmail.com

غموض الصحراء

الطريق الى الكفرة

العميد : معاش

محمد الطيب فضل دردوق

إهداء

اهدي هذه الإصدارة إلي أبناء بلدي الشرفاء الـذين سـقطوا شـهداء ودفنتهم رمـال الصـحراء الحارقـة في الطريـق إلـي ليبيـا أو الـذين ألتهمتهم الحيتان في البحر الأبيض المتوسط وهم يحـاولون الوصـول إلي الشواطئ البعيدة في اروبا

المخلص العميد الركن /م/ دردوق

مقدمة :.

- هذه تجربه شخصية عن وجودي لمده عام في قلب الصحراء الغربية وادي هور.جمعت فيها هذه المادة التي أحاول أن اجعل منها إصدارة تفيد الكثيرين من أبناء بلادنا في المستقبل ٠وهى تجربة شخصية بحتة في التعامل مع الأحداث في هذا الجزء الغربي الذي يهدد بلادنا بالزوال والانقراض٠

- قصدت بتدوين هذه المذكرات وجعلها إصداره يتناولها الجميع للفت نظر أبناء بلادنا لحجم التهديد البيئي الذي يأتينا من هذه الصحراء الغربية ٠ووضعت بعض الحلول لإشكاليات البيئة قد تكون مفيدة أذا تناولها المتخصصون في البيئة لمعالجة قضية الزحف الصحراوي

- أطلقت نداء بهذه الإصدارة داويا لتغيير النمط السكنى في القرى واشباة المدن في الأقاليم التي تواجه الزحف الصحراوي وهى دارفور وشمال كرد فان والولايات الشمالية٠والنمط السكنى قصدت به القطيه في الولايات الغربية والتي يجب أن تغير بمباني ثابتة وان تقود هذا العمل منظمات المجتمع المدني في تلك المناطق عن طريق التحذير وحشد الدعم لتغيير النمط السكنى٠

- أتوقع أن يسكن الناس في الصحراء من جديد لتعميرها وخلق البيئة الصالحة للعيش فيها وخاصة أنها مليئة بالموارد المائية في باطن الارض وتجربة النهر العظيم في داخل القطر الليبي وعلى امتداد هذه الصحراء نفسها دليل على وجود كميات ضخمة من الماء تحت الرمال٠

- أتوقع أن يفكر الجهاز الحكومي في نشر أعداد كبيرة من القوات وإنشاء حاميات في داخل الواحات لتامين الجزء الشمالي الغربي وربطها بطرق معبدة لتسهل عليها الحركة وإنشاء مراكز تنموية في تلك المناطق للاستفادة من جبل العطرون وواحة النخيلة كقيمة اقتصادية غير مستفاد منها ٠

- هناك كثير من المرتفعات المتناثرة في داخل هذه الصحراء ولها مغارات كانت يخيل لي أنها كانت مسكونة بقبائل ومجموعات سكانية لانعرفها لذالك أنا أهيب بكل

علماء الآثار والباحثين في هذا المجال أن يضعوا أيديهم على هذه الثروات الأثرية مثال لذلك :ـ سلسلة جبال الست، شمال شرق حمرة ألوز وجبال كجم (أبو فأس مغمض وأبو فأس مفتح) وجبل العين شمال حمره الشيخ وسلسلة جبال أمبادر وسلسلة جبال ميدوب وجبل مون حول كتم وجبل (C) (سى) وجبال مريب وسلسلة جبال كوسو وجبل راهب ،

- هناك وجود كثيف من الحيوانات البرية خاصة الغزلان بأنواعها المختلفة والنعام والطيور الجارحة وكثير من الزواحف وحيوانات أخرى غير مألوفة وغير معروفة لأكنها موجودة في هذه الصحراء وجميعها يحتاج لرعاية بمراقبة الصيد الجائر خاصة وانني لاحظت أن هناك معسكرات ضخمة للإخوة العرب من الخليج والسعودية ومصر وليبيا يأتون في مواسم معينة للاستمتاع بالصيد ،
- أريد لفت نظر سلطات الجمارك والهجرة والجوازات والجنسية لحركة إعداد كبيرة من شباب بلادنا والدول الأفريقية المجاورة في اتجاه الساحل عبر هذه الصحراء المميتة وكلهم دون أوراق ثبوتية اوتاشيرات مما يعرضهم لكثير من المخاطر وهم في هذه الرحلة الطويلة،
- أيها القارئ الكريم أن هذه الصحراء مخيفة ومرعبة ولكن في نفس الوقت جميلة ومثيرة وبها كثير من الغموض الذي تجد النفس البشرية في كشفة كثير من المتعة والإحساس بالانتصار، فقط تحتاج منا إلى صبر واهتمام وحركة دائبة لكي نتمكن من استثمار نصف الشمال السوداني الذي تركناه مهجورا وبة الكثير من الموارد والثروات في باطن الارض وعلى سطحها بقليل من الجهود ننشئ دوله في قلب الصحراء بذلك نحد من سرعة الرياح الخفيضة التي تبنى الكثبان الرملية الزاحفة التي تهدد البيئة والإنسان.

العميد الركن معاش

محمد الطيب فضل دردوق

المحور (أ)

يوليو ١٩٧٩م

الطريق إلي وادي هور قلب الصحراء ألكبري:

١/ اشتد الخلاف بين ليبيا والسودان في صدر السبعينات وحتي بداية الثمانينات حتى أوشك أن يؤدي إلي حرب بين الدولتين ٠ أنا لست بصدد الحديث عن السياسة ولكنها خلفية الموضوع الذي أود الحديث عنه وهو غموض الصحراء أو الطريق إلي الكفرة ٠

٢/ كنت يومها ضابطا برتبة الملازم اتبع لقيادة اللواء السابع بمدينة الفاشر كلفت بمهمة في أقصي شمال دارفور في وادي هور وكنت مولع وقتها بتنفيذ المهام الصعبة ٠

٣/ الفاشر قرائي الأعزاء أتلفتها الصحراء الغربية وأصبحت مدينة وسط الرمال المتحركة الناعمة ٠ ومحيط بها سلاسل الجبال من كل جهة – وتجري حولها أودية عميقة تنحدر من قمم الجبال وتجعل الحركة حولها أكثر صعوبة بين تلك الأودية العميقة ٠

٤/ والصحراء ألكبري أخذت معظم أجزاء السودان الشمالي حيث أنها تبدأ من شلا تين في حدود بلادنا الشمالية مع جمهورية مصر العربية ويمر خط الصحراء محاذيا جبال البحر الأحمر حتى تقاطع هيا وتقع ارض البطانة يمر جنوبا الخرطوم وشمالا كوستي وجنوب الأبيض وجنوب الفاشر ويمر شرق جبل مرة وشمالا شرق مدينة الجنينية حتى الطينة السودانية في حدود بلادنا مع دولة شاد ٠

٥/ هذا الشكل الذي يشبه الحرف الانجليزي يو U يتجه شمالا نحو القطر الليبي ويشبه اللسان أو رأس السهم الغير محدب والمصوب علي خارطة السودان والذي نخشاه أن يردم قاع النهر في القادمات من الأيام وتروح بلادنا في مجاهل الصحراء٠

٦/ الفاشر تلك المدينة التي أنشئت علي كثبان الرمال كان الذين اختاروا لها ذلك الموقع لسهولة الدفاع عنها لأنه يصعب التقرب إليها والانسحاب منها وقال بعض أخواني عنها أنها بالليل باريس وبالنهار تضاريس ٠

٧/ الفاشر مدينة تسكنها رياح الشمال الباردة في موسم الشتاء وتتدحرج فيها مياه الخريف في موسم الأمطار ويأتي صيفها فاصلا احدب يقوص فيه الماء إلي أعماق هذه الرمال الناعمة وستغرق في أعماق بئر قنوجي احد المستعمرين الذي حفر هذه البئر في شرق المدينة ويقال أن من يشرب من هذه البئر لا يفارق الفاشر والله اعلم

٨/ الفاشر مدينة تحكي حضارة وتراث أهل دارفور ممثلة في منشات السلطان علي دينار أولاد الريف وبئر قونجي و دادنقا والسجن الكبير شالا والنهضة وخزان قولو والطابية عبود والكرانك ٠

٩/ استلمت مهمتي وأعددت عدتي وتحركت جنوب مليط علمت أن أصل بعد ثلاث أيام وادي هور بمحطة جبرونا وتحركت علي طريق تربته غير معبده وكل الطرق هنا غير معبده كثبان رملية كثيفة وسلاسل جبال عاليه وأودية عميقة تحد من سرعة العربات ٠ هي الصحراء والتي تبدأ من داخل مدينة الفاشر٠

١٠/ لاحظت للأول مرة أن التوائم ليست ظاهرة تخص المخلوقات الحية فقط إنسان وحيوان بل حتى الجمادات منها توائم وعلي سبيل المثال علي هذا الطريق أي طريق مليط هناك توائم جبال تسمي كلي وكلوية وعلي طريق منوا شي أيضا توأمان وحول كاد قلي توأمان صبوري ولقوري وحول النهود النهيدات وهي مرتفعات متجاورة تشبه صدر الانثي ٠

الأشجار أيضا توائم وخاصة الأشجار الكبيرة منها كأشجار ألتبلدي والعرديب وتسمي التو مات والتيمانات كما يعلق عليها أهل دارفور٠

١١/ تحركت علي نفس الطرق والغير معبدة وعلي رمال القيزان الرخوة وسفوح الجبال الصخرية أحيانا واتجهنا شمالا حتى أننا توغلنا في الصحراء رويدا رويدا لاحظت أن السلاسل الجبلية في المنطقة حول الفاشر والسلسلة الرئيسية فيها هي جبال حلوف هي جبال قديمة مثل التاريخ ونحت عليها الرياح أشكال غريبة واخاديد عميقة سكنتها بعض الحيوانات الصحراوية والزواحف والسلاحف الحدبا تبحث في الحفر علها تجد المأوي٠ طبيعة مدهشة إلا أن إحساسي بها عميق وتطالعي إلي اكتشاف الصحراء أعمق ٠

١٢/ الصحراء هذه الكارثة التي اجتاحت بلادنا من اتجاه الشمال الغربي وأخذت كل الشمال السوداني وهددت الشرق واحتوت الوسط حتى مدينة الأبيض والتفت حول مدينة الفاشر ونحن علي غفلة ٠

هذه الصحراء المحنة التي تهدد حياتنا ونحن ندري أولا ندري أننا ندري ٠ استهدفتنا هذه الصحراء واردات بنا أمر٠ ودقت ناقوس الخطر من منا يتعظ ويعتبر٠

١٣/ استهوتني عزيزي ألقارئي الصحراء لاكتشاف غموضها خاصة أنها مأهولة بمخلوقات الله غير البشر ونحن نعلم أن خلو المكان من البشر لا يعني انه خالي من مخلوقات الله الاخري٠

- استهدفت الصحراء وأنا أحس خطاها الوطيدة وهي تتجه جنوبا لمسح السودان من الخارطة الأفريقية ٠الله سبحانه وتعالي حبس الجن في الصحاري والجذر والمرتفعات أريد أن أتحقق لكي يطمن قلبي وأنا مؤمن بذلك ٠

- استهوتني الصحراء للتعرف علي البيئة بالممارسة والمراقبة وعلماءها موجودين بين ظهرانينا ٠ وهذا من اجل المعرفة التي ليست حكر لأحد

- استهوتني الصحراء لبعض دروس نظرية تعلمانها في معاهد القوات المسلحة علي حرب الصحراء ٠

- استهوتني الصحراء لمعرفة الفصول فيها كيف يأتي الشتاء ويحين الصيف ويبدأ الخريف ٠ وكيف سلكت الطرق من البحر الأبيض المتوسط ٠ أي سواحل البحر الأبيض المتوسط الشمالية حتى وصلت إلي أعماق القارة الأفريقية وكيف تأثر السودان الذي يقع في مواجهة هذا الزحف الرملي الرهيب ٠

١٤/ أهم مكونات الصحراء الطبيعية هي الجبال و الرمال والأودية العميقة وأعشاب وشجيرات جافة تقاوم ذلك المناخ الكادح والشديد الجفاف ٠

تحركت بركبي عبر هذه التضاريس شمال ٠ معنا عربة صغير لأند كوزر تحمل الجهاز ٩٠٦ للاتصال في ذلك الزمن وهو يمثل عربة القيادة وشاحنة مجروس تحمل المؤن والجنود

في تلك الحقبة دارفور آمنه هادئة وادعة وأهلها طيبون لا يعرفون إلا السلام والترحاب والكرم القرى بعيده عن بعضها البعض ومعزولة تماما تقطنها القبائل المعروفة التي تعايش الصحراء وتملك الإبل والجمال هي الحيوانات السائدة في تلك البقاع ٠

وقبائل الزيادية ٠٠ ولكن البرتي امتهنوا أخيرا الزراعة عن الرعي ٠

١٥/ تحركنا في الصباح الباكر وكان الجو فيه بعض برودة الليل ولكن سرعا نما ظهر قرص الشمس في الأفق الشرقي مجلوا نظيفا كأنما غسل بالماء والصابون واللماع ٠ لان الأشعة اندلعت في الفضاء تضئ وتحرق وتلهب الوجوه ٠ وكلما توغلنا شمالا علي الطريق الوعر بين الكثبان الرملية والأودية العميقة والسلاسل الجبلية التي تضيق علي الطريق كأنها تخنقه ويرتفع قرص الشمس يلتهب ويزيد حرارة الجو والمكان ٠ وتلك هي البداية ٠ علما بان الوقت كان خريف٠

١٦/ معروف أن الصحراء شحيحة المطر ولكن سبحان الله أذا نزلت مطره واحدة تكفي لحياة الإنسان والحيوان والنبات والجماد٠ والمعروف أيضا أن المنطقة مليئة بالسلاسل الجبلية والهضاب والقلاع والتي تشق مياه المطر طريقها بين هذا الركام صابغة بذلك الأودية الضيقة والمنحدرة سريعا تجاه الشمال ولا ادري أين ذلك المنخفِض الذي تصب فيه وبعد مسيرة ثلاث ساعات قطعنا فيها مسافة ٢٠٠ كيلو اكتشفنا أن هذه الأودية تصب في بحيرة مليط أو أول الواحات علي طريق الشمال و أجملها واحة مليط .

١٧/ قال الشاعر العباس :

*حياك مليط صوب العارض الغادي

*وجاد واديك ذا الجنات من وادي

تلك هي واحة مليط الجميلة ٠ ارض واسعة تحفها الجبال من كل الاتجاهات وهي منخفضة بعض الشئ بها بحيرة ساخرة تنحدر نحوها كل الوديان لتملئ بالمياه العذبة وتظل فيها إلي أن يأتي خريف العام المقبل يزيد جمال هذه الواحة بأشجار النخيل التي تملا المكان وخاصة حول البحيرة وتظهر لأنها واحة اكتسبت أرضها الخضرة في كل مكان ونبت فيها ألقطاء النباتي بكثافة وأصبحت جملية ومستحيلة.

تعيش بها قبائل عديدة أهمها الزيادية والبرتي نظرا للأسواق الضخمة بها كأسواق الماشية بأنواعها ومختلف البضائع وهي منطقة صادر إلي الجماهيرية الليبية ٠ علاوة علي أن بها ميناء بري كبير ورئاسة المنطقة الغربية للجمارك ٠

١٨/ لا يفوتني أن أقف في العلاقات بين الشعبين الشعب العربي الليبي وشعب دارفور هذه العلاقة أزلية ومتطورة مهما تغيرت الحكومات والأنظمة تظل دارفور هي العمق الاستراتيجي للجماهيرية العربية الليبية ومهما يكن تظل العلاقة هي هي٠الاطار العام للتجارة والاتصال والتواصل مستمر حركة تجارية دؤوب يأتي إليها السودانيين من كل صوب وحدب وصارت قبلة لمن له رأسمال أو من لا يملك قوت يومه والسوق قدح النبي وكل له رزقه ٠

١٩/ هذه الواحة التي تحضنها الجبال من كل الاتجاهات إلا الاتجاه الشرقي وهو مدخل رئيسي للأودية التي تجتمع في السفوح الشرقية ٠ لبعض المرتفعات البعيدة تجاه الصياح وأيضا هو المدخل للعربات القادمة من القطر الليبي والقادمة من شمال شرق السودان عبر طريق الأربعين ٠ علي ذات المدخل تحركنا في اتجاه الشرق بعد أن قضينا قرابة الأربعة ساعات استجمام وسط كرم الضيافة من الوحدة العسكرية التي توجد بمليط ٠ وكان وداعنا فيه كثير من الحميمة والإخاء الصادق من العسكريين خاصة عندما تكلف بمهمة في المجهول ٠ يحيطك الجميع بالتقدير والاحترام

٢٠/ تحركنا والشمس تدنو من المغيب قلت حرارتها وأصبحت تقرب إلي الدفء تناثر ضوها الذهبي علي الأفق يمتصه الغبار الخفيف العالق ليتحول إلي احمرار وردي يلون قمم الكثبان الرملية ٠ وملا الشفق الدنيا وعشت متأملا سحر المغيب ودون تلك الكثبان اشرأبت أشجار النخيل واكتست بلون السواد كأنها تلثم قمم الكثبان الرملية البعيدة – ودونها يتهادي قطيع من الإبل في صمت وصبر وهدوا هذه الحيوانات الجميلة ارتبط اسمها بالصحراء وهي تمثل غموض الصحراء بقيت ضامرة وصامتة وهادئة تسافر عبر الصحراء لأيام وليالي دون ماء أو غذاء.

الإبل أينما وجدت كانت الجريمة والاعتداء السافر بين الناس ويقال أنها خلقت بعد الشيطان ومن بقاياه ٠ لذلك مناخها المفضل الصحراء رغم القسوة التي بها وصعوبة الحياة ٠ واكتسب أصلها في تلك من المناخ واصبح ويمنحها نفس الخاصية وأصبح العشق بينهما موجود والحب متبادل والعلاقة يبن النساء والناقة مميزة وخاصة ناقة الركوب تجملها وتزينها بالأشياء الجمالية حتى الكحل تضعه المرأة في بادية العرب علي عيون الناقة لتصبح أكثر جمالا وهي تتهادي حاملة الشبرية وهي مظلة مصنوعة من مواد محلية توضع علي ظهر الناقة لحماية المرأة من هجير الشمس أثناء الرحيل ٠

٢١/ أدرت وجهي عن ذلك المنظر واستمرت رحلتي في ديار البدو وحياتهم بين بقائن الصحراء وبدأت جحافل الليل تغزو إليها ونحن علي مشارف قرية الصياح التي تتفرق فيها الطرق احدهم يتجه جنوب شرق درب الأربعين المشهور ويستمر امتداد الطريق الرئيسي شرقا إلي المالحة ويتجه الطريق الثالث شمالا نحو مزبد والوخائم ويتجه الطريق الرئيسي إلي الصياح قرية صغيرة وجميلة واللافت فيها القطاع النباتي الأخضر سكنها من قبيلة الزيادية والبرتي وقبائل أخري نشاطهم الرعي اعتقد أن الزراعة هي أيضا نشاط لهم و قرية الصياح هذه تقع داخل واحة مليط لأنها ليست بعيدة عن مليط وطبيعة المنطقة واحدة وعندما عبرنا متجهين شرقا بدأت تتغير الطبيعة وينحصر القطاع النباتي ٠ وكان الظلام سيد الموقف وأصبحنا لا نري إلا ما صلت عليه ضوء السيارة ٠ حتى وصلنا احدي القرى الجديرة بالذكر رغم أن الذاكرة لم تخزن اسمها شاهدت فيها العجب والعجاب ٠

في الطرف الأخر من القرية وجدنا أعداد كبيرة من أهل القرية يلتفون حول البئر وهناك رجل مسن ينظم حركة الناس ويضع الاوني في شكل صفين حول البئر

هناك حوض كبير من الطين في شكل دائري في الاتجاه الشرقي للبئر ملئ بالماء في انتظار بعض حيوانات القرية في صبيحة الغد للشرب .

هناك جملان بالقرب من البئر احدهم يتجه شمالا والأخر غرب ويدلي من الجمال حبلان إلي داخل البئر وفي قاع البئر دلوان يربطن في نهاية هذان الحبلان أو الدلو هو وعاء جلدي يستخرج به الماء من البئر ٠

والقريب في المسالة أن عمق هذه البئر تقريبا كيلو لذلك ربط الدلو علي مؤخرة السرج مركب احد الأطفال علي الجمل ويتحرك به من أمام البئر ليبدأ في سحب الدلو من داخل البئر وبعد أن يصل الجمل إلي مساحة كيلو يتوقف يكون الإناء علي فوهة البئر ليلتقطه شابان مهمتهما تفريغ الماء في الأواني المرصوصة حول البئر والمشرف علي ذلك الشيخ الوقور ٠ ثم يعود الجمل بعد تفريغ الماء وإطلاق الدلو في داخل البئر ويعود الجمل ويصل البئر يكون ساعتها الدلو وصل القاع وسرعا مما يمتلئ ليعود الجمل وعلي ظهره الطفل في رحلة الذهاب والعودة مره أخري حتى تمتل الأواني المرصوصة صفين حسب أقدميه وصول أهل القرية والأواني عبارة عن باغات جرا كنه ازيار صفائح ٠

يستمر هذا العمل الدؤوب حتى الساعات الأولي من الصباح ليملا كل أهل القرية أوانيهم لمقابلة نهار الغد ٠ ثم بعد ذلك يملا الحوض المبني من الطين ليشرب الحيوانات الصغيرة والتي تسكن في القرية لتوفر اللبن واللحم ٠ أما الجمال مكان شرابها آخر .

٢٢/ بينما تستمر حركة الري هذه يلتف الشباب حول بعض وتبدأ الأغاني والأهازيج المحلية لتقضية الوقت وقتله ٠ اقتربت منهم لم أجد فيهم شئ بل وجدت وجوه نحيله وأيادي معروقة وأجساد هدها التعب وأضناها الجوع وأرهقها السهد لا يعرفون المدرسة والتعليم بل يسمع في القرية كل عشر سنوات أن احدهم أرسل ابنه للتعليم في مليط أو الفاشر ولا يعود ابدآ

أشفقت عليم وحزنت لبلادنا التي تعيش في الظلام ولست ادري متى يأتي الضياء٠

٢٣/ علي القهوة أمضيت الليلة وجنودي القهوة هي عبارة عن راكوبة كبيرة خلفها قطيه ملئيه بالعنا قريب المجلدة بشرائح البلاستك المستخرجة من إطارات العربات ونمنا نوما متقطعا لا راحة فيه بسبب الأسرة التعبانة جدا ٠

المالحة :-

٢٤/ مدينة وسط الجبال تحيطها من كل جانب ماعدا الجانب الغربي ٠ الطريق إليها مرصوف بحجارة قديمة يرجع تاريخها منذ عصر الاستعمار والقريب الكباري في هذا الطريق مازالت تؤدي مهمتها سبحان الله ٠ لم تبعد كثير من القرية التي بتنا فيها٠ الطريق أليها مباشر ويمر بأرضي سهلة منبسطة تصلح مشاريع للزراعة الآلية ولكن خسارة الأمطار شحيحة ٠

والمالحة هي هضبة لبركان حدث قبل مئات السنين حينما انفجر هذا البركان وقذف بحجم كبير حمم اللفا البركانية في شكل دائري حول البئر المالحة مكونا الجبال الدائرية التي تحيط بالمدينة مثل حدوة الحصان ٠

٢٥/ بئر المالحة عبارة عن أخدود دائري قطر دائرته ٥٠٠ متر وعمقها ١٥٠ متر وفي منتصفها بحيرة مالحة مياها غير صالحة ولكن القريب في الأمر أذا بعدت متر فقط من حافة الماء وحفرت حفرة قصيرة جدا تجد ماء عذب لذلك يأتي الأهلي لنقل الماء رغم صعوبة استخراجه وهي في تقديري الواحة الثانية علي هذا الطريق أراضيها بركانية خصبة وتصلح للزراعة رغم شح الأمطار في هذه المنطقة ولكن ألقطاء النباتي كثيف والأشجار كثيفة أشجار السلم والكتر واللعوت وكلها أشجار شوكيه تتحمل الجفاف ٠

ونظرا للجبال الكثيرة تجري في المنطقة مجموعة أودية تكسب المنطقة شئ من الوعورة وصعوبة الحركة ٠ ماعدا الاتجاه الغربي ٠

٢٦/ مثلما تحدث جمل اعتراضيه أثناء الحديث السلس والمستمر تحدث أحداث اعتراضية أثناء السير وما حدث لنا أول دخونا المالحة لا يمكن تجاوزه رغم أنه لا يشبه حديثي عن غموض الصحراء ولكنني اعتبره حدث اعتراضي وسأرويه ليفتح شهية القارئ الكريم ٠

أثناء وقوفنا قرب سوق المالحة جاء يجري احد جنود الشرطة وابلغني بان هناك اثنين من راكبي الجمال سرقوا بندقية من احد المواطنين في قرية قريبة من المالحة وكانوا هنا قبل دقائق والمزعج هناك فزع يلحقهما أيضا وصل قبل ١٠ دقائق ٠

أخفينا علي الفزع في القسم ونريد نحن أن نتعقب الجناة وليس لدينا عربة في القسم ونرغب في هذا اللاندروكروزر ٠

قلت لهم :

لا يمكن إعطاءكم اللاندوكروزر لأنه يمثل عربة قيادة وبه جهاز كما ترون ٠ ويمكن أن نطاردهم بالجروس وافقوا أمرت جنودي بالبقاء مع عربة القيادة وتحركت مع أفراد الشرطة للحاق بالجناة بالجروس ٠

وجرجنا في اتجاه الغرب وبمجرد ما فارقنا البيوت رأينا عند ألأفق جملان علي ظهريهما رجلان ملثمان والجمال تجري بأسرع ما يمكن

وصاح احد رجال الشرطة

ديلك ما هم يا سيادتك

قلت للسائق

يلا ياادم الليلة يومك الحق الناس

زاد ادم وهو أشهم سائق زاد في سرعته ولما أصبحنا علي مقربه منهما رأيت ما لم أكن أتوقعه في خفه وسرعة تماما مثل ما يحدث في الأفلام السينمائية فإذا بالرجل الذي في الشمال يقذف البندقية إلي أخيه الذي يجري يمينه واستلمها الأخر بمنتهي الدقة والمهارة والجمال تجري باقصي سرعة ويفترق الجملان ٠ وتأتي حركة أخري للذي التقط البندقية علي الهواء أن يقفذ من الجمل علي الأرض وهي رمال ناعمة واتجه نحونا وأطلق عيار ناري تجاه العربة التي تقلنا وهي مسرعة تجهه ٠ لأننا تركنا الذي يجري بدون سلاح واتجهنا لصاحب السلاح

والعيار المابصبش يدوش كما قال الأخوة المصرين هذا العيار أدخلنا في حالة لا ادري كنهها وإنا ملازم جديد لأول مرة يطلق علي سلاح والسائق أيضا مستجد والزجاج لا يحجب الذخيرة ٠

قال السائق

يا سيادتك أسوي شنو ؟

سمعت صوته يأتي من بعيد كأنه في نهاية الدنيا

قلت :

امشي عليه طوالي ما تقف وبسرعة

أطلق الرجل طلقة واحده ولم يطلق الثانية كان المجروس فوق رئسه وتهشم الرأس وتكسرت البندقية ٠ ونحن جميعنا في غيبوبة لم نقف منها لا بعد ١٠ دقائق لحظتها حملنا الجاني والبندقية المكسورة وعدنا وتركنا احد أفراد الشرطة ليأتي بالجمل أما الرجل الأخر اختفي تماما ولم يعد ولن أتوقع عودته مطلقا بعد سماعه لصوت الذخيرة التابعة لسلاحهم المسروق ٠

٢٧/ عدنا لقسم الشرطة بالمالحة وسلمنا الجثة والبندقية موضع السرقة ووجدنا الفزع يملا القسم رجال مسلحين بالسلاح الأبيض معهم عدد من النساء الحاكمات لشحذ الهمة وإلهاب المشاعر بحديث الحماسة

أقادر أنا حزينا كثيرا لما جري وأحسست أن نارا تأكل الجلد والشعر وفي العظام تعترك الحمى وأحس أنني أذوب رويدا رويدا لأفني في دنيا العدم ٠ أحساس بالحزن يعقبه فرح حزني لموت النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ولا اعتقد أننا علي باطل ٠ وفرحي أنني علي الأقل عدت بأحد الجناة والمسروق ٠

٢٨/ اتصلت بقيادة الفاشر عمليات وأرسلت تقرير موقف شرحت فيه ملابسات الحادث ٠ وبعد فترة ليست بالقصيرة جاءني الرد الأتي:

- ترقية الجندي السائق إلي رتبة وكيل عريف من تاريخ الحادث
- تدوين أقوالي علي دفتر التحري والأحوال
- ترك عنواني ورقم بطاقتي
- مغادرة المالحة بأسرع فرصة ولا بد من الوصول إلي جبرونا علي أسوا الفروض غدا مساء ٠

تزودنا ببعض الأشياء الشخصية من سوق المالحة علما بأنه لا توجد أسواق أخري وسوف ندخل إلي الصحراء الحقيقية بعد جبل عيسي المحطة القادمة ١٥٠ كيلو في اتجاه الشمال٠

٢٩/ غادرنا المالحة في وداعنا جمع غفير بسبب حادث السرقة الذي كنا أبطله ٠ اتجهنا غربا وبعد نهاية السلسلة الشرقية للجبال المحيطة بالمالحة بشكل حدوه الحصان انحرفنا شمالا علي طريق اشد وعورة وهي طبيعة الأرض الجبلية مليئة بالأودية والخيران والمصبات الكثيرة لاحظت أن هناك كثير من المزروعات علي جاني الطريق ومعظم الزراعة ذرة وبعض الحبوب الزيتية ٠

وبعد مضي ٢٠ دقيقة بدأت الأرض تستوي بعض الشئ والقطاء النباتي يزداد كثافة وأشجار كثيرة متناثرة هنا وهناك أشكالها توحي بأنها أشجار قديمة وبدأنا ندخل في غابة علي ما أظن أنها المحمية التي سمعنا عنها ٠

فعلا أنها المحمية التي تقع علي الطريق بين المالحة وجبل عيس لاحظت أن هناك أسلاك شائكة علي الأرض بمحازات الطريق وتقف علي جانبيها أخشاب من الدليب هي التي كانت تحمل الاسلاك الشائكة وتكون السياج الذي يمنع الدخول والخروج من هذه المحمية ٠

٣٠/ احترمت الانجليز كثيرا لهذه المحمية التي حافظت علي البيئة علي الأقل في هذه المنطقة التي نمر عليها الآن والبيئة عزيزي القارئ هي كلمة السر التي لم نحافظ عليها وبالتالي تمددت الصحراء في بلادنا وأصبحت المهدد الرئيس لزوال السودان من علي الخراطة الأفريقية وهذا ألقطاء النباتي الذي نراه وهذه الغابات القديمة والممتدة وهذه الأرض الحية التي نسير عليها جعلتها هكذا هذه المحمية التي نسير بمحاذاتها ٠ ولو استطعنا أن نشيد هذه المحميات في مواجهة هذا الزحف الرملي لاستطعنا وقف الصحراء التي أصبحت الآن تمثل الغول الذي أتانا من الشمال الغربي ليقضي علي الأخضر واليابس في بلادنا٠ وسعدنا أكثر لمشاهدة بعض الطيور التي لم نتوقع أن نراها هنا وبعض حيوانات الحياة البرية في داخل هذه المحمية ٠

٣١/ نظرت إلي مرآة الجنب في العربة لاحظت أن وجهي اسود بعض الشئ وان أعيـون أصابها الاحمرار ولأول مرة الحظ أن هناك أربعة شعيرات بيضاء علـي مقدمـة راسـي في الجهة اليمن لم تكن هذه الشعيرات في هذه المنطقة من راسي من قبل استقربت لهذا الأمر كثيرا ومحصت راسي ولم أجد إلا هي وإنني متأكد عندما تحركت قبل يومين من الفاشـر لم تكن هناك هذه الشعيرات البيضاء ٠

دارت براسي كثير من الأفكار عن هذه الشعيرات وتأكد لي أنها نبتت في تلك المقـامرة وخاصة وأنني كنت هدف لذلك العيار الذي طاش من حولنا ٠

٣٢/ استمر سيرنا في اتجاه الشمال وبمجازات المحمية في اتجاه جبل عيسـي ٠ وفي الناحيـة الجنوبية الشرقية البعيدة نري سلاسل جبلية متناثرة وكثيرة هي جبـال ميـدوب ٠ وجبـل عيسي الذي أمامنا هو قصر رئاسة هذه القبيلة الكبيرة في شمال شرق دار فور ويقـال أن الميدوب احدي فروع قبائل النوبة الذين نزحوا من الشمال في زمن سـحيق مـن التـاريخ واستقر بعضهم في أواسط السودان منطقة الجبال البحرية في سودري وهم كاجـه وكتـول واتجه الميدوب غربا لهذه المنطقة وهناك مجموعات كبيرة توغلت جنوبا المنطقة إلي جبـال النوبة في جنوب كرد فان وبكل أسف تاريخ بلادنا تائه وضائع ومزيف ولا يجد من يبكي عليه من أبناء هذا الوطن المحنة ٠

هذه القبيلة ميدوب قبيلة ذات تراث وارث حضاري عريق يستحق الوقوف عليه ٠

٣٣/ جبل عيسي الذي أمامنا ونحن أصبحنا علي مغربه منه هو عبارة عن صخرة واحدة سوداء وملساء ولا يمكن صعوده إلا من جهة الغـرب وهـو شـاهق يجسـم علـي صـدره هضبة عالية ٠ سفوحه من كل الاتجاهات نظيفة ٠ فيه سوق ومدرسة ومحكمـة السـلطان وقصر للشرطة وحرس السلطان ٠ ومنازل قليلة للسكان والتجار ٠ أما بقية أفراد القبيلة أو السواد الأعظم متفرقون علي قمم وسفوح تلك السلاسل المتفرقـة والمنتشـرة وأحيانـا علي الكراكير وأخاديد الجبال ٠

وكثيرين من أبناء بلادي لا يعرفون قبائل الميدوب رغم هذا التراث والإرث التاريخي الكبير بل ارتبط اسم الميدوب الذين يعرفون هذه القبيلة بسرقة الإبل ونهب الجمال ٠ والنشاط المهم لهذه القبيلة بجانب الزراعة الرعي لجميع الحيوانات ٠

٣٤/ جبل عيسي منسوب للشيخ عيسي الذي كان يدرس القران في زمن سابق والآن الجبل يتوسط منطقة القبيلة أصبح مهما ومشهودا ٠

لم نتوقف في سوق الجبل الذي وجدنه مقر خالي من أي حركة ويبدو أن هذا اليوم في عيسي من أيام السوق وهنا اذكر أن الأسواق تعتمر بالأيام وليس يوميا كما في المدن ٠

اتجهنا شرقا مع سفح الجبل ولان المنطقة التي تقع جنوب شرق الجبل هي منطقة محل ومسطحات مائية تنحدر من قمم الجبال وترقد في شكل برك موسمية يزرع حولها الأهالي ويرعي الصغار الأغنام والضأن ٠ انحرفنا شمالا متخطين مقدمة الجبل ونجد أنفسنا علي كبري حجري قديم متجهين شمالا وعاد الطريق ينحرف شرقا مرة أخري ٠ وهي لفات حادة ومنحنيات كثيرة علي أراضي وعرة ومرتفعات رمليه متقاربة لا تستطيع معها مراقبة الأفق بل كأنك في داخل أخدود عميق يتجه إلي باطن الأرض ٠

٣٥/ وبمتابعة طريقتنا هذه دون أن نشعر دخلنا في منطقة طينية ذات خضرة وجمال وأشجار باسقات وشجيرات السدر والقضيم وعلمت انه مدخل وادي مجرور والذي لا يبعد كثير عن جبل عيسي وتحركنا داخل الغابة قرابة أل ١٠ كيلو غابات كثيفة بعدها وجدنا مجري الوادي وعبرنها للبر الشمالي حيث توجد بعض الرواكب وبيوت الشعر وسوق متواضع يبيع بعض المنتجات المحلية والأطعمة والشاي أهم المشروبات كانت الساعة ١٢ منتصف النهار راجعت خريطة الطريق التي معي واستفت ببعض الأهالي في توضيح الطريق ٠ ثم تناولنا غداءنا وخلدنا للراحة علي أن نبدأ الحركة في تمام الثانية ظهرا ٠

وأذنت ساعة الرحيل وتحركنا في اتجاه الشمال دون طريق نسلكه والآن بدأنا الصحراء حقيقة ٠

٣٦/ بدأنا الحركة في اتجاه الشمال ولا توجد معالم ماعدا معلمين في أقصي الشرق جبال قرون بقر وفي أقصي الغرب جبال تقرو ٠ وتتم الحركة بين الجبال الاثنين واللذان يبعدان ١٠ كيلو عن بعض ونحن نلاحظ القمم فقط من بداية الحركة أي الضفة الشمالية لوادي مجرور ٠

جبال قرون بقر هي فعلا تشبه قرون البقر التي بدأت الظهور علي رأس البقرة المدمية ٠ نلاحظ ٦ قمم كل اثنين متقاربا وتشبه رأس البقرة تقع هذه السلسلة في أقصي الشرق ولا يري منا إلا القمم ليدل ذلك علي بعدها من وادي مجرور وتقع في أقصي الغرب وهي سلاسل متكاملة ولونها اقرب إلي الاحمرار ٠

دون هذان المعلمان لا توجد معالم أخري لكي نستدل بها وحتى هذه المعالم لأتمر ولا تأتي بالغرب من أي وحده منها وبيننا وبينها مسافة من البعد المستحيل

وادي هور:-

٣٧/ تحركنا في اتجاه وادي هور وتوسط طريقنا تلك المرتفعات الشرقية والغربية وتحركنا علي بحر من الرمال وهي نفس الأمواج الصغيرة التي نراها في النهر وهي متجهة نحو الشاطئ لتنتشر فيه لكن همده حركتها ليست سريعة كتلك وهي تتجه جنوبا ولا تسير بسهولة وتضيق حركة العربات بشكل غير عادي والغريب انك لا تري أثرا للإطار عندما تلتفت إلي الوراء وكان العربة لم تمر علي هذه الأرض لان الرمال الناعمة والمتنقلة مع سرعة الرياح تمسح آثار إطارات العربة ٠ لذلك نحن نتحرك علي طرق غير واضحة المعالم٠

٣٨/ بدأنا نفك طلاسم الصحراء وأول استنتاج هو التركيز علي الملاحظة الدقيقة للأشياء وأول ملاحظة وجدنا أن الآثار تختفي وبسرعة مع هبوب الرياح لذلك لا نعتمد علي الأثر في اتجاه ماضاع منك علما بان الأثر في غير الصحراء نعتمد علية في البحث عن الأشياء ٠ لاحظت أن هناك رياح خفيفة تهب علي مستوي سطح الأرض أي علي ارتفاع ٢ قدم وتحس ذرات الرمل علي ساقيك كأنها دبيب النمل وهذه الريح مستمرة

ليل نهار ولا نستطيع الجلوس عليها ونتجه شمالا لأنها تملا عينيك وهي التي تمحو الأثر دائما ٠ أذن علينا أن نسقط الأثر من الذاكرة ولا نهتدي به لأنه غير موجود ٠

٣٩/ مالت الشمس إلي المغيب وتكرر المشهد الساحر الذي يلهب المشاعر والأحاسيس اكتسي الكون بلون الذهب واحمرت قمم الكثبان الرملية ٠ ويلف السواد كلما هو بعيد من الأهداف والأشياء وكأننا نمشي علي بساط من العسجد ٠ وأسراب من الطيور البعيدة تختفي عند الأفق ٠ وأصبحت العيون تدور في محاجرها تبحث وتتنقل من منظر إلي منظر حتى وقعت علي قطيع من الغزلان في أقصي الشرق بسقطة عليه أشعة الشمس ألحمراء هو أصبح كأنه جزء من الشفق وأمرت السائق بالوقف ففعل ٠

هرب كل القطيع ماعدا واحده وقفت لتتأكد من صوت العربات وحركتها ٠ نزلت ومعي بندقية وقلت لجنودي أنها لحمة العشاء٠

قال لي احدهم :

أنها بعيدة ياسيادتك

قلت له :

سوف أتمكن منها ٠٠

ورقت علي الأرض وحكمت المسافة ٤٠٠متر وكومت كوم من الرمال الناعمة ووضعت عليه ساعدي الشمال ووضعت البندقية علي كتفي الأيمن وبدأت أنشن وأطلقت عليها ٠ أصبتها في مقتل نزل اثنين من الجنود يحملان السكين ويجريان نحوها لذبحها وفجأة رأينا حيوانات أربعة مثل هيئة الكلاب جاءت تجري وبسرعة تقارب الخيال ولا يسبق احدهما الأخر وسبقت الجنود لموقع الغزال المضروبة ونهشتها بسرعة واخذ كل واحد منها قطعة في فمه وتفرقوا بسرعة تقارب الخيال ولم يجد الجنديان إلا بقايا فرت ودم ٠ وجميعنا في دهشة نراقب الموقف الذي لم نجد له تفسير أو تعليل وعاد جنودي أكثر اندهاشا لان ما حدث كان أمامهم مباشرة ٠

٤٠/ غابت الشمس واختفت معالم كل الأشياء تماما وغابت في أذهننا صورة تلك الغزال التي كنا نظن أنها عشاءنا

صلينا المغرب جماعة وقررنا أن نتحرك قليلا لكي ننام علي الصحراء ليلا ٠ وبشي من الخوف والترقب تحركنا في نفس الاتجاه اعتمدنا علي مصابيح العربات وفجأة وجدنا قطيع آخر من الغزال يقف أمام الضوء ولا يتحرك أبدا فاستطعت أن اصطاد منه واحدة ولم نذهب بعيدا وقفنا للمبيت ٠

تم تكاليف بعض الجنود لأعداد وجبة العشاء وبهمة و جد اذكر أنهم جمعوا الحطب من منطقة المحمية لأنه غير متوفر في بقعة الرحلة ٠

لم انم في تلك الليلة فظللت أفكر كثيرا في تلك الحيوانات الأربعة التي اختطفت تلك الغزال وكيف تثني بهم أن يقسموها إلي أربعة أجزاء متساوية ولم يبق منها إلا الفرت والدم علي الأرض ويعود جنودي خالي الوفاض ويحدث ذلك أمامهم ولا يجدون له تفسير٠

فكرت كثيرا في كيفية التحرك ليلا سرعا نما اهتديت بالنجم القطبي أو الدب القطبي أو نجم الشمال الذي يهتدي به المسافرون في البحار والمحيطات أو الصحاري أو الغابات وسعدت كثيرا بهذا الاكتشاف كان هوايتي في الكلية الحربية وجاء يومها ٠

٤١/ لست ادري متى نمت في تلك الليلة ولكنني استيقظت مبكرا وأديت الفريضة وصرت اتامل الدنيا والطبيعة في هذه الصحراء الواسعة والمخيفة ٠ ونحمد الله كثيرا علي نعمة التأمل التي جعلها فينا ٠

أصبحت الدنيا وامتزجت برودة الليل بدفء الصباح عند شروق الشمس والشروق مثل الغروب توأمان يملان الدنيا بهجة وسرور بتلك الألوان الذهبية البراقة التي تأخذ بالألباب ٠

شئ ما أقلقني في الصباح عندما جاءت مجموعة من النسور الجارحة القبيحة جدا نزلت حولنا في صمت مميت تزايد أعدادها بطريقة مزعجة جدا حتى تملكنا الخوف ونحن نرغبها حتى أصبحت بالمأت ولا ندري من أين أتت واعتبرناها تعيش حالة من الجوع والعطش وفعلا هي كذلك ولاحظت ذلك عندما تحركنا بدأت تأكل المخلفات التي تركناها بعد العشاء ٠

٤٢/ لاحظت عند المبيت لا بد للعربة أن تأخذ نصف دائرة وتعود متجهة نحو الاتجاه الذي أتيت منه وتثبت علي ذلك وعند التحرك الصباح تأخذ نصف دائرة لتعود لاتجاه السير ٠ وإلا ستحصل المتاهة

وما أن ارتفع قرص الشمس حتى انطلقت تلك الريح الخفيضة التي تنقل الرمال الناعمة من موقع إلي آخر كأنها علي موعد أي الشمس والريح ٠ وأضيف لهما درجة الحرارة التي بدأت في التصاعد رويد رويدا بدأنا لا نميز الاتجاه لان الشمس ارتفعت إلي كبد السماء وفارقتنا الجبال الشرقية والغربية التي نرحل بينها في اتجاه الشمال ٠ أما الآن فلا شمال ولا جنوب ولا غرب ولا شرق إلا البوصلة التي تحفظ الاتجاه دون مؤثرات ٠

٤٣/ اشتدت سخونة الأرض وجاء السراب وهاجت وماجت شياطين الصحراء التي أفقدتنا الثقة في أبصارنا ولم أكن أتصور أن هذه الظاهرة (السراب) مخيفة لهذا الحد بل مخيفة لدرجة الجنون في وسط الصحراء ٠ ونحن نعلم أن المنطقة التي نسير عليها خالية خاوية تماما من كل شئ وفجأة رأينا عمارتين عند الأفق أمامنا ٠ وتحركنا بسرعة تجاه هذا العمران الذي في وسط الصحراء وعندما وصلنا وجدنا تلك العمارات عبارة عن مخلفات ابل عبرت تلك المنطقة ٠ السراب يقلب الصورة ويجعل روية الأشياء غير حقيقية ٠

السراب هي ظاهرة انكسار الضوء وانعكاسه في ظل درجات عالية من الحرارة يجعل العيون لا تري الأشياء طبيعية مما يجعل التوتر والقلق يصيب الإنسان ويبدأ في الخطأ كأن يدفق ريه علي السراب لأنه يري الماء نظيف ليس هناك داعي أن يحمل الماء الغير نظيف وأخيرا يفقد الاثنين ٠ لان السراب غشاش ٠

لذلك يجب أن توخي الدقة والحرز والصبر الشديد ٠ للتقلب علي هذه الظاهرة ٠ وإلا سوف نضيع في الصحراء ٠

٤٤/ انطلقنا بسرعة كبيرة عندما وجدنا الأرض مناسبة و منبسطة وثابتة وممتدة إلي مسافات بعيدة ما بين ٢٠٠ – ١٥٠ كيلو في اتجاه الشمال وسعدنا كثيرا بهذه السرعة الممتازة التي نتوقع أن نصل بسببها بسرعة للوادي ٠ ولكن سرعا نما مررنا بمرتفعات قليلة

شاهقة وكثيفة لا يري لها نهاية شرقا ولا نهاية غربا ٠ ولا خيار لـدينا مـن أن نعـبر هـذه المرتفعات والكثبان الرملية مباشرة ٠ وبدأنا بالفعل نشق طريقنا بين هـذه الكثبـان والـتي يصل ارتفاع بعضها إلي ١٠٠ – ١٥٠ متر ٠

أحيانا نقصد هذه القمم وأحيانا ندور حولها ٠ وأحيانا يتملكنا الإحساس بان تنهان علينا الرمال من احد هذه المرتفعات وبصبر شديد تحركنا وأحيانا نوقف العربات لكـي نسـلك تلك الرمال لاستكشاف الطريق وتسمي مثل هذه المناطق في الصحراء بالسيوف الرمليـة وهي كثيرة في مناطق متعددة ومختلفة ٠ والسيوف في تقديري هي مجموعـة كثبـان هلاليـة والمعروف أنها متدحرجة من ناحية وهامدة من الناحية الاخري لذلك تؤثر علـي حركـة العربات بل تقلب العربـة رأسـا علـي عقـب لأنهـا تـأتي مندفعـة علـي الاتجـاه المـدرج ويفاجئها الاتجاه الحاد لتروح هي ومن عليها ٠

٤٥/ أمضينا أربعة ساعات وسط هذه الرمال مع الحزر والترقب والصبر والخوف أحيانـا حتى قطعنا منطقة السـيوف هـذه وخرجنـا أيضـا الصـحراء وعلـي منطقـة تمثـل امتـداد للأراضي التي أسرعنا فيها قبل منطقة السيوف وعـابرة اتجـاه البوصـلة وانطلقنـا شمـالا وبعد مضي نصف ساعة رأينا بعض الأشجار وهناك في الأفق خط شـديد السـواد الأمـر الذي جعل معنوياتنا ترتفع بعد إحباط السيوف الرملية المرعبة

وكلما اقتربنا نحو ذلك الخط الأسود يتغير اللون ويبدو اخضر داكن أذن هـو وادي هـور ارتحنا كثيرا لتغير الطبيعة التي أعطتنا الأمل في الحياة وادي هور يجـري مـن الغـرب إلـي الشرق ويتكون ألقطاء النباتي فيـه مـن الأشـجار السـلم وشـجيرات ألمـرخ ومجموعـات أشجار الأراك ٠

٤٦/ كنا علي اتصال باخوننا في جبرونا في داخل وادي هور طول الرحلة ومـا أن عبرنـا منطقة السيوف تلك وقطعنا عشرات الكيلو مترات حتى قابلتنا احدي عرباتهم ٠ الأمـر الذي جعلنا نطلق الأعيرة النارية علي الهواء فرحا ٠

تعانقنا فرحا وسعدنا بالوصول بعد رحلة استمرت ثلاثة أيام بلياليها وألان نحن في وسط الصحراء منظر المعسكر جميل ملون من مجموعة خيام منصوبة في شكل دائـري ٠ وهنـاك

الشمال الغربي من المعسكر توجد بيوت من الشعر والخيام علمت أخيرا أنهم بطن من بطون الكبابيش العطوية مقرهم وادي هور ، وهكذا القوات المسلحة أينما وجدت في هذا السودان تحتوي القبائل والأهالي وتخلق حياة اجتماعية وتواصل بين أبناء الوطن ،

٤٧/ لاحظت أن الخيام جميعها مرفوعة الجوانب وان درجة الحرارة عالية جدا لذلك رفعت الخيام من الجوانب حتى يمر التيار الهوائي وتخف درجة الحرارة لكن الرمال الناعمة تملا الوجوه والعيون أمران احدهما مر ، وتلك هي الريح الخفيضة التي تلسع الساقين بضربات ذرات الرمال بالنسبة للوقوف وتملا الوجوه بالنسبة للجالسين ، وهي الرياح الوحيدة النشطة علي مرالزمن في الصحراء ،

هناك دونكي يرجع تاريخ إنشاءه لعشرات السنين وهو معطل وبالغرب منه بئر حفرت باليد يشرب منها الجنود وأهل الفريق ، والغريب أن هذا البئر لا يتعدي عمقها المتر ونصف علي ارض رملية وعلمت أيضا هذا البئر يمكن أن ينهار في أي وقت ولا يشكل ذلك الانهيار هاجس لأنه يمكن حفره أيضا في أي وقت ولا يكلف وقت ولا جهد لان الماء موجود في هذا الوادي في أي نقطة منه وبكميات كبيرة ،

٤٨/ هذا الوادي يستحق الدراسة مادام يتوسط الصحراء ويتوفر فيه الماء عصب الحياة ، لذلك قررت أن أحاول تقديم دراسة جغرافية لهذا الوادي حتى يستفاد منه مستقبلا ، وعلمت ايضا أن هذا الموقع الذي نحن فيه هو المعبر الوحيد لوقوف الجمال التي تصل واحة النخلية وجبل العطرون أو حتى التي تقصد ليبيا ، وذلك الدونكي أنشئ لهذا الغرض ،

جبرونا :.

أطلق هذا الاسم علي هذه المنطقة لان لا يعيش فيها إلا مجبر ، لصعوبة الحياة هنا وبعدها عن الحضر ، إلا أنها أذا أريد لها أن تحيا يجب أن نهيا فيها المواصلات والاتصالات ،

٤٩/ حاولت اخلد لبعض الراحة إلا أنني لم استطع لان تلك الرياح الخفيضة تعبر الخيمة وفي عبورها هذا تملا وجه من يستلقي علي السرير ، لاحظت أن الجميع يلف أغطية

علي رؤوسهم لتفادي تلك الريح الخفيضة ٠ وما كان لنا إلا أن نستعمل قطاء ٠ ولكن دون جدوى وحينما حاولت الاستلقاء علي السرير بدأت اسمع أصوات عربات كثيرة قادمة ألينا من كل الاتجاهات ٠ خرجت خارج الخيمة وتلفت في كل الاتجاهات فلم أري شيئا عدت لسريري ولكن تكرر هذا الموقف وهذه المرة اشد من سابقتها ٠ فبدا الجنود يتهامسون وهم داخل خيمهم ويراقبون دخولي وخروجي ٠

قال احدهم وهو أكثر جرأة ٠٠

مالك يا سيادتك ؟

قلت له :

الم تسمعوا أصوات هذه العربات القادمة ؟

ضحك الجميع وبصوت عالي ٠ وقال احدهم ٠

هذه الأصوات يا سيادتك هي عربات الصحراء التي لم تصل موقعنا هذا منذ وصولنا ٠ واعتدنا عليها وأنت سوف تعداد عليها وما تستعجل ٠ ولم استعجل ومرت أيام طويلة مليئة بأصوات هذه العربات التي لا تأتي ٠ ولكني لم اترك هذا الأمر دون تفسير أو تعليل وتابعت بدقة حتى اكتشفت أنها عوامل الرياح علي قمم الكثبان الرملية وأعواد الأشجار الجافة والمنخفضات تلك هي أصوات عربات الصحراء التي لا تأتي ٠

وفي نهار اليوم الثاني لوصولنا ولحظة اشتداد السراب رأيت عدد كبير من العربات يأتي من الجنوب أي الطرق التي جئانا منها فقلت لهم هناك رتل قادم ألينا

قالوا بالصوت الواحد أين هو ؟

وأشرت ناحيته !

فقالوا ضاحكين ذلك سرب من النعام ٠

وبقيت أسبوع علي هذا المنوال كلما أري موقف اسأل عنه حتى صرت أصبر وقررت أن أتعلم في صبر صمت ٠

٥٠/ لاحظت أن أعداد كبيرة من الجولات تحيط الجنود مليئة باللحوم الجافة وهذا يعني أنهم اصطادوا كثيرا وأنا أخاف من الصيد لما فيه من مخاطر٠ ولاحظت ايضا أن التأقلم

والانتماء في الصحراء أشياء لها أهمية قصوى وبذلك لاحظت أن العلاقة حميمة بين الجنود ، واغرب من ذلك لاحظت أن علاقة وطيدة نشبت بين الكلب الوحيد بالمعسكر والخروف الوحيد ايضا بالمعسكر ، وهذا الخروف بقي حيا من ضمن ٥٠ خروف كانت تعيينات أكلت جميعها ماعداه ، وبالتالي أصبحت له علاقات واسعة معهم يحضر معهم التمام الصباح والمساء ويتحاوم علي كل الخيام ويتواجد في ميدان الكرة الطائرة وهو لا يلعب ، ولديه أفراد معينين الظاهر لا يرغب في رؤيتهم لذلك يهاجمهم أو يود ملاعبتهم والقريب يتأدب أمام الرتب الكبيرة ، ونشأت بينه والكلب علاقة حميمة جدا لأنهما يلعبان ويجريان حول المعسكر دون أن يؤذي احدهما الأخر سبحان الله ،

وتمضي الأيام و تأقلم شيئا فشيئا علي حياة الصحراء وخاصة التناقض في الجو النهار قطعة من الجحيم والليل قارص البرودة، إلي أن جاء يوم من أيام الحزن ما كنا نحسب له حساب،

٥١/ في أمسية ذلك اليوم وبينما نحن جلوس نتآنس جاء احد أفراد حرس البئر وفي معيته رجلان وأفاد بان الرجلان هما خبران صحراويان متوجهان إلي ليبيا ، والمعروف السلطة في ذلك الزمن منعت حركة المواطنين إلي ليبيا بالعربات ، واخذ البعض يقود قوافل الناس إلي ليبيا مقابل ٢٠٠جنيه وهذه علي ما يبدو واحدة من القوافل والتي لم تشأ إلا أن تمر بجبرونا وصلت جبرونا الخناق الذي تمر به قوافل المشاة إلي الجماهيرية ، وهذان الخبيران معهم ٥٣ فرد وأربعة جمال نفقت اثنين منهم بعد التحري معهما تحركنا معهما إلي بقية الدبوكة وهذا اسم القافلة ، ووصلنا إلي مكان البقية من القافلة المشؤمة وجدنا جميعها دون حراك بل أن ٢٦ منهم فارقوا الحياة تماما ونقلنهم جميعا إلي المعسكر وبدأنا ننقذ ما يمكن إنقاذه ، نخلط الماء بالدقيق ونسقيهم سقينا ٢٧ منهم لم يأتي اجلهم ولكن ال٢٦ فارقو الحياة ،

اعددنا كشوفه بأسماء ألموتي و الأحياء وجمعنا كل أورقهم الثبوتية بطاقة جواز جنسية دفنا ألموتي في مغبرة جماعية واعدنا الأحياء إلي مليط ليفتح البلاغ الجنائي هناك ،

هذه الإجراءات أخذت بنا كل اليوم حتى عينا الحرس وعاد بالأحياء ،

٥٢/ علي خلفية الصراع والخلاف بين الدول أو بين الحكومات يرفع الشعوب فواتير باهظة الثمن وفي معظم الأحيان تكلف الأرواح ٠

وقضيتنا هذه ليست بعيدة عن الأذهان وأقول من المسئول عن ضياع كل هذه الأرواح اشتد الخلاف بين الحكومتين في السودان وليبيا وصدرت التوجيهات والتعليمات أن يقف الاتصال والتواصل بين البلدين منعت العربات الليبية من الوصول إلي مليط وكتم والطينة السودانية وكلها مواني برية علي واجهة دارفور العريضة ونحسب أن العلاقة أزلية بين هذا الجزء من الوطن والجماهيرية الليبية والعلاقات الأزلية والمتميزة بهذه الطريقة لا تقضيها القرارات السياسية ولا النظرات الضيقة للأنظمة الحكومية ٠ بدليل أننا ألان ندفع في الثمن أرواح غالية وطاهرة راحة هدرا في رمال الصحراء ٠

من هو المسئول ؟

هل هي الدولة أو الحكومة باتخاذ منع التواصل ووقف حركة الاتصال بين البلدين ؟

أم هي السلطات المحلية التي تمكن من بين يديها دائما عوامل الموت ؟٠

هل هي الجرأة وحب المغامرة في أبناء بلادي حتى تودي بارحوهم الطاهرة ؟٠

أم هي معرفة الخبير لدروب الصحراء الميتة

هل هو اليأس وصعوبة الظروف والبحث عن حياة أفضل خارج الحدود ؟٠

أم هي أقدار الله أن يموتوا ميتة الجاهلية علي رمال ناعمة تكيل الوجه والفم ؟٠

٥٣/ أسئلة كثيرة ذادت الحزن عمقا في نفسي ويكون الحزن أعمق عندما لم نجد لها الإجابة ٦٥٠ كيلو سيرا علي الأقدام في أجواء الصحراء وهي نصف المسافة للرحلة الكلية من مليط وحتى الكفرة

- لابد أن يكون السبب مقنع لهذه المخاطرة الغير محسوبة

أو يكون الجهل مصيبة حقا للذين لا يدرون ماهي الصحراء

- ٨ جمال تحمل المؤن والأمتعة والماء وأعلاف تضعها هي لعدد ٥٣ فرد وممنوع الركوب عليها ٠

● الحركة سرا دون علم السلطات المحلية ، وليلا وعلي أكثر الطرق أظلاما ووعورة ،

● طاعة الخبير لا تقبل النقاش حتى يتمكن من قيادة الغافلة في ظروف مستحيلة ،

● كل مسئول عن احتياجاته الشخصية مسئولية جادة ومطلقة أذا نفد ماءك لا بديل ولن يعطيك احد ، بهذه القسوة أنها الصحراء

● الحركة بالليل وبأ ثوابات ولا بد للقربة أن تنتهي بالقرب من مورد ماء وتعد لإعادة الملي ولا يملها إلا الخبير ،

● لا يشرب الماء إلا مرة وحدة في اليوم أثناء الوقوف وبالقرب من نهاية الوثبة

● هذه المسيرة تستغرق ٤٥ يوما من مليط وحتى الكفرة ،

● الحركة بالليل تعتمد علي النجوم أهمها النجم القطبي أي نجم الشمال هو النجم الوحيد الثابت ويساعد كثير علي الملاحظة ليلا وإذا لم يتمكن الخبير من معرفة هذا النجم ضاعت القافلة ،

٥٣/ نشطة حركة القوافل في ذلك الزمن بشكل لافت ومستمر والحاجة هي التي تدفع الشباب إلي الهلاك في الصحراء والقهر والظلم في بعض الأنظمة العربية يدفع بالناس ألي ميدين القتال ، أصبحت القوافل تتخطي الموقع الذي نحن فيه بحوالي ١٥٠ كيلو غربا صارفين النظر عن الماء الموجود في موقعنا ، بعد مضي ثلاثة أسابيع من تلك الحادثة وبينما أنا أجوب الصحراء داخل وادي هور وعلي بعد ٢٠٠ كيلو من المحطة تكرر نفس المشهد ولكن هذه المرة أسوا ودون ناجين ،

● رأيت من علي البعد جمل بارك ويتدلي عنقه علي الأرض بدأت الرمال في دفنه ، وعلي بعد متر خلف الجمل رجل يرقد وبيده سكين خارج بيتها ودفنت الرمال جنبه اليمين وعلي بعد ثلاثة أقدام آخر ممدود علي الأرض وكأنه يحاول اللحاق بأخيه الذي أمامه يديه مغمضتان ومليئتان بالرمال ، هذا الصف في الأول الجمل وبعده الرجال الاثنين ممددين علي بطنهما والأول في يده سكين كأنه يريد فتح بطن الجمل والأخر

يقض بشدة علي الرمال كأنه يريد اللحاق بأخيه وجميعهم ميتون ٠ مرت بهم فترة طويلة دون أن يكتشفهم احد حتى جفت اجسادهم٠

٥٤/ اجتهدنا كثيرا لمعرفة هذا الوضع للمخلوقات التي ماتت بهذا الشكل ٠ المعروف أن الجمال تخزن الماء في أمعائها لفترة طويلة عبر الصحراء ويبدو أن الأشخاص الذين ماتو بهذا الشكل كانوا في محاولة لشرط بطن الجمل وشرب ما فيها من ماء مخزون ٠ ولكن لم تنجح المحاولة ويبدو أن الجمل مات قبلهم بنفاد مخزونه الاستراتيجي وما كان منهما إلا اللحاق به كل ممتلكاتهم سرج وجزلان فيه بطاقة و١٠ قروش وجنسية وبعض أوراق وخطابات ٠ جهزنا لهما قبر واحدا وهما أبناء عم لتطبق الأسماء ٠ ودفنهم وعدنا لإرسال أشارة بمثابة البلاغ للمليط المنطقة التي تحركا منها لنشر هذه الأسماء والتعرف علي ذويهم٠

٥٥/ تلك هي محاولة السير عبر الصحراء بهذه الطريقة برغم علمي بان الكثيرين من أبناء السودان الموجودين ألان في ليبيا وصولها سيرا علي الأقدام وهم الذين كتبت لهم الحياة ٠ وهناك كثيرين لم يصلونها ولم تكتب لهم الحياة ٠

نحن نعاني ونتعذب من الصحراء في بحثنا المستمر عن حياة أفضل واخوننا في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب العربي معاناتهم تكمن في البحر الأبيض المتوسط ومحاولة عبوره بالزوارق والمراكب ولا يصل إلي إلا من رحم ربي و٩٠٪ من الشباب أصبحوا مكانهم القاع أو بطون الحتان ٠

وهكذا الحياة والجري وراء الأفضل فيها والبحث عن الأحسن ونحن لا ندري ما المكتوب ٠

٥٦/ بالرجوع إلي الذين دفناهم جميعا تجد أنهم يحملون بعض البصل في جيوبهم ويحرصون علي قطاء الرأس وعلي لأرجل رغم أن معظمهم مزقوا عمائهم لربطها ويلفوا بها الأرجل التي أدماها السير علي الرمال الساخنة بعد أن تمزقت احزيتهم ٠ وغطاء الرأس ليغيهم شدة الحرارة والأتربة الناعمة التي تزفها الرياح
وعلمت أخيرا أن البصل يغي الإنسان شدة العطش يتناوله بين كل فترة وأخري ٠

والسير الطويل ادمي الأقدام وأصبحت للعمة استخدامات اخري٠
٥٧/ العطويه بطن من بطون الكبابيش عاشوا في هذه الصحراء حتى أصبحت لهم دار ومقر ووطن لا يستطيعون فراقها مهما كانت الضرورة وهذا نوع أخر من البشر لا يهاب الصحراء ولا يخشاها ولدوا فيها وعاشوا فيها وسوف يبقون فيها إلي أن يقضي الله امرأ كان مفعولا ٠

قليلين جدا الذين يعيشون في الإمكان المضيئة في الصحراء والإمكان المضيئة هي موارد المياه ومعابر الطرق وأماكن الجزو والنشوق للإبل ٠ أما بقية الصحراء هي أكثر ظلاما ووعرا ٠

حذرين جدا في تعاملهم مع بقية القبائل التي تجوب الصحراء وهي أيضا قبائل قليلة اذكر منها الميدوب والزغاوة ٠ وقبائل القرعان يأتون من شاد أحيانا ٠

في هذه المناطق لا توجد حكومة ولا سلطات بل القبائل تحكم نفسها والأرضي حوا كير بين القبائل كل يعرف حدود الأخر ٠

٥٨/ ذهبت للفريق متفقدا الكبابيش فلم أجد إلا النساء والأطفال والشيوخ وعلمت أن الشباب والرجال تحركوا في اتجاه الجنوب أو (الصعيد) كما يحلو لهم أن يقولوا أنهم نشقوا وهو موسم – النشوق ٠

جلست مع الشيخ محمد كليب الخيل ٠

كليب الخيل ٠ شيخ تجاوز عمره الثمانين وبحضور كامل وهيئة مكتملة لم يفقد سن أو عين كل أطرفه صحيحة معافى إلا انه كبير في السن ٠ انه يستمد قوته من هذه الصحراء ٠ ولا يستطيع أن يعيش في أي مكان غيرها ٠ وغذاءه الرئيسي لبن الإبل لذلك هو نشط ويستطيع أن يخدم نفسه ولا يحتاج لمساعدة

دائما يشكر الله كثير علي تلك النعمة ٠

سألته ؟

هل شهدت هذه المنطقة صراع قبلي بينكم وآخرين ؟؟

أجاب :
أن هذه المنطقة لم تشهد خاصة انه كل قبيلة عارفة أين مكانها برغم من أن كل القبائل هنا أباله أي أصحاب ابل المرعي واسع وأماكن المياه معروفة وتستطيع الإبـل تقطـع مشـوار بعيد لكي تشرب
لكن هناك بعض الطمع ٠٠
كيف ذلك؟! سألته ٠٠
قال :
الناس هنا يدور أي يرغبوا الجمل السمح ٠ أو السلاح السمح ٠ كان شافوا عندك جمـل أو بندقية يسرقوها منك وما عندك خيار إلا الدفاع عن نفسك ٠ في تلك اللحظة أكرمتني أسرة الشيخ بكوب من الشاي الجميل الذي كنت في حوجة أليه ٠٠
سألته :-
هل دافعت عن نفسك يوم ؟!
أجاب نعم بلحيل - تأكيد للموقف ٠
قلت له :-
طيب ما تحكي لي كيف كان ذلك ؟؟
تبسم ضاحكا ٠
واستدار في جلسته وبدا يحكي وأنا استمع ٠
٥٩/ قصدت هذا الشيخ لان فيه ملامح رجل البادية من الكرم والطيبة وفيه شيمة رجل الصحراء الخبير والعارف بواطن الأمور ٠ ويبدو انه كان محاربا شرس ٠ ورغم انه مسـن شيخ لا يختلف اثنان عليه إلا انه ثاقب النظـرات قـوي المـراس ومـازال يحـتفظ بحيويـة وسعد كثيرا عندما سألته ذلك السؤال ٠
اعتدل في جلسته ورشف جرعة قوية من كوب الشاي الذي في يده وقال :
كنت يومها شابا قويا واملك جملا بشـاري ولا اكـذب عليـك كانـت معـي بندقيـة (أبـو عشرة) وذهبنا إلي سوق ميدوب في جبل عيسي٠ وصـلت السـوق حـوالي السـاعة ١١

وتساوقت أي اشتريت أشيائي الهامة التي ذهبت من اجلها وبقيت في السوق ساعة زمنيه ٠ تحركت بعدها راجعا إلي الوادي المسافة بعيده جدا لذلك لم اتاخر كثيرا في السوق ٠
يبدو هناك من يرغبني وقد أعجبه أما الجمل أو ما حمل أكثرت كثيرا لأنني اعلم أنها فرصة طيبة للصيد والصائد مسلح والمجني عليه اعزل واعني بالمجني عليه نفسي ٠
عدت أو رجعت ديارنا كنت أحس أن هناك من يتبعني ولم اعره اهتماما ٠ وبعد مسيرة ٣ ساعات أحسست بالتعب وكنت لحظتها شمال جبال تقرو ٠ وجدت شجرة سلم وحيدة في ذلك الفضاء نزلت تحتها ونزلت السرج من علي ظهر الجمل واستخرجت بعض أشيائي وأوقت النار وأعددت كوبا من الشاي الذي يضهي شي في تلك اللحظة ٠ ومازال أحساسي صادق بان هناك من يتبعني ٠ جهزت بندقيتي وأدخلت عيار في داخل الماسورة ووضعتها في وضع الضرب وربت خيط رفيع في الزناد ومددت ذلك الخيط وربطه في صباع رجلي الأكبر وأسندت البندقية علي السرج تمت تقطيبها بالمشمع وبعض أشياء ولم اترك فيها ظاهرة إلا الفوهة وتركت جملي معقولا بالقرب مني وحاولت أن أغمض عيني لقسط من الراحة ٠
بعد مضي نصف ساعة وأنا مستيقظ ٠ أحسست أن أحدا أناخ بعيره ٠ وجاء بخطي خفيفة وأطلق جملي من العقال أي جروه واقترب مني وأنا متظاهر بالنوم رأي ماسورة البندقية ما كان منه إلا أن جذبها بقوة مما جعل العيار نطق ليفجر دماغه وسقط ميتا فما كان مني إلا أن قمت مسرعا رغم علمي أن صوت هذا العيار هو تماما كالنادي في البراري لا احد يسمعها مطلقا ٠
أسرجت بعيري وقرنت معه البعير الآخر وعدت إلي دياري ٠
وسؤالي لك يأبني هل هناك ذنب علي ؟!
أنني لم أصوب سلاحي علي ذلك الرجل بل هو قتل نفسه لم أجاوب علي ذلك السوال بالطبع ٠

بل وقفتا كثيرا عند تلك العقبة والتي يحدث مثلها عشرات القصص المماثلة في هذا الجـزء المظلم من بلادنا ٠ كثير من القصص تدور في هذا المسرح الواسع والتي لا يعلم فصـولها الا الله وبعض شهود العيان الصادقين الصامتين والذين لا ينطقون أبدا ابدأ

٦٠/ هذه الصحراء ألكبري ستكون خطرا حقيقيا بالنسبة لكل الدول التي تقع حولهـا ٠ ستكون معضل للتمرد وسوق للمخدرات والتهريب وأوكار للعصابات وقطاع الطرق ٠ وانتهاك لحرمات المستضعفين من البسـطاء والفقـراء الـذين يبحثـون عـن لغمـة العـيش الشريف وبالتالي يصبحون

صيد ثمين للأصحاب النفوس المريضة والمغامرين من تلك الدول ٠ وهي ليبيا والسودان موريتانيا شاد نيجريا النيجر مالي المغرب والجزائر وتونس ٠

لو لم تجد هذه الدول وتسيطر علي هذه الصـحراء سـتكون هـذه الصـحراء هـي المنطقـة المعضلة لإفريقيا جنوب الصحراء حيث الفقر والجوع والمرض والنهب والتصلت

سوف تتحرك كل الشعوب الفقيرة مـن جنـوب الصـحراء والـتي يراودهـا بريـق للأمـل والاغتراب أذا كان في دول الساحل أو ما بعد المتوسط ٠

٦١/ رصدنا حركة الكثيرين عبر الصحراء سيرا علي الإقدام شعوبا مستضـعفة مقهـورة تحت ظلم واخفقـات الأنظمـة في حكومـاتهم ويمتـون عطشـا وجوعـا في الصـحراء لا استطيع أن امشي في هذه الصحراء حاسر الرأس حـافي الإقـدام ارتـدي خرقـا باليـة لا تستر حتى العري أي مستقبلا هذا الذي انشد ؟ وأي حياة كريمـة راجيـا التطلـع أليهـا ؟ وهل استطيع عبر هذه المحنة ؟ سقط الكثيرين دون تحقيق هـذه الأهـداف المطلوبـة ٠ أذن من المسئول ؟

كثيرين من المسافرين عبر الصحراء أصبحوا جنـودا في الحركـات المسـلحة ولأنـه اقصـر الطرق وأسلمها ونجاة لحين من الموت المسيطر علي أجواء الصحراء

ومثلهم تماما أولئك الذين يحاولون عبور المتوسط إلي دنيا وات لا حـدود لهـا ومسـتقبل واعد ومشرق كأضواء النهار في أوربا ٠ ولكنها سابع المستحيلات أن تعبر المتوسط علـي زورق صيد ٠ وتلك هي المغامرة التي يقودهـا سماسـرة الرقيـق الـذين يوعـدون النـاس

لمستقبل لا يملكون منه ضروب الحياة ولا مجريات الأقدار فيها لذلك كـان الكـثيرين مـن أبناء أفريقيا قوتا للأسماك ومخلوقات البحر الاخري ٠ أو صعدت أرواح الكثيرين مـنهم وبقية أجسادهم في قاع المتوسط ٠

من المسئول ؟

البحث عن المستقبل الحيـاة الأفضـل أمـر مطلـوب في كـل الأوقـات ولكـن في ظـروف الصحراء والسير علي الإقدام ٠ وظروف البحر والسفر علي زوارق الصيد ضـرب مـن ضروب الخيال ومحاولة تصنع المستحيل وقاتل الله الجهل والفقر والعوز والظلـم والقهـر والجبروت والطقيان ٠

٦٢/ استلمت أشارة أن هناك طائرة هيل كبتر سوف تصل إلي هذه المحطة ٠ مطلوب منا مساعدة طاقم هذه الطائرة في البحث عن عربة مفقودة منذ أكثر من شهر ونصف لم تصل الكفرة وبها ١٩ راكب ولم تسجل أي معلومات عن هذه العربـة في كـل الـدوائر الأمنيـة والسياسية ٠

ولم نمضي إلا هنيهة حتى حلقت فوقنـا تلـك الطـائرة ونزلـت وكـان علـي متنهـا خمـس أشخاص بالإضافة إلي طاقمها أكرمناهم وتحرينا معهم عن كيف فقدت هذه العربة ؟

ركبت معهم وصعدت بنا الطائرة إلي السماء سعدت كـثيرا بهـذه الرحلـة الـتي أتاحـت الفرصة أن أشاهد الصحراء من اعلي وخاصة وادي هـور الـذي أخالـه نهـرا حقيقـا في زمانه ولا اشك مطلقا في انه ألان يجري في باطن الأرض ٠

وبقدر ما سعدت بالصعود إلي السماء حزنت لأننا نبحث عـن مفقـودين لا شـك أنهـم ماتوا ودفنتهم رمال الصحراء التي تنقلها تلك الريح الخفيضة ٠ التي تزحف علي سـطح الأرض لتقطي الإحياء والأموات مع بعض وتواري تحت الثري كل من يقف في وجههـا كأنها تقول باطن الأرض خير لكم من سطحها أيها المستضعفون

٦٣/ صعدنا إلي السماء وبدأنا رحلة البحث عن هذه العربة المنكوبة تشـاهد كـل المعـالم علي الطبيعة وكلها بلون الغبار ٠ طـارت الطـائرة بارتفـاع مـنخفض حتـى نـتمكن مـن

العثور علي تلك العربة وصرنا نطارد السراب كلما اقتربنا منه تواري في دنيا العدم تـرك الأشياء عارية كما ولدتها الطبيعة ٠

رأيت في الاتجاه الغربي هناك شـكل هندسـي مربـع أو مسـتطيل ولكـن اختفـت معالمـه وحدثتني نفسي بان تكون تلك هي العربـة لكـنني لم اسـتطيع الحـديث عـن ذلـك المربـع بالصوت العالي لما لاحظته من جزع وخوف في وجوه أولئك الخمس في داخل الطائرة ٠

اتجهت الطائرة غرب مسافة ٣٠٠ كيلو وعدنا شمال نفس المسـافة واتجهنـا شـرقا وعـدنا جنوبا وهكذا كانت رحلة البحث المعنية التي متوقع أن ينجز منها انجازات محبطة ٠

وعندما بدا اليأس يدب في ابدأننا اقترحت علـيهم أن تهـبط الطـائرة بـالغرب مـن ذلـك المربع الثلاثي في الرمال ٠ وفعلا هبطنـا وكانـت المفاجـأة أن وجـدناها العربـة المشـئومة مدفونة تحت الرمال وكان المربع الذي رأيناه من علي اعلي هو عبارة عـن الزوايـا العليـا لصندوق العربة التي دفنت تماما تحت الرمال ٠

حاصرتها الرمال من ثلاث أجزاء وأصبح الجزء الشرقي خاليا مـن الرمـال ومنـه دخلنـا تحت العربة واستخرجنا خمسة جثث تم التعرف عليهم وبدأنا نبحث عن إل ١٤ الآخـرين ٠ وهنا تجلت خبرتنا في البحث عن ضحايا الرمال ٠

من الأشياء التي وجدنها تحت العربة مع الخمس هـي عبـارة عـن مجموعـة مـن جـولات الخيش والباغات الفارغة والمليئة وقربة جفت مـن المـاء ومنهـا علمنـا أنهـم فقـدوا المـاء والغذاء ٠ وبدأنا التحليل من المعطيات حتى نتوصل إلي الآخرين ٠

٦٤/ المعروف عندما ينفد الماء والغذاء يتحرك الكائن الحي للبحث عـن هـاتين السـببين من أسباب الحياة ومن هنا توصلنا إلي أن البقية دفنت بعيدا عن العربة يبدو أنهم قـرروا التحرك وفي اتجاهات مختلفة عسي أن يجدوا مـا يسـد الرمـق أو مـا يـروي الظمـأ ولكـن هيهات أن يتم ذلك وسط كثبان الرمال التي لا حدود لها ولا نهاية ٠

وعلي دائرة قطرها ٣- ٤ كيلو ومركزهـا العربـة تـوفي الجميـع تحـت الرمـال وأصـبحنا نلاحظ أي كوم من الرمال نجد تحته احدهم حتى جمعناهم جميعا وتأكـد لنـا انـه لم ينجـو احد ثم أتممنا مراسم الدفن وعدنا إلي المحطة وأرسلنا قواتنا لسحب تلك العربة المنكوبة

حزنا عميق خيم علي الجميع وحسرة كبيرة أضوت أهل الشهداء الـذين رافقـوا الطـائرة وتأثرنا نحن أيضا بمحطة جبرونا وعادت الطائرة وأسـدي السـتار عـن مأسـاة لم يتحـدث عنها احد بعد ذلك وهكذا تبتلع الصحراء أبناء بلادي دون رحمة ولا شفقة ودائما تبحث عن المزيد ويأتيها ذلك كما اشتدت العاطلة والبطالة والفقر والظلم ٠ في بلادنا ٠ وهـذا المشهد يتكرر دائما ولن يتوقف ارتحال البشر الذين دفنوا في الطريق إلي الكفرة ٠

٦٥/ بقينا بالمعسكر فترة دون حراك يلفنا الحزن وتمزقنا الحسرة علي أبناء هذا البلد ٠

رقدوا الجنود في خيامهم واسر قبيلة العطوية الـذين نشـقوا وتـركهم أمانـة في أعناقنـا ٠

لاحظت أن كل الذين قابلتهم يكحلون أعينهم رجال ونساء ٠

سألنا احدهم عن ظاهرة الكحل هذه فأجاب

أن الكحل يحمي العيون من هجر الصحراء وخاصة ظاهرة السراب التي تذيق الأبصار ٠ ويحفظ العين من عمي الصحراء والذي يحدث بتأثير السراب الذي يجعلك تري الأشـياء علي غير طبيعتها وحجمها وعنـدما وضـعت الكحـل علـي عـيني رأيـت الأشـياء علـي طبيعتها المتاقمة علي البيئة

هذا التأقلم علي البيئة أمر مهم للغاية لمن تدفع بـه الأيـام في أتـون الصـحراء الملتهـب ٠ ويتأقلم الإنسان كثير بالمراقبة والملاحظة والدقـة في متابعـة الأشـياء مـن حولـك ٠ وأي تفريط في الصحراء يعني النهاية ٠

الرقبة في الحياة هي سيدة الموقف لذلك نجد الإنسان يتعلم وبسرعة فائقة مـن الطبيعـة ٠ من أكثر الكائنات الحية تأملا الإنسان ٠ يستطيع أن يعيش في كل الظروف وكل الأجـواء في أي زمان أو مكان دون أن يتأثر بسلبيات البيئة وبالتالي يصـنع الحيـاة ويحـافظ عليهـا حتى ينجو أن كتبت له الحياة٠

* في شتاء١٩٧٩وبالتحديد في شهراكتوبر يوم ٩وفى تمام ١٠صباحا حلقـت مروحيـة في سماء جبرونا ودارت حول هذه النقطة الصـغيرة عـدت مـرات بـدأت الهبـوط تـدريجيا ماكان منا كعسكريين الاالدخول في الخنادق متـوقعين نـزول هـذه الطـائرة ولمحـت علـى جانبها علم السودان الذي جعلني اطمئن بعض الشئ٠

هذا الخوف الذي اعترانا يرجع لوضعنا في هذه الصحراء ونحن نمثل نقطة إنذار مبكر وذالك لتوتر العلاقات بين ليبيا والسودان في ذلك الزمن لذلك حمدت الله كثيرا عندما تعرفت على هذه الطائرة السودانية ٠

نبهت كل الموقع بالصوت العالي على عدم التعاون مع هذه الطائرة الأبعد تلقى أوامر منى شخصيا٠

حطت هذه الطائرة على الارض بالقرب من المعسكر في الاتجاه الغرب وسط غبار كثيف يكاد يحجب الرؤيا وأزيز يخترق الأذان واهتزت له الارض ونحن في صمت وترقب٠

أول النازلين من الطائرة كان قائد اللواء السابع وخلفه أركان حرب العمليات وخلفهما اثنين من المواطنين المدنيين وخمسة جنود مسلحين كحرس بعد طاقم الطائرة ٠نزلوا والخوف يبدو عليهم جميعا وتدور أعينهم في محاجرها بحثا عنا ونحن مختبئين في داخل الخنادق في صمت مريب٠

بدا القائد في الصياح مناديا الملازم محمد الطيب ،ياملازم فخرجت إلية بعد أن خفضت درجة الاستعداد في داخل الخنادق وخرج من بعدى الجنود من خنادقهم تاركين أسلحتهم في داخل الخنادق واتجهت أنا صوب الضيوف النازلين من الطائرة ورفعت تمام هذه القوة بعد ذالك طاف على الموقع وسلم على الجنود وبعد ذلك وجهني بالاتي:ـ

١. نحن على عجلة من امرنا٠
٢. سنترك معك احد المدنيين لكي يرشدك إلى الطريق المؤدى إلى مكان نزول هذه الطائرة لتأخذ في العربة المجروس كمية مناسبة من الماء وعدد ١٢ جندي
٣. الفرق كبير بين سرعة العربة والطائرة لكن سأنتظركم في الموقع الذي سنلتقي فيه
٤. ستصرف لك التعليمات هناك٠

*عادوا جميعا إلى الطائرة ماعدا المواطن الذي تركوه معي وأقلعت الطائرة في اتجاه الغرب وبقيت أنا اجمع واخترت مجموعة من الجنود ورفعت التعيينات والماء وأدوات الحفر وفى تلك الإثناء كان يدور في ذهني كثير من الاحتمالات حتى اصابنى تشتت فكر من كثره التساؤلات

*ماذا هناك؟ ولماذا قائد القيادة بنفسه وأركان حرب العمليات في مهمة في الصحراء أنا مكلف بتنفيذها ؟وماهى مهمة هذان المدنيان في عمليات عسكرية في الصحراء؟ولماذا أسرع في تنفيذ هذه العملية الغير معروفة وأسئلة أخرى كثيرة احتلت مكان التفكير في عقلي ٠

*سلمت قياده المعسكر للرقيب أول وتحركت مجموعتي عسى ولعلى اقتفى اثر تلك الطائرة التي لااثر لها على الإطلاق يرى على الطبيعة بل في الاتجاه الغربي وكلنا كنا في صمت مطبق كل يفكر على طريقته في هذه العملية المفاجئة ٠

*مضت ساعة ونحن متجهين في اتجاه الغرب فإذا بناء نرى الطائرة وهى تعلو فوق رؤؤسنا عائدة للمعسكر فتساءلنا مآبهم عادوا ولم نصلهم نحن فعدنا للمعسكر وبعد مضى ساعة وصلنا المعسكر ولم نجد الطائرة٠اعترانى شعور من الغضب الخفي والقلق المزعج وحتى اللحظة لم الملم أطراف هذه المهمة الغير معروفة٠وهذا الشعور كان يدور في أذهان كل الجنود الذين كانوا في جبرونا في ذالك الزمن ٠

*عندما نزلنا من العربة قابلني الرقيب أول وهو يحمل مذكره في يده وقال لي أن القائد ومن معه عادوا إلى الفاشر وتركو هذا المدني وهذه المز كره استلمت المز كره وأنا أتسال وماذا أيضا فقال لاشى ٠

*فتحت المز كره وجدت فيها بخط اليد كل تفاصيل العملية المطلوبة كان ذالك بعد المصالحة الوطنية السياسية التي حدثت في تلك الحقبة من الزمن وأما الرجلان من جيش الجبهة الوطنية الذين جاوا لغزو السودان وتركو عدد كبير من أسلحتهم مدفونة في الصحراء وحملوا ماخف منها واتجهوا صوب العاصمة السودانية وكان ذالك العام ١٩٧٦م ٠

والرجلان مبعوثان من قبل قيادة الجبهة الوطنية بعد المصالحة التي تمت لكي يرشداننا على أماكن الأسلحة المدفونة في الصحراء ٠

*جاء في مذكرة القائد انه يجب معاملتهم معاملة حسنة وتسهيل مهمتهم في البحث عن أماكن الأسلحة المدفونة على أراض تغيرت معالم الارض وتبدلت طبيعتها فعل لصحراء ذات الر مال متحركة لمدة ثلاث سنوات٠

*ومهمتي الإشراف على هذا البحث وترك الاجهزه مفتوحة للاتصال والتواصل مع قيادة الفاشر ٠

*بنا على ذالك أخذت الرجلان إلى مقر قيادتي وهى خيمة تتوسط المعسكر وقدمت لهم واجبات الضيافة وتعرفت عليهم أكثر وبدائنا الحديث عن المهمة المشتركة بيننا وقررنا أن نبدأ التحرك في صبيحة الغد ٠

*لاحظت في هذا اليوم لم يصل اى مدني من عرب الكبابيش العطويه الذين يسكنون حول محطة جبرونا لم يصل منهم احد للمعسكر وكانوا قبل هذا اليوم موجودون في المعسكر بصفة دائمة نساء ورجال وأطفال طالبين العلاج والماء من بئر المعسكر ٠علما بأنهم تحت مسؤليتى بصفة مباشره عندما تحرك الرجال والشباب منهم في موسم النشوق إلى الشمال وحملني زعيمهم مسؤولية الإشراف على العجزة وكبار السن والنساء والأطفال ومن واقع مسؤليتى هذه وفى هذا اليوم المزعج لم أرى فيهم احد لذلك سالت رقيب أول أن كانوا بخير فأجاب هو الأخر لم ياتى احد منهم إلى المعسكر اليوم ولأكن سوف نتحرك لكي نتمم عليهم وفى هذه الإثناء لمحت أن ضيوفي يضحكون بشكل خفي ووجهت لهم السؤال ممكن تقولوا مالكم ؟فسردوا لي قصة عجيبة ٠

*قال أكبرهم عندما جاءنا من ليبيا كقوة مقدمة وقمنا بتشوين مقدم بدفن الأسلحة والمعدات على طريق قواتنا التي تأتى من الخلف لتأخذ هذه الأسلحة من موقع التشوين وتتحرك في اتجاه الخرطوم٠

*تم دفن الأسلحة في ذلك الموقع الذي نحن بصدد البحث عنة غدا وبقينا نحن خمسة أفراد على مسافة كيلو لنحرس ونراقب هذا الموقع الذي دفنت فيه الأسلحة وكان معسكرنا عبارة عن ثلاثة شجيرات سلم بقينا تحت هذه الثلاث شجيرات وعلى مسافة كيلو من موقع الأسلحة المدفونة نراقب ونحرس وننتظر ٠

*في صبيحة احد الأيام جاءنا فرسان من هذه القبيلة بعد أن علموا بوجودنا في هذا المكان عن طريق رصدهم للراوية التي تحضر إلينا الماء من البئر والطائرة التي تحط عندنا في كل أسبوع مره وكان هؤلا الخمسة فرسان مسلحين وكانوا يركبون الإبل وقفوا على بعد ٢كيلو وبقى مع الإبل ثلاثة منهم وتقدم نحونا اثنان وبدئوا بالسلام فرحبنا بهم وقلنا لهم تفضلوا فجلسوا بحذر شديد يراقبوننا وماحولنا حاملين بنادقهم على أهبة الاستعداد ٠سألنى احدهم ((أنا سمعت بيك وماشفتك وقالوا عندك راوية بتجى بتملاها كل تلاتة يوم من البير والرعوية لقوكم في بكانكم دا ليكم شهرين ٠وانت بالذات أنا لقيتك قبل تلاتة يوم وسألتك قلت عندك ابل رايحة والليلة نحن جيناكم وعرفنا عندكم طيارة يتنزل كل سبة يوم الكلام دا صح ((رديت ليهو))ايوة صح)) وقال هو((انتو بلونكم الأزرق دا ما كبابيش والدار دى دار كبابيش ونحنا مادايرنكم هنا لأنو انتو بخليقاتكم دى أما انتو كاتلين ليكم ناس وجيتوا لبتوا هنا في دار الكبابيش أو تكونوا حرامية جايين تسرقوا وترحلوا من المحل دا وأنت ياابو عوينات الحمر أنت اكبر زول في الناس ديل وأنت المسئول والله وقسمت بالله محل ماعينى تقع فيك ما مابزيدك من طلقة قوموا))ورجعوا لي وراء (٠وقال حركت المخلايا المعلقة داير امرق المصحف وتأكد انه لوجدت لدينا قطعة سلاح في موقعنا كنا قد لقينا حتفنا) أخرجت المصحف قلت لهم يتعرفوا الكتاب دا قالوا اى دا كتاب الله ،طوالى ختيت يدي فيهو وحلفت اقسم بالله العظيم وكتابة الكريم أنحنا ماحرامية ولاكتلنا لينا زول وجينا نلبد في دار الكبابيش لأكن نحن عندنا مشكلة مع الحكومة في الخرطوم وطالما نحن في دار الكبابيش مانخونكم ابدأ والله على مااقول شهيد ٠بعد ذلك رأيت انو الناس ديل شوية هدءوا وقعدوا في الوطى وقلنا ليهم نادوا جماعتكم ديلك نادوا جماعتهم وعملنا اجتماع إنوا نحنا مانخونهم وهم مايضرونا وجهزنا فطور كويس فيه رغيف وجبنه وطحنية ومربى وعملنا شاي وتعاهدنا انو نحنا نديهم من تعييناتنا وهم يدونا من لبنهم ومن ذلك اليوم استمر الاتصال والتواصل والمعرفة بيننا وأهل ذلك الفريق وفى ذلك الوقت لم تكن هناك قوات مسلحة زى معسكركم دا وكانت حركة القوات المسلحة عبارة عن أطواف متنقلة في الصحراء

سرعان ماتعود إلى رأستها وأضاف أنة قابلهم وهو يحمل هذه الراوية وقد سئل مابة قال ابل ضائعة ابحث عنها منذ ثلاث أيام فتركوني لحالي ٠وذكر أنة معروف لكل أفراد الفريق ولماذا امتنعوا عن الحضور نسبة للعهد الذي قطعوه٠

*لاحظت ملاحظة أخرى أن هناك بالمعسكر خروف ضخم جدا وأليف جدا له شكل مميز فهو اسود شديد السواد وابيض شديد البياض قرناه مفتولان وفي غير العادة يتدلي ذقنه ولديه أصدقاء وأعداد من داخل المعسكر وتحركاته في وسط المعسكر تحركات عسكرية يقلد العساكر ويحضر تمامهم ٠ وقام العساكر بترقيته إلي رتبة عريف واضعين شريطين علي إذنيه أصبحوا ينادونه بالعريف الخروف ٠ وعلمت انه من بقايا ٥٠ خروف كانت تعينات للقوة التي سبقتنا في هذا الموقع ونسبة للزمن الطويل الذي مكثه في المعسكر أصبح يعامل كفرد من القوة ٠ هذا الخروف العريف انزعج كثيرا عندما وصلت الطائرة التي أحضرت المدينان وأصبح يتنقل من خيمة القيادة إلي فناء المعسكر جيئاة وذهابا كانه يود التعرف علي هؤلاء الضيوف ٠ بمرور الزمن تعرفت علي ضيفي أكثر

*في صبيحة اليوم التالي تحركنا في اتجاه الهدف وبعد مسير ساعتين و نصف وصلنا إلي الموقع المشتبه واخترنا انسب شجرة وضعنا فيها الماء والإعاشة وجمعت بقية القوة تم تنويرهم لأول مرة بالمهمة ووضعنا جدول زمني لبداية التفتيش ٠ أول مشكلة واجهتنا هي أن الطبيعة تغيرت كثيرا نبتت بعض شجيرات الأراك والسلم هنا وهناك وزحفت الرمال من مواقع بعيدة وتجمعت في هذا الموضع في شكل كثيب رملي ضخم وتاهت معالم المنطقة بالنسبة للضيوف

وبدأنا ندور في المنطقة هنا وهناك في دائرة قطرها ٢٠٠ متر مستخدمين أدوات المهندسين للبعث والكشف عن المعادن وهي عبارة عن كاشفات تعمل بالبطاريات والبرودرات ٠ كان يعمل الجميع بهم ونشاط ولكن رويدا رويدا بدأت تنخفض المعنويات لأننا لم تحقق أي نجاح ومن شدة حرص الجميع لتحقيق النجاح في هذا العمل المضني لم نتناول أي وجبة حتى مغيب الشمس فأمرت بالتوقف وأعداد وجبة وبعد ذلك خلد الجميع للراحة وأخذنا نتفاكر في كيفية بداية العمل في يوم غد بإذن الله ٠

*سالت ضيوفي أين كان مقر الحراسة والمراقبة لهذا الموقع بعد أن تم دفن الأسلحة فأجاب احدهم (ايوه ٠٠ المحل دا شمال الحتة دى والمسافة بين مكان المراقبة ومكان الدفن كيلو إنا قلت ليهو إذن الصباح نبدأ بالموقع اللي كنتوا فيهو ونجي منه كيلو جنوب قال التأني((لما قمنا ماشين دفنا برميل فيه باقي التعينات و٢ جراكن مويه ومعدات حفر)) قلت ليهم ((أول شي نبحث عن الحاجات دى في مكانكم إلي كنتوا مرابطين فيه بعد داك نمشي جنوب كيلوا إلي الموقع)) وبعد ذلك النهار الطويل من العمل المضني حولنا أن نخلد إلي الراحة ولكنه كان أطول ليل في الصحراء كل متشوق لاكتشاف هذا السلاح المدفون واعجنتني هذه الهمة العالية من الجميع خاصة وان الليل كان من الليالي المقمرة أي بمعني القمر ربيع كان رائع في كبد السماء

الأمر الذي جعل النوم لم يجد سبيله لعيون الكثيرين من المجموعة وظلوا يتانسون ويضحكون إلي أن ناديتهم أنا بصوت عال ومزعج٠ وحينها كنا نفترش المشمعات علي الارض أحسست أن هنالك حركة تحتي في الرمال الباردة كتما يدفع احد عصا تحت المشمع فثبت علي مكاني وضغطت بكلتا راحتي في موقع الحركة التي أحسستها وناديت علي الجنود فجاوا ومعهم مصباح يدوي وسألوني ما بك فأخبرتهم بأنني ضاغط علي شئ تحت الرمال فوقفوا حولي ونهضت من موقعي فأرفعوا المشمع فإذا بحية رقطاء تتلوي يبدو أنها داخت نتيجة الضغط الشديد الذي تعاملت به معها فقام الجنود بالقضاء عليها وسحبها من تحت المشمع يتهامسون حمد الله السلامة وبعد ذلك نمنا حتى الصباح وشربنا الشائ بعد الصلاة وتلفت حولي فرأيت مجموعة من الصقور (أبو صلعه) تصارع واحد منهم علي لقمة من الحية٠

*تحركت إنا واثنان من الجنود وضيوفي في اتجاه الشمال وبعد سير عدة خطوات ركزانا علي ٣ شجرات سلم ظاهرة علي بعد كيلو من الموقع الذي كنا فيه ٠ انفرجت أسارير الضيوف بعد تعرفوا علي تلك الشجيرات ووصلناها وبدأنا البحث حولها ووسطها حتى نتأكد انه هو الموقع الصحيح وفعلا وجدنا بقايا ما تركوه تحتها (برميل به بعض التعيينات) جف البصل والخبز ولكن بقيت الأشياء كما هي كأنها دفنت باللامس

ووجدنا أدوات الحفر ولجراكن كلها بقيت جيدة وتأكدت أن الصحراء لا تحوي بكتريا ولاارضة ولا صدا ٠ ومن نقطة المراقبة تحركنا في اتجاه الجنوب وكان اكبر ضيوفي يعد خطواته ونحن نتابعه حتى وصلنا الرقم فوقفنا وقال نبحث هنا ٠ كان هذا الموقع الذي حدده شمال موقعنا الذي كنا فيه باللامس وليس بعيدا منه بل يقع في حافة الدائرة التي كنا نبحث في داخلها ٠ وبدأنا نبحث وكان البحث صعب جدا نسبة لتراكم كميات كبيرة من الرمال علي مدي ٣ سنوات ولكي تبحث بكاشفات المعادن يجب أن نزيل كمية كبيرة من الرمال حتى يتناسب العمق من آلة الكشف فعلا بمجرد ما أن أزحنا الرمال التقطت الكاشفة موقع الأسلحة وأصدرت نغمات عجيبة ٠ ففرحنا وارتفعت الروح المعنوية وتقاسمنا الواجبات فيما بيننا وبدأنا نزيل الرمال في ذلك الموقع إلي أن ظهر أول صندوق مليء بالسلاح وكان بالطرف الجنوبي للحفرة والتي مساحتها ٢٠×١٠ متر وعمقها ١٠ أمتار وكانت مليئة با الأسلحة (بنادق رشاشات اربي جي هاونات ودو شكات وطبنجات وكل أنواع الذخائر الخاصة بتلك الأسلحة وأدوية للجروح) باختصار شديد أن كمية الأسلحة في هذه الحفرة عبارة عن شحنة ٤ عربات مجروس وبدأنا في ترحيل هذه الأسلحة إلي المعسكر ٠ وآخر شحنة وصلت إلي المعسكر ونحن معها كانت في تمام الساعة الواحدة صباحا ٠

*في صبيحة اليوم التالي أرسلت أشارة بأننا وجدنا التمباك إلي قيادة الفاشر وأسدل الستار علي عملية النسر العفن ٠

علاقة خاصة :-

بعد هذا الانتصار علي الطبيعة و متغيراتها ورمال الصحراء المتحركة شعرنا جميعا بنشوة الانتصار وأصبحنا نتداول الحديث الصادق والحركة السريعة والثقة فيما بيننا جعلتنا نحصر ونعد كشوفة بانوع الأسلحة والذخائر و المعدات والأدوية التي وجدناها بدقة متناهية وتم إرسال هذه المعلومات بإشارة إلي قيادة الفاشر وطلبنا عربات أخري لنقل هذه الأشياء ٠

*تفرغت وضيوفي الذين جاءوا لهذا الغرض وأصبحنا نتعارف أكثر في جو مليء بالوطنية والإخاء والمودة ودارت أحاديث عن الأسباب التي جعلتهم معارضة وكيف تجمعوا في ليبيا وكيف وصولوا إلي جبل كوسو حيث كان التدريب هناك تحت عنوان الجبهة الوطنية السودانية لتغير نظام الحكم في السودان ٠

*ولكن بكل أسف وهذا علي لسانهم بان أول اختلاف كان بينهم كان علي مستوي القادة حيث رجعت قيادة الوطني الاتحادي وتخلت عن المشروع بأكمله وعادة إلي ليبيا وبقيت معنا قيادة حزب الأمة متابعة ومشرفة علي التدريب والتشوين الأمامي وسير المشروع لنهايته ٠ أسندت قيادة هذه القوات إلي ضابط متقاعد احضر من اروبا لتنفيذ المهمة ٠

تحدثوا بإذهاب عن ذكريات تلك الفترة وهم مليئون بالرعب و الحزر في أن تطاولهم قوات الحكومة في أي وقت حيث أنها تملك الطيران والصحراء مكشوفة لذلك كانت تلك الفترة مليئة بإحداث مثيرة وطريفة وذكوا احدهم وبينما هم نيام في احد معسكراتهم في الصحراء بعد يوم تدريبي شاق كان احدهم يستقل المقاعد الأمامية في احدي الشاحنات لنومه وبينما هو نائم يتقلب ضغط علي آلة التنبيه في العربة (بوري) وكان لها صوت مزعج افزع النائمين وفروا من موقعهم كل يجري في اتجاه وصعدت مجموعة منهم في سيارة و بارحة المكان حتى أن اصتطمدت بأحد الكثبان الرملية وراح ضحية هذا الموقف ٣ من جنودهم ولم يعد الآخرون إلي الموقع حتى في صبيحة اليوم التالي بعد أن تأكدوا انه ليست هنالك معركة في موقعهم وليس هناك تدخل من أي جهة بل كان السبب هو احدهم وبالتحديد الذي كان نائم في الشاحنة ٠

ضحكنا كثير لمثل هذه القصص الصغيرة التي تصاحب التدريب في ظروف غير عادية خاصة وسط أناس يتطلعون للسلطة بطريقة غير شرعية ٠

*أهدني نصيحة قيمة للغاية مازلت اذكرها وسأظل إلي أن يقضي الله أمرا كان مفعولا إذ قال لي أكبرهم :-

- أرجوك يا محمد يا ابني طوال ما أنت شغال في العسكرية ما تخون الرجال وما تخون أخوانك لأن ربنا ما بكتب ليك النجاح وأنت خائن ٠

- قال في قضيتنا هذه أول حاجة السياسيين الكبار عينوا لهيم مجموعة داخل قوتنا وقالوا ليهم انتو بعد تصلوا الخرطوم وتنجح العملية اقتلوا القايد دا لأنه أنحنا ما دايرين لأنه عسكري ٠

- لما انفصلت قوتنا من القادة الكبار السياسيين واتجهنا إلي الخرطوم معنا القائد العسكري المكلف أمرنا بطاعته وتنفيذ أوامره ما عدا المجموعة المكلفة بقتله بعد ما تنجح العملية ٠

- لما خلاص قربنا للخرطوم قام القائد عين ١٠ ناس والغريبة فيهم ٥ من المكلفين بقتله كلف ديل انه بمجرد ما تنجح العملية وتجي طيارة السياسيين في المطار يضربوا بما فيها من سياسيين أنا لمن أصل الخرطوم اتصل بكل قادة الوحدات في الخرطوم لأنني بعرفهم وفيهم مجموعة دفعتي و نستلم البلد بدون قتال بعد داك نرقيكم وأي زول داير حاجة نديها ليهو ٠

- لهذه الأسباب لم يكتب لنا النجاح وبالتالي خسرنا المعركة وخسرنا أنفسنا بسبب خيانة الرجال ٠

- ولم يسعني إلا أن اقبل هذه النصيحة وهي عبارة عن مجموعة دروس مستفادة من تلك التجربة المريرة ٠

● ومن ضمن ملاحظاتي أن عدت بتفكيري إلي ذلك الخروف العريف الذي أصابه الخوف والقلق عندما استيقظ الصباح ووجد هذه الكميات من الأسلحة وصناديق الذخيرة انزعج كثيرا ولاحظته يدخل خيم المعسكر واحدة تلو الاخري كأنه يبحث عن إنسان بعينه أو يريد شرحا لتلك الأشياء التي استقرت في موقع التمام لذلك ظل يدور ويدور حتى اهتدي أخيرا إلي أن المسالة لا تستحق القلق ٠

● عجبت كثيرا لأمر الصحراء أنها تجمع بين الناس والحيوانات في أن يعيشوا في جماعة وان يتعاونوا لتنزيل تلك الصعاب التي تواجه المخلوقات جميعها في الصحراء وهذا

الخروف العريف الذي أصبح يستأنس بالبشر دون القطيع يأكل أكلهم ويشرب معهم ويختال في مشيته كالجنود تماما مثل أم قير دون الحاجة الطائر الحذر جدا في أجزاء السودان الجنوبية وصديق يتعلق برأس الإنسان وكتفه في الصحراء ٠

- غريبة هي الصحراء وغريبة هي الأشياء فيها وظل ذلك الخروف يعيش قبلنا واثنا وجودنا وبعدنا عندما احتلت قوة أخري الموقع وتم تسليمه لهم كعهدة محطة لم يشأ الجميع أن يذبحه ورفضوا جميعا أكل لحمه ولم يحتملوا أن يروه مذبوحا ٠

- عجبت كثيرا وتأثرت أكثر بمنظره يوم رحيلنا عن جبرونا وكلما انظر إليه أتخيل انه يذرف الدمع تلك هي الصحراء٠

- انقطعت أخباره عني بعد ما نقلت من قيادة الفاشر وأكد لي معلومة مفيدة جدا أن التعاون بين كل الأشياء مهم جدا في الصحراء ٠

وادي هور :

٦٦/ هور بفتح الهاء والواو يعني هويرة والهويرة هي البئر القديمة التي دفنتها الرمال بغطاء لا يتحمل المشي عليه ويمكن أن ينهار أن كان الوزن الذي مر عليه ثقيلا ٠ ووادي هور منسوب ألي كثبان من الرمال التي انهالت علي مجري الوادي وكونت طبقة رملية عليه أي دفنت تماما ٠

وادي هور هذا الأمل الأخضر الجميل الذي يقع في وسط الصحراء ألكبري والتي تبدأ في القطر الليبي وتنتهي علي خاصرت السودان٠ ويميز لسانها بااللون الأخضر حتى يتجاوز مدينة الأبيض واطلت علي كوستي ونخشي منها علي النيل الأبيض الذي أصبح قاب قوسين أو ادني ٠ يجري وادي هذا النهر الموسمي من المغرب ألي المشرق حيث ينحدر من مرتفعات جبل مرة الشرقية وهو عبارة عن مجموعة أودية تنحدر من الميول الشرقية حيث خط تقسيم المياه التي تجري من قمم جبل مون وجبال سي التي تقع تحت مدينة كبكابية في الميول الغربية لهذه المرتفعات والتي تمثل مجموعة سلاسل جبلية مكتملة من جبل مرة والذي يجثم علي هضبة ارتفاعها اثنين ألف قدم حتى يصبح ارتفاع تلك القمم

ثلاثة عندما تأتي ألي جبل مرة من اتجاه نيالا ومتوجاها إلي كـاس نحـس فعـلا في حالـة صعود مستمر إلي سفح جبل مرة وتبدأ الرحلة الصعبة من الصعود ٠

٦٧/ تنحدر مجموعة أودية من المرتفعات الشمالية الشرقية لجبل مرة وتأتيها أودية أخري من الاتجاه الغربي لمدينة كتم وأودية من شرق شاد وتجتمع كلها شمال كتم مكونـة وادي هور الذي يصب في نهر النيل في أقصي الشرق وشمال مدينة الدبة ٠

ظل هذا النهر الموسمي هو الأمل الأخضر كما اسماه الكثيرين وهم يحدثون الصحراء ٠

ظل هذا الوادي يقاوم الزحف الصحراي عشرات السنين وهو قادم من الشـمال ليـدفن كل مجاري المياه والخيران والوادي وأي مسـطحات مائيـة علـي طريقهـا ونحـن نعلـم أن العلاقة بين الصحراء والماء مثل العلاقة بين الحراز والخريف ٠

تقدمت الصحراء في رحلة طويلة ٠ وبعيدة من أقصـي شمـال القـارة وهـي متجـه إلـي أعماقها تقدمها جحافل الرمال الناعمة

التي تسوقها الرياح الخفيضة والتي تحمل ذرات الرمال الناعمة لتردم الطريق أمام جحافل الجدب والمحل والجفاف القادمة ألينا من شواطئ المتوسط ٠

لم يصمد وادي هور طويلا أمام هذا التيار القوي من الرمال الناعمة التي ردمت مجـراه ٠ تواري وأصبح في تقديري مجري في باطن الأرض حتى يصل مصبه بردا وسلاما ورطوبـة تحسها ليلا في منطقة الواحة بالقرب من الدبة ٠

مازالت هذه الأودية التي تكون مجري الوادي الرئيسي قويـة ومنحـدرة وسـريعة الجريـان ومحفورة و سرعا نما تجتمع لتبطئ في جريانها تبدأ مرحلة الشيخوخة ثم الاندثار والقوص تحت الرمال الناعمـة ولان هـذا الـوادي يجـري في بـاطن الأرض نجـد أن سـطحه ملـئ باللقطاء النباتي الأخضر مثل أشجار ألمرخ والسـلم ومجموعـات أشـجار الأراك ٠ نبـت هذا ألقطاء النباتي علي سطح الأرض الـتي يجـري تحتهـا الـوادي في مرحلـة الشـيخوخة ويتسع عرضه في بعض المناطق إلي ٢ – ٣ كيلو كلها خضراء بالأشـجار المـذكورة حتـى يصل المصب شمال مدينة الدبة علي نهر النيل ٠

تحت هذه الأشجار يوجد الماء حيث أن البئر لا يزيد عمقها عن المترين وبتواجد المياه في هذا الوادي كثرت حيوانات الحياة البرية أعدادها مهولة من الغزلان ٠انواع مختلفة من ا لقطعان تعيش في هذا الوادي وأنواع كثيرة من الطيور ومن هنا تحضرني قصتان:

٦٨/ الأولي وتتعلق بالصيد ونسبة لوجد هذه القطعان فتحت شهية الكثيرين للاصطياد واكل لحوم هذه الغزلان التي لا ممنوعة ولا مقطوعة ٠

تم تنظيم رحلات للصيد وبشكل مستمر

وأكلوا حتى شبعوا وخزنوا كميات كبيرة من اللحوم الجافة (الشرموط) تحدثت معهم كثيرا بان هذا الصيد محروس كما تعلمنا من أهلنا والقول الشائع بان تقتل الصيد ولكن لا تسرف ٠ ومحا زير كثيرة تؤكد ذلك ٠ وهناك من سمع وهناك من لم يسمع٠

وصبيحة احد الأيام ونحن خروج من محطتنا في أطواف تجوب المنطقة وجدنا اثنين من الغزلان يبدو أنها زوجان ذكر وأنثي ولأول مرة يراودني سحر الصيد بعد تلك المرة التي لم تكن من نصيبنا في ذلك اليوم حيث أنها أختطفت بواسطة حيوانات لا ندري ما هي ؟ أوقفت العربات وأمرت العربة الكبيرة أن تستمر في السير علي نفس الاتجاه حتى نحضر لهم صيد للفطور ٠ أمرنا سائق العربة اللاندكروزر بان تتبع الغزالتين ٠ كنا أربعة السائق وأنا في الأمام وعامل الجهاز والحرس في الخلف وإسراعنا في مطاره تلك الغزالتين وصعدتا تل رملي وصعدنا خلفهما وكنا لا نعلم أن ذلك التل هو عبارة عن كثيب هلالي محدب من جهة صعود الغزالتين ومقعر من الجهة الاخري ٠ صعدتا الغزالتين ذلك التل مسرعات بسرعة واختفت وجاء دورنا ونحن مسرعين بسرعة وهوينا من الجانب الأخر في فراغ لا ندري نهايته وسقطت العربة ولكن لحسن الحظ علي اطارتها الأربعة من قمة التل التي ترتفع خمسة أمتار ٠ سقطت العربة علي اطارتها الاربعه وقفزت مرة آخري وسقطت وقفزت مرة ثالثة واستقرت أخيرا تحاكي بذلك كرة القدم التي قفزت من بعيد والغريب في المسالة عندما قفزت العربة من ذلك التل استقر عامل الجهاز والحرس علي قمة التل الرملية وخرجنا أنا والسائق عندما اصطدمت في سقطتها الأولي التي فتحت فيها الأبواب ولا ندري كيف كان بل وجدنا أنفسنا جميعا علي

الارض وتدحرجت العربة وحدها والقريب أيضا إنني كنت احمل رشـاش بداخلـه خمسـة طلقات من عيار ٩ ملم سقط من يدي وخرجت كل الذخيرة الـتي بدخلـه ولم أجـد لهـل اثر ٠

بقينا علي الارض قرابة العشرة دقائق وتدحرجت العربة ثم وقفت علـي بعـد ١٠ أمتـار تقريبا ونحن في حالة ذهول وعندما استقرينا سالت الجميع هل انتم بخير ؟

قالوا نعم ٠٠

قلت لهم ٠٠

لقد سلمتنا العناية الالهيه ارجوا أن لا نبحث عن الفطور مرة أخري ونكتفي بما عنـدنا ٠

ارجعوا العربة ارجوا آلا يكون أصابها شيء ٠ وجدنها سليمة فقلت لهم :

هيا اركبوا لنلتحق بالآخرين ٠ مافي داعي للصيد اليوم ٠

لنلتقي بخواننا ٠ ولكن بمجرد ما تخطينا ذلك التل وجدنا نفس الغزالتين فقال السائق

لا بد من قتلهما يا سيادتك كنا نموت بسببهما

لم اشا أن أقول له شيء لأنني اعلم انه في تلك اللحظة لا يتراجع مطلقا ٠ وتحـرك مسـرعا نحوهما ٠

طردناهما وبعد ثلاثة دقائق فقط استطعنا اللحاق بإحداهما وقفت ولم تستطيع الجـري – بعد ثلاث دقائق كاملة والعربة خلفهما ونزل الاثنان اللذان في خلف العربة ٠ بـل نزلنـا جميعنا واستلمناها وطرحنها أرضا لنذبحها ٠ ولكنني لاحظـت أنهـا مصـرورة أو مصـررة هذا يعني أنها غير مسموح لها بإرضاع جنينها وهذه العادة عند العرب تعني الحفـاظ علـي اللبن قبل أن يسمح للجنين أن يرضعه من ثدي أمه ٠ ولكن تلك عادة العرب وثـروتهم الحيوانية حيث أنهم ير بطون أثدا حيواناتهم الأناث لايرضع الجنين اللبن كله ولا يسمح له الأبعد أن تحلب الأنثى .. وهى العمليـة تسـمى (التصـرير) ولكـن مـن الـذي يملـك الغزالة ويصررها للحفاظ على لبنها والجنين الذي يتوقع أن يرضع لبن أمة هذا؟!

أسئلة جعلتنا نرفع السكين من عنقها ونطلقها دون تردد ودب الخوف على أوصالنا.. ولم تشأ هي أن تجرى مره أخرى بل وقفت تنظر ألينا بدهشة.. كيف أننا تركناها ؟!

وكنا في صمت ولحقنا بالآخرين دون كلمة وسألنا أين الطيور الطازجة لم نجب!!! وعندما كرروا السؤال قلنا بصوت واحد لم نجد ..!

أما الثانية تتعلق بالطيور في الصحرا أنها كثيرة وأنواع عديدة ولاكننى أدون هنا ملاحظتي عن الطيور الجارحة ونسور الصيد منها كثيرة في بلادنا وخاصة هنا في الصحرا.. أول ملاحظة أنها تعيش علي جناحيها أي تعيش طائرة في الجو معظم الوقت ولاتنزل الاأحيانا وعلى أعلى القمم أذا كانت جبال أو أشجار وبما أن الأشجار العالية قليلة جدا في الصحرا إذ تنزل أحيانا على القمم العالية من شامخات الجبال .

لاحظت أنها تصطاد اي شئ الغزال و الفار تحلق دائما على ارتفاعات عالية جدا وتستخدم حدة بصرها في البحث عن فريستها هي أنواع منها شاهين أو الباسق وألحدا والعقاب وأنواع كثيرة لاعلمها ولا اريد الخوض في الحديث عنها ولاكننى أريد أتحدث عن غموض الصحرا في طبيعة المخلوقات فيها والطيور الجارحة هذه لاتراها مطلقا ولأكنها موجودة . حركت الإنسان على الطبيعة دائما تسير الحيوانات والطيور للتحرك من أوكارها ولحظتها يجد الصقر فريسته فيقضى عليها مثل البرق الخاطف وهنا يسير الدهشة ويحقق المفاجأة في الإنسان المتحرك الذي أزعج الفريسة وجعلها تخرج من مخبأها لتجد في انتظارها هجما شرسا غير متوقع من جوارح تعانى الجوع والحرمان في سماء الصحرا ..

وعلمت أن مثل هذه الطيور وهى هاجمة شخير أجنحتها مثل مروحة الموتر وهى عابرة فوق الرأس ..وان سرعتها وهى عابرة تقدر ب ٣٠٠ كيلو في الساعة وضربتها تساوى ٥٠٥٠ رطل .

الذي ادهشنى وبينما نحن نتنقل في الصحرا رأيت هذا الصقر الصغير جدا يصطاد الغزال رايته مسرعا كالصاروخ ليضرب الغزال في مقدمة وجهها ويكرر هذا الفعل جيئة وذهابا حتى وقفت عن العدو وأصبحت تدور حول نفسها وتسقط أحيانا أسرعت اتجاهها ورايته على الأرض لأول مرة اراهو وعندما اقتربت منة طارا ولاحظت أن وجه الغزال ملئ بالدما فامسكنا بها وجدنا أنة فقع عيناها وأصبحت لاترئ ولا تدري الي أين

تذهب عجبت كثيرا لأمر هذا الطائر علمت أن هذا الطيور مهاجرة وتأتى لشمال أفريقيا من اروبا عندما يحل الشتا بها وعندما تنوى الرحيل من اروبا لشمال أفريقيا يبلع بعض الحصى ويحتفظ بها في زوره ويشد الرحال عبر المتوسط حتى يصل شمال أفريقيا وتستغرق الرحلة أياما وليالي وعندما يصل يهبط عند قمم الجبال وهو متعب ويتغئ تلك الحصى لتبدأ رحلة الصيد في الأجواء الدافئة في إفريقيا.

أن هذه الطيور ظاهرة مدهشة ومحيرة في الصحراء الكبرى الإفريقية وتحقق تلك ألمفاجاءة أن كنت لأتعلم وجود هذه الطيور في سماء الصحراء.

٧٠/ نعود مرة أخرى إلى الوادي اى وادي هور حيث مغر المحطة جبرونا حيث نقيم نحنن..هناك مناطق أطلقنا عليها أسم معابر الرياح وهى مناطق تجرى فيها الرياح بسرعة جنونية ودائمة الشتاء ساعات النهار والليل وفيها حركة الرمال مخيفة لحد كبير حيث انك لاتتملك نفسك من إعلان الخوف والذعر .. وذالك انك أذا جلست ١٠ دقائق والتفت خلفك تجد كوما من الرمال تكاد تنهال عليك..تختفي فيها الآثار بسرعة وللرياح صفير وزعير وعوا ترتعد له الفرائس وأحيانا تسمع عويل الريح وبكاءها ونواحها وهى تعبر ذرا الكثبان الرملية وفى المنحنيات وسطوح التلال أنها بجار من الضجيج تثر الحزن والألم والغربة والاكتئاب والوحدة في تلك البقاع النائية في بلادنا..

أن الحياة في أحضان هذه الطبيعة القاسية تورث الهم والغم والندم ولأكن حال الدنيا تمر أيام وتتعدى .هذه الأماكن مدهشة ولاتاتى إليها ألا لماما ..

جبل راهب ..جبل العطرون..واحة النخلية ..هذه معالم مهمة علي ضفة الوادي الشمالية ..جبل العطرون يقع شرق جبل راهب شمال واحة النخلية في الشمال الغربي..

٧١/ جبل العطرون من الأشياء الغريبة في الصحراء الغربية تصور أخي القارئ جبل بالتمام والكمال من العطرون لم يستفاد منة إلا بضع لوارى تنقل ماالستطاعت ألي بعض المدن من دارفور أو الشمالية ..ولا تخلو المسألة من المغامرة بالمسير في الصحراء والمجازفة مع قطاع الطرق كما أسلفت الصحراء كلها أصبحت وكر امن لكل أنواع العصابات وقطاع الطرق والمغامرين والهاربين من القانون وبالذات فاقدي الهوية

وتجار المخدرات والحركات المسلمة لكل دول جنوب الصحراء .. جبل راهب على سطح هذا الجبل الغربي تقطن أمراه تسمى خادم الله تنسب إلى الكبابيش العطويه يفوق عمرها الستين في ذلك الزمن تقطن هذه المراه في بيت من الشعر والحطب الرفيع ولديها مجموعة أغنام تعيش على ألبانها .. تقطن وحيدة في هذه المكان الموحش .. أمراه كاملة العقل والصحة وكريمة ومضيفة أحيانا تخطى بعض العربات الليبية الطريق وتمر بها فيمدوها بالدقيق والسكر وهى تعز الجميع الذين عبرو بها بهذا الموقع .. وهى ظاهرة تستحق أن يقف عندها الناس في ذلك الزمن .. قالت بالحرف الواحد .. (الخلا ولا الرفيق الفسل) واحة النخلية .. هذه الواحة لايقطنها إلا الفراغ وعمتها الخضرة والجمال إلا أنها مخيفة وصامتة صمت القبور البحيرة فيها مالحة ملوحة البحر .. ولكن على بعد متر من ماءا لبحيرة المالحة ..نجد ماء عذب .. على شواطئ هذه البحيرة غابات من أشجار النخيل القصيرة القوام يمكنك أن تجلس تحت الشجرة وتتناول من ثمارها وأنت جالس تحتها .. والغريب في الأمر أن هذا البلح تحصده قبائل القرعان الشادية ..حيث تأتى قوافلها من داخل شاد في موسم حصاد البلح لتجنى ثمار هذه الغابة من النخيل علما بأنها موجودة في داخل السودان .. هذه المنطقة قابلة أن يسكن فيها الإنسان ويقوم فيها مدينة وسط الصحراء..

٧٢/ في الصحرا طرق مخصصة لتهريب الإبل بالأرجل مثل طرق تهريب الناس التي اكتشفناها وأصبحنا نسدها ليس منعا للناس من تحقيق أحلامهم المشروعة ولكن حفاظا على أرواحهم من المهالك .. في هذه الصحراء يتوه الناس يبحثون عن الظل نهارها وكان منظرهم رهيب يستظلوا بشجيرات لا يفوق ارتفاعها العشب٠..نجد كل عشره أشخاص تحت الشجرة ليدخلوا رؤؤسهم تحت ظل لا يثمن و لايغنى من جوع .و تجدهم يرسمون لوحة دائرية مركزها هذه الشجيرة العديمة الظل .. أما الإبل يسوقونها عبر أراضى مكسرة ومنحنيات للكثبان الرملية البعيدة أيام وليالي حتى تصل بعد ثلاثة أسابيع ..و هي ثروة حيوانية سودانية مهربة مخالفة لقوانين الصادر وسلطة الدولة٠ نسبة

لجور هذه القوانين المخلة التي جعلت هؤلا المغامرين لإهـدار مقـدرات الدولـة. وتـدمير اقتصادها.

المحور (ب)

يوليو ١٩٧٩

***الأبيض**

٧٣/ مدينة ترهلت وأصبحت مساحتها ١٧ x ١٧كيلو نزحت إليها كل قبائل شمال كرد فان من كل حدب وصوب...أهل الريف الذين غلبتهم الحياة في قراهم البعيدة جف الضرع والزرع وتوقف المطر وصارت الأرض الولود عاقرا والأرض اليباب مابتنشتل .. تقاطر الناس زرافات ووحدنا جنوب هذه المدينة الهرمة والتي أنهكها التعب وأرهقها الصيف الطويل والمحل .وامتدت إحيائها حتى شملت الريف القريب جاءوها دونما علم أو معرفة.

هجرها من قبلهم أهل العلم والمعرفة والمال بعد أن ضاقت بهم حتى وهى الرحيبة التي وسعتهم عشرات السنين ورضعوا من ثدييها حتى شاخ البعض وشب على النزوح النبيل إلى الخرطوم أو إلى خارج البلاد إلى بلاد الضباب وكثيرين من أبناء الأبيض ألان في اروبا و امركيا.

هكذا الحياة هجره وهجره من الله والية لامفر من أقدار الله أن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض انفذو لا تنفذوا إلا بسلطان.

لم يسأل احد لماذا الهجرة والنزوح منها وأليها صعبت الحياة فيها وهى الغرة أم خيرا بره .

لم يسأل احد كيف اضمحلت وصارت ركام يخيم عليها الفقر وعاشت بها المأساة .

لم يسأل احد كيف شاخت هذه المدينة وهى في سن الصبا.

لم يسأل احد كيف شحبت الوجوه ذات الخضرة الدفاقة أيام الزمن الجميل .

احد أسباب هذه الهجرة التي لم يدرى كنهها الكثيرين من أبناء شمال كرد فان هو الجفاف والتصحر الذي ضرب البلاد وتخطى الأبيض إلى جنوبها وأصبحت منطقة شمال كرد

فان ومناطق أخرى شرقها وغربها هدف للزحف الصحرواى القادم من الشمال الغربي والشمال ويقود الصحراء الكبرى إلى العمق الافريقى ونحن لاندرى وندري.

ضرب الجفاف والتصحر كل القرى والمدن حول مدينة الأبيض لذلك هجرها الناس وانضموا جميعا للمدينة المعطاة التي نضبا معينها وجفت مواردها وأصبحت هي الاخري قرية كبيرة مترهلة ٠ ولم يري احد كيف حدث ذلك ؟

٧٤/ كلما اتجهنا شمالا نقابل جحافل الصحراء قادمة إلي الأبيض وما بعدها وجدنا أعداد كبيرة من الكثبان الرملية تمركزت في منطقة أم قوزين ويبدوا أنها في انتظار البقية القادم إليها لتغير هذه المدينة المنكوبة وأم قوزين تقع في الشمال الغربي لمدينة الأبيض وعلي طريق سودري وتقع شمال جبل ابوسنون غرب الأبيض علي طريق النهود ٠

كلما اتجهنا شمالا كلما توغلنا في رمال لا علم لنا بها ووجدنا كثير من القرى الخاوية المهجورة التي تركها الناس بحثا عن الماء والغذاء ٠ قري حاصرتها الرمال وهي خالية إلا من بعض الكلاب الضالة أو الحمير الهياكل التي أصبحت لا تفيد تركها أهلها في سبيل الله ولم نري الناس إلا في أم كريدم علي بعد ٥٠ كيلو شمال الأبيض ٠

كانت الهجرة إلي الأبيض من كل الاتجاهات وألان الصحراء عبرتها جنوبا ونمت غابات من العشر والكرسان واللالوب وكلها أنواع من الأشجار عديمة السيقان تنمو في الصحراء ٠

٧٥/ كيف قدنا الصحراء إلي بلادنا ؟

لا أريد أن أتحدث عن عناصر البيئة ومسببات التصحر لان هناك من هو اعلم مني في هذا الشأن ولكن حديثي عنها بهذه الكيفية قد يثير البعض ليقفوا في هذا الخطب الجلل الذي يهددنا في ديارنا ٠ وتحليل إلي أن جرعات المعرفة والعلم والمعلومات التي تلقيناها في مدارسنا ومعاهدنا العليا مهم جدا أن نعكسها علي واقعنا حتى ننتشل بلادنا من وهدة الضياع ٠

بعض مسببات التصحر في تقديري هي :-

- القطع الجائر للأشجار
- الرعي الجائر للمرعي
- الزراعة الجائرة

وأضيف إليها أن نمط السكن في بلادنا وخاصة الأقاليم الغربية اعتمد علي القطيه والدر دور والركوبة والكرنك والحوش ٠ هذه الأسماء هي مكونات القرى والمدن في معظم أنحاء السودان ٠ وكل المواد المطلوبة لصناعة هذه المساكن مستجلبة من الغابة ٠ وبالتالي الأمر الذي جعلنا نفتقد ألقطاء النباتي بأكمله ونحن نشيد مساكننا لذلك مهدنا الطريق أمام زحف الصحراء والتي أصبحت تهدد حياتنا ٠

كان لا بد لنا من تغير هذا النمط السكني المضر بالبيئة وليس أمنا لساكنيه ٠ وكان لزاما علينا أن نزرع الأشجار وبكثافة حتى ندرا عن أنفسنا خطر الصحراء وعذابات النزوح والهجرة ٠ وفي الأعوام ٨٤ – ١٩٨٥م كانت الهجرة المحنة من شمال كرد فان إلي أم درمان والتي جاءت علي أثارها مأساة الموت ٠ تلك المنطقة التي استبرقت في السودان بأنها نقطة الناهية لمعانات الكثير من البشر والحيوان الذين ارادو الحياة ولم يجدوا إلا الموت في الانتظار٠ واختلطت فيها عظام الناس بعظام الحيوانات وأصبحت شواهد علي جدار التاريخ العام ١٩٨٤م لا ينسي في بلادنا٠

٧٦/ اتجهنا شمال غرب قاصدين سودري والرمال تكاد توقف حركة دوران إطارات السيارات ٠ وغابات المرخ تسد الطريق والمرخ نوع أشجار الصحراء أشجار خضراء طول السنة ورخوة جدا وغير شوكيه اعتادت عليها الإبل وبعض حيوانات الصحراء قطعان من الإبل ترعي علي جانبي الطريق ٠ وهناك في الأفق البعيد بعض القمام يطل قمم جبال تنه وعلي امتداد البصر شرقا وغربا تري سلاسل جبلية تنفصل عن بعضها أحيانا وتتلم مرات ولأول مرة اكتشف أن في شمال كرد فان هذا الكم الهائل من السلاسل الجبلية والمرتفعات ٠ لم ندرسها في التاريخ ولا الجغرافية وبعد ذلك كانت هذه الجبال مصدر بحث لي وتبعتها من المرتفعات غرب أم درمان واستمرت غربا مرورا بجبرة

الشيخ وحمرة ألوز وسودري وكلها سلاسل قد تلتم أحيانا أو تنفصل وتكون في جبال منفصلة وتصل أم بادر وتمر بواحة أم قوزين في شرق أم كدادة حتى جبال ميدوب والتي يتوسطها جبل عيسي وتمتد هذه السلاسل الجبلية غربا حتى تصل جبال مرة في أعلا هضبة دارفور وتمتد هذه السلاسل حتى تصل شاد٠

وهذه السلاسل الجبلية تفصل الصحراء إلي جزئيين جنوب هذه الجبال عبارة عن صحراء غنية أي فيها بعض ألقطاء النباتي الذي في طريقه للزوال ومازال بها بعض الموارد المائية وبعض الناس والحياة البرية ٠ وتسمي دار الريح

أما شمال هذه السلاسل الجبلية صحراء جدبا وقاحلة ولا فيها إلا الماء ٠

٧٧/ هذه السلاسل الجبلية الممتدة شرقا حتى أم درمان وغربا حتى جبل مرة تمثل حاجز صد لهذه الصحراء أو لو استطعنا الربط بينهما بقطاء نباتي يفصل الفراغات بين هذه المجموعات الجبلية ومنعنا القطع الجائر والرعي الجائر وكل الذي يساعد علي حركة الرمال في اتجاه الجنوب

بنيت حضارات قديمة علي سلاسل هذه الجبال في حمرة ألوز وجبال سودري وجبال ميدوب وتحتاج لمن يكتشفها ويبعث فيها التاريخ من جديد ٠

تكثر الخيران والأودية الضيقة وسريعة الجريان من الجبال لتكون بعض البحيرات والمسطحات المائية الموسمية تشبه الواحات بين الجبال ولكن لا تدوم طويلا وتنتهي بانتهاء الخريف ٠ رهد الأسود، الفرجة أم خروع وأمثالها الكثير من الرهود لم تصلها يد الإصلاح حتى تدوم طويلا اخترقنا منطقة سودري وعبرنا جبالها الغربية مازلنا في الجزء الجنوبي من الصحراء الذي يفصل السلاسل الجبلية المذكورة واقتربنا من وادي الملك ٠

٧٨/ وادي الملك لست ادري هذه الكلمة بكسر الميم باللغة الانجليزية وتعني وادي اللبن أو بفتح الميم وتعني الملك

عموما أن هذا الوادي يكتسب أهمية كبري في موقعه الصحراوي هذا ٠ وكلما ذكرت الصحراء تذكر معها انعدام الماء وهذه الأودية تمثل محطات مضيئة يقصدها الناس والمتنقلون عبر الصحراء حتى يتزودوا بالماء ٠

يجري هذا الوادي من الغرب أيضا إلي الشرق وينبع من مرتفعات شرق دارفور وتصب فيه مجموعة أودية من كردفان ومرتفعات أم بادر أكثر من ٢٦ رافد وأهمها وادي الشخيب ٠٠ ويجري هذا الوادي في اتجاه الشرق ليلتقي بوادي هور في منطقة الباجة ليصب في نهر النيل في شمال الدبة٠

يمثل وادي الملك شريان للحياة في ديار الكبابيش وينظم الرعي لهذه القبيلة الواسعة والعريضة في الصحراء ٠ واهم مناطق تجمعات هذه القبيلة في منطقة أبو زعيمة في وسط الوادي وطريق سودري – حمرة الشيخ وفي أقصي الشمال منطقة البقريه هي مناطق الأسواق ومراكز الإبل والضان ٠

ظل هذا الوادي يحتفظ بشبابه في المنبع أي أن كل الأودية التي تصب فيه ظلت محتفظة بشكلها الشباب وبناءها القوي ألا انه شاخ في الأجزاء الشمالية وذلك لشح الأمطار في العشر سنوات الأخيرة والتي لم يكتمل فيها جريانه كما أن رمال الصحراء بدأت تهزمه في المناطق الشمالية حيث أنها سدت علية الطريق وأصبح يكون دلتا شمال البقرية ٠

هذا الوادي يمثل منطقة حيوية لا يستطيع أن يتجاوزها المسافرين المقامرين وقطاع الطرق والمهربين وتجار السلاح والمخدرات والحركات المسلحة وكما ذكرت أن هذه الصحراء ألكبري ستبقي هي المعضلة لكل الدول التي تلامس حدودها ٠

مرة الشيخ:

٧٩/ عندما تخرج من منطقة وادي الملك والوقت ليلا تقابلك رياح الشمال الباردة وان كان الوقت نهارا يلهبك هجير الشمس الحارقة ٠ وتحس انك علي أول كيلو في اتجاه الصحراء وأصبح إلا يري إلا الفراغ والخواء وأمواج الرياح الخفيضة علي سفح أراضي تهتز لها إطارات السيارات ويتملكنا جميعا الشلل الاهتزازي ٠ تلك هي حمرة الشيخ مدينة وسط الرمال ٠

والشيخ هو زعيم الكبابيش والحمرة تلك المنطقة التي تلبس لون الاحمرار في كل شئ رمالها حمراء ورياحها أكثر احمرار وشفق المغيب بلون الدم ٠ اختارها الشيخ مقرا ثانيا لرئاسته ٠

وقبلها جبره الشيخ وجميعها ديار الكبابيش يرتحلون في داخلها وبقاعها ٠

حمرة الشيخ ٠ مدينة وسط الرمال قصدها الناس من كل أنحاء السودان بعد أن اكتسبت أهمية كبري وأصبحت مينا بري يستقبل الشاحنات القادمة من ليبيا والقادمة من أوسط السودان علي السواء ٠٠ في حركة واسعة ليتبادل المنافع والتجار قدموا أليها من كل أنحاء السودان بثقافات مختلفة وأعراف متباينة وكونوا نسيجا اجتماعيا متفرد ظهرت من خلاله المدينة دون ثوب البادية الذي ترتديه المنطقة ٠٠ جاءوه وجاءت معهم مهن وحرف وصنائع لا يعرفها البدو ولكن تحتاجها المدينة وبالتالي توسعت المدينة وفتحت فيها الطرق وأقيم سوق ضخم يحاكي كبريات المدن وأضاءت الكهرباء الطرقات ٠ وفتح مركز ضخم للجمارك والجوازات والهجرة ٠

ويقال في الأمن كلما كثرت أعداد البشر وزادة الكثافة السكانية في منطقة ما اقتربت الجريمة بكل أشكالها في تلك المنطقة وتخلو مدينتنا الصغيرة الجميلة من الشوائب خاصة وأنها تطل علي المنطقة المظلمة ٠

بعد سير لم يستمر طويلا من وادي الملك وصلنا الحمرة وقبلها بقليل مررنا بقبة الشيخ التوم علي ضفة وادي الحمرة قيل أنها أنشئت تخليدا للشيخ صاحب الحمرة الوقت شتاء كان والشمس قرصها يرنوا إلي المغيب وغبار خفيف عالق في الأفق الشمالي يلونه بالاحمرار ورياح باردة تخرق الحجب وتجمد الأطراف وأناس كثيرون يتحركون في همة ونشاط ويرتدون كل ملابسهم ولا يري منهم إلا فتحات العيون ٠ وصلنا في الوقت المناسب هناك قافلة علي أبواب المدينة ستشرف فجرا وأخري جاهزة قواهما عشرون عربة ستقاد في مساء الغد إلي ليبيا٠

٨٠/ نحن مثل النحل أو النمل في الخلية ولما أره أمامي في سوق الحمرة ومنطقة الجمارك وإدارة الجوازات والهجرة حركة مستمرة دون انقطاع لترتيب الوداع للمغادرين وترتيب الاستقبال للقادمين ٠

أما الفرق بيننا والنمل أو النحل أننا غير منضبتين كالنمل الذي يتبع قيادة المجموعة ٠ لا تجد منهم متشرد ٠ ليس فيهم مجرمين ٠ ينصاعوا للأوامر بتلقائية ٠ يضحي احدهم في

سبيل الآخرين لكي يتحمل المسئولية أمام الجميع وتلك قدرة الله في مخلوقاته التي لم يمنحها العقل .

سأغادر غدا في معية القافلة المغادرة إلي ليبيا ويومها كنت محافظ لمحافظة سودري ٠ وان هناك كثير من المشاكل تكشف الطريق إلي العوينات فكان لا بد من معالجتها ٠

ثلاثون عاما تفصلني من محطة جبرونا في وادي هور وأنا ملازم في معية القوات السودانية ثلاثون عاما مازلت لم اكتشف غموض الصحراء ثلاثون عاما ومازال حب الاكتشاف للمجهول في الصحراء يراودني لذلك انطلقت في ركاب هذه القافلة وأنا المسئول عن تلك الرقعة من الأرض التي توالي الصحراء ثلاثون عاما اكتب عن الصحراء ولم أزل في الصفحة الأولي لذلك سوف التقط القفاز ولا أفوت هذه الفرصة ابدأ ٠

٨١/ اكتسب مهارة عاليه في الأعداد والترتيب للسفر في أنواع المأموريات وعلي كل الطرق ٠ بسرعة فائقة وعناية دقيقة ثم التجهيز وتحركنا في الصباح الباكر من حمرة الشيخ وعبرنا واديها العميق جدا هو احد روافد وادي الملك تحفه سلسلة جبال الحمرة وهي جبال ليست شاهقة ولكنها أكثر وعورة من كل الأراضي التي سرنا عليها٠ جميعا عبرنا تلك المنطقة وتطلعنا إلي دونكي النص حيث نبدأ الرحلة الحقيقية بترتيب الشئون الإدارية الماء والغذا ٠

جبل العين :-

٨٢/ تركنا خلفنا في محطة الحمرة عدد كبير من العربات الليبية التي في طريقها إلي الكفرة وهذه العربات بعضها تحمل الإبل والضان والمحاصيل والجلود والبشر ٠ وقصدت أن اذكر البشر وسط هذه المنقولات لان ترحيلهم هنا يدخل في عمل التهريب الذي ذكرته في غير هذا الموقع٠ وهو عمل غير أنساني ولا يليق بأبناء الادمين ٠ حيث يركب علي اللوري أو الشاحنة عدد من الجمال ولا تزيد عن عشرة ومعها عشرون رأس من الناس و خمسين خروف وعشرة رأس من الناس والقريب أن المسافرين من المحطات الحمرة – مليط – كتم الطينة علي العربات الليبية كلهم تهريب ولديهم تأشيرات خروج دون تأشيرات دخول ٠ بل تتم هذه الأخيرة في نقطة العوينات أو منعوك أو هربوك علي

أكثر الطرق وعورة وخطورة ٠ وهذا متروك علي مزاج من يعملون في هذا النطاق من الأخوان الليبين٠

الأخوة الليبيين أصحاب الشاحنات والمرابطين في نقاط الجمارك علي وفاق في بيع الضحايا والمهاجرين إلي حيث لا يعملون ويعملون وهم أحسن حالا من الذين يتحركون سيرا علي الأقدام وأمامهم الجمال تحمل الأمتعة والزاد والماء وأعلافها ولا يصلون إلي غاياتهم ولا يهم وتبقي ألوان غطاؤهم بيضاء ناصعة تحت وهج الشمس وعلي مر السنين ولا يذكرهم التاريخ ٠

أحيانا لا يجد السائق حيوانات لينقلها يحمل ١٠٠ راكب من الناس ويقال لهم أم سماك بضم السين ولا ادري ماذا تعني هذه الكلمة ٠ولكنهم علي شاحنة واحدة وتحمل الشاحنة أمتعة المسافرين المائة وزادهم وماءهم حتى لا تجد موقع لأبره بالشاحنة وبعد ذلك يركب (الناس) فوق هذه الأمتعة حتى تجد بعضهم يركب علي الأمتعة وليس علي العربة وكلهم تهريب وبتأشيرات خروج دون دخول ٠ والشاطر والناجي صاحب عمر مديد ٠

٨٣/ هناك نوع آخر من عربات التهريب هذه عربات صغيرة موديلات قديمة من عربات اللاندكروزر تعمل بالبنزين وتحمل أربعة عشرا مسافرا مقامر أربعة عشر راكبا علي متن هذه العربة الصغيرة هي مغامرة حقيقية وعندما ترفع عليها الأمتعة ويركب عليها (الناس) وتنظر إليها من بعيد لا تستطيع تميزها ولا يري لها لون أو شكل بل تحس أنها وحش يحمل علي ظهره أناس من كوكب أخر يعبرون الصحراء ٠ بهذه الكيفية المستحيلة والمثيرة ٠

هذه العربات سجلت نجاحات كثيرة في الوصول إلي الكفرة وما بعدها ولكنها أيضا سجلت إخفاقات أكثر وتاهت في رمال الصحراء وتاهت معها المهج والأرواح ٠ وسجلت نقاط الشرطة وأمثالها في المدن المختلفة أسماء الكثيرين الذين فقدوا وهم مسافرون إلي أقدارهم المتوقعة في رحلات الموت المشئومة ٠ بحثا علي مستقبل ضائع ومظلم في صحراء لا تعرف الرحمة وغموضها يكثف الطريق ٠ رحل عنها الكثيرين عبر

هذه الدروب المهلكة ولا أتوقع مطلقا أن تكون هناك إحصاءات تبين كم هم الذين رحلوا ؟ ولم يعدوا من أبناء هذا البلد وبلدان جنوب الصحراء ٠

محنة هذا البلد انه لا يري كم هي قيمة الإنسان وليس مصيبة هذا البلد وحده بل كل البلدان جنوب الصحراء لا يساوي فيها الإنسان إلا واحدا من القطيع ولا يتأثر بغيابه القطيع ٠

أن معانة هؤلا المسافرين عبر هذه الصحراء في بلدانهم اسواء من معاناتهم عبر هذه الدروب المميتة ٠

وأصبح ينمو ويتزايد في داخلي احساس بان هذه المجوعات الصغيرة المتحركة عبر الدروب الوعرة يمكن أن تستخدم بواسطة أي قوة وتدريبهم لزعزع الأمن في كل الدول التي تطل على هذه الصحراءو تبقي هذه الصحراء ملازمات أمنه للحركات ألمسلحه وقطاع الطرق واللصوص وفاقدي الهوية ٠ أرى ذلك !! وكل الدول التي تطل على هذه الصحراء الكبرى تقط في نوم عميق٠

٨٤/ التقيت بالشاب على والذي انهكة التعب وأرقة السير عبر دروب لايعرفها ٠ وقادني الفضول وحب الاستطلاع والمعرفة أن أتعرف على بعض معاناة هؤلا ٠

واستمعت بحزن واسى قصة ذلك الشاب على والذي حكاها بكل التفاصيل الغير مملة ٠ روها وهو يلوك الحزن ويعصره الألم على مصير الشباب في بلادنا وكل البلاد المجاورة ونحن نعلم أن التواصل من الشعوب وخاصة في أفريقيا لايعرف الحدود ولا القيود٠

قال على٠٠

كان ذالك قبل عام ونصف عندما خرجت من قريتنا أم تك تك في شمال كرد فان ٠ تلك القرية التي لم أفارقها في حياتي أبدا الإ إلي الذهاب إلى المدرسة في قرية أخري تبعد ١٠ كيلو مترات من قريتنا ٠ أكملت فيها مرحلة الأساس بعد مشقة ومعانة احسلت بانها تكفى لو كان التعليم بهذه المشقة والتعب واتخذت يومها اخطر قرارا في حياتى إلا أتعلم أكثر من الاساس٠ خرجت من قريتي في صبحيه يوم ماطر سيرا على الإقدام وقصدت النهود اكبر المدن ٠ وكن يحدو في الأمل اناجد عملا أساعد بة نفسي وأسرتي

وعندما وصلت مدينة النهود وجدتها كما كنت ارسم لها صوره في ذهني وجدتها مدينة عملاقة تفوق التصور والخيال مباني كثيرة وكبيرة لم تشبه أبدا منازل قريتنا التي كانت قطاطى ورواكيب ٠

كنت احسب إنهم لايعرفون منازلهم إذا خرجو منها ولأكن صبحان الله وجدتهم كالنمل تماما يدخلون ويخرجون من منازلهم في همة ونشاط دون كل أو ملل بل ويعرفون بعض ويفشون السلام بينهم ٠٠

كنت اعلم أن خالتي آم كوم تقطن هنا هي وأبناءها وزوجها عمى شاخور٠ كنت اعلم أنهم هناك وكنت اعلم أيضا أنى لم أجدهم وسط هذا الزحام بذلك قررت إلا أبزل اى مجهود للبحث عنهم ٠ دخلت المدينة وتجولت في طرقاتها الغريبة والعجيبة حتى انهكنى التعب وبلغ بى الجوع مبلغ بكمي تحاملت على نفسي حتى وصلت منتصف المدينة وتخيل إلى أنة السوق انه السوق فعلا وهو قبلة لكل الناس من الجنسين في مختلف الأعمار يطوفون في كل الأرجاء ولا أدرى عن ماذا يبحثون ٠ متاجر مختلفة بكل أنواع البضاعة لواري وعربات بكل الأشكال والاحجام٠ حتى الكارو متنوعة أحيانا يجرها الحمير وأحينا الخيول إزعاج رهيب ينبعث من الحراك بالسوق وأصوات الباعة ومكبرات الصوت تهز العربات ٠ كل هذا الازدحام وأنا أعيش في دهشة انستنى الجوع والتعب والإرهاق الذي كنت لااحسه جراء السير الطويل من القرية حتى هذه المدينة العجيبة جدا بالنسبة لى٠

توغلت داخل السوق في صمت مطبق وقادني ترحالى إلى منطقة بها مسطح مائي ضخم وحوله أشجار اللبخ الضخمة تحتها ألاف من الناس من الجنسين وكل الأعمار ٠ وهنا وهناك نساء يفرشن الشاي ويقدمن القهوة والمأكولات لمن حولهن من الناس٠ جلست ليس قريبا وليس بعيدا من إحدى النساء صاحبات القهوة وجدتها تشبه امى تماما لأكن ملابسها نظيفة وجميلة يبدو أنها خرجت من الحمام إلى السوق٠ ونحن في قريتنا لانستحم ألا في الأسبوع مرة ٠ وملابس امى على قلبيتها ليست نظيفة٠

في قريتنا الماء معدوم تماما وهناك عربة تأتى في الأسبوع مرة تحمل براميل الماء • في قريتنا ألتجاره بالماء صفيحة موية بصفيحة صمغ أو الصفيحة هذه انأ منقرض ألان هـي عبـارة ماعون عن ماعون كـان يـوزع فيـه عـدد كـبير مـن السـوائل كـالبنزين والجـاز الأبـيض والزيت •• الخ • وألان حلت الباغه محلها وهى مصنوعة من البلاستيك أمـا الصـفيحة مصنوعة من معدن الحديد •

في قريتنا يجمع كل مخلوقات الله مره في كل أسبوع نحو لوري الموية القادم من الأبـيض • وبمجرد وصول العربة تلك ذات العيون المميزة والمعروفة للجميع • والغريبـة لووصـلت القرية اى عربة أخرى لم يحضرالجميع•

وعند دخول عربة (جيقو) وهذا اسم صاحب عربة الماء التي تحمل على ظهرهـا عشـرون برميلا • وبمجرد وصول هذه العربة ياتى الجميع وكـأنهم مـدعون يسـتلم كـل موقعـة الناس والحيوانات الكبيرة الجمل والأبقار والخيول والحمير مكانهم حـول العربـة ويـدير العملية الناس طبعا كل ياتى بمحصوله من الصمغ الذي يأخذ في مقابل الماء وبعدها يدي حيواناتهم التي موجودة معه حول اللوري إما الحيوانـات الصـغيرة وكأنهـا تحـت العربـة منهم من يلهث الثرى الذي تبلله قطرات الماء المتساقطة من صـندوق اللـوري • ومـنهم من يتلقف نقاط لماء قبل وصولها الارض•

هذا الخليط الغير متجانس من الحيوانات الصغيرة وهى الماعز والضان والقطط والكلاب والدجاج وأحيانا طيور بريه كالقمري والقدال وهزاز الذنب • تلاحـم عجيـب وترافـع تحت اللوري إلى أن تنتهي عمليه المقايطة وتصـبح كـل البراميـل لأهـل القريـة والصـمغ لصاحب اللوري • وفى ذلك اليوم يكون الغسيل والحمام والفرح•

بقيت في جلستي تلك قرب المـراة وأنـا اجـتر شـريط ذكريـات قريتنـا ومأسـاتنا الكـبرى والغريب أنني وجدت نفسي مشددا للقرية رغم هذا البؤس والشقاء حتى كدت أن أعود أو أقر العودة من مكانى ذلك وياليتنى فعلت • ولكن تلك المراه الجميلـة والنظيفـة الـتي تشبه امى اعادتنى للواقع بسؤالها لى•

ياولدى أنت من وين؟!

ومن قبيل أنت قاعد في محلك دا ماتكلمت!!
قلت لها:ـ
أنا انتى معاى انا٠ ماكنت متوقع هـذا السـؤال بعـد الفكـرة الـتي بـدأت تتكـون عنـدي للمدينة ٠
قالت:ـ
أيوه انت٠٠
قلت إليها:ـ
أنا من آم تك تك٠٠
قالت:ـ
الجابك شنو من آم تك تك ٠٠!!
قلت ليها :ـ
كايس شغل٠٠
قالت:ـ
بتعرف تعمل الشاي والقهوة؟!
قلت ليها:ـ
نعم وأنا لست متأكد مما قلت
قالت وبسعاده٠٠
طبعا ماكلت النهار كله تعال قربّ أديك أكـل ٠وانـت الله مرسـلك لـي تعـال ياولـدى اتغدى وبعدين بوريك آنا دايراك لشنو٠٠؟!
أكلت كما لم أكل من قبل وشربت مثل حمارنا يوم حضور لوري الموية وسـرعان تـوارى شريط القرية خاصة بعد كوب الشاي اتعدل المزاج٠٠
أها ياخالة قلتي شنو؟!

قالت:ـ

أنت ياولدى باين عليك ود ناس كويسين ٠ وأنا والله قلبي رادك وعزياك تشتغل معـاى هنا في محلى دا توزع لي الشاي والقهوة والأكل للزبائن٠ وتلم لي العدة الفارغة٠وبالليل تعمل الشاي والقهوة أنت لأنو بالليل أنا مابجى والنسوان ديل كلهن بالليل ممنوعات مـن العمل بديك في اليوم ١٠ جنيه وأكلـك وشـرابك بـره واو ديـك بـيتي تسـتحم وتغسـل هدومك يوم الجمعة ٠ دة كلة برا العشرة جنية وكان اشتغلت معاى كـويس بـديك ١٥ جنية بدل العشرة جنية ٠قلت شنو؟!

قلت:ـ

موافق ياخالة وإنشاء الله تلقيني ذي أولادك ٠

قالت:ـ

خلى بالك أنت تبيت هنا للشغل بالليل .!

قلت:ـ

جدا من هسع أنا بعتبر نفسي شغال٠

٨٥/ بدأت مشوار ألف ميل في المجهول بخطوه واشتغلت في ذالك المقهى بجد واجتهدت حتى وثقت في الحاجة أمنة

وعرفتني با الناس ٠ واصبحتا معروفا في موقف اللوارى والشـاحنات ٠٠وزاد اجـري الى٢٠ جنية في اليوم بإضافة ال اجر الحراسة الليلية ٠ بقيت على هذا الحال قرابة الثلاثـة أشهر حتى تعرفت على صديقي عبد القادر وهو في سني وبظروف مشـابه لظـروفي كلنـا درس سنتين في الثانوي العام ولم نكمل لذات الظروف التي تواجه معظـم ابنـا كـرد فـان ضيق ذات اليد هذا الصديق متطلع وصاحب طموح كبير ويريد الاغتراب ويعمـل بجـد واجتهاد ليبلغ القطر الليبي والذي يعرف عنه الكثير من الرويات والإخبـار الـتي يرويهـا الكثير من أبناء منطقتنا ٠

افدتنى الفكرة وبدأنا نمن على السفر وعن المستقبل الافضل٠

وقمنا نجمع معلومات عن الطريق إلى ليبيا كم يستغرق وكم من المال مطلوب منك الرحلة لاتخلو من المغامرة ٠

توصلنا إلى أن السفر إلى ليبيا يبدأ من مليط أو كتم في شمال دارفور أو الطينة في غرب دارفور أو حمرة الشيخ في شمال كرد فان ٠ أحسن هذه الطرق طريق الطينة للاتي:

- الطريق قريب إلى ليبيا اى اقصر الطرق
- الإجراءات فيه غير معقدة
- ارخص من الناحية المادية
- السفر فيه يكاد يكون يوما

ولذلك المعطيات قررنا أن نسلك هذا الطريق اى من النهود إلى الطينة ومنها إلى ليبيا الأمل والطموح٠ وظل هذا الأمر سرا بيني وعبد القادر وظللنا نعمل في صمت وادخرنا اى مبالغ كسبناها حتى نعد العدة للسفر البعيد والمجهول وبعد مضى أربعه أشهر أخرى جاتنا ساعة الرحيل وبدأت لحظه قاسية لفراق موقف اغرب بمدينه النهود ذلك المكان الذي ألفناه وأصبح محفور في وجداننا وأهلة الطيبين وخاصة الحاجة زينب التي لا استطع إبلاغها بأمر الرحيل٠

٨٦/ لم نودع احد في مدينه النهود لإحساسنا العميق بالود والتقدير لمن عرفناهم هنا وصعب علينا ذلك بل تركنا فيها سرا كالهاربين من الجحيم إلى النعيم أو العكس٠

ركبنا احد الشاحنات المتجهة إلى الجنينة عاصمة غرب دارفور ولم ندفع اجر لمعرفتنا للسائقين الذين تقدرنا كثيرا تمام قبل أبناءه ٠ بل شفقنا للتحرك والبحث عن حياه جديدة أفضل في اى من بقاع الأرض ٠ تحركنا ليلا وأحسست بحزن عميق ممزوج بفرح غير واضح المعالم في قلبي ولأول مرة أحسست أنني فارقت ذاتي ٠وهذا الإحساس لم ينتابني وأنا أفارق قريتنا ويخيل لي انه فراق من صنعتهم بمعرفتي وعلاقاتي الإنسانية ومعايشتي لهم اثنا وجودي بينهم أما قريتنا فتلك علاقات أبي وأمي ولهما مكانه في نفسي صمت كثيرا والعربة تشق طريقها وسط قيزان الرمال يعو صوتها أحيانا وينخفض وتسرع مرات وتبطئ وأصوات الركاب عالية وبعضهم يغني أما أنا بعيد منهم وفي

صدري الألم والحزن النبيل ولست ادري بهذا الفراق المفاجئ أم المجهول الذي نقصد٠ تلك سويعات لا تنسي مررنا بكثير من القرى والفرقان والمدن ولاحظنا الطبيعة الساحرة عند الشروق والغروب ومررنا بالجبال والوديان والساحات والغابات وأنا لا أري عبر هذه الطبيعة وخلفها هناك علامة استفهام كبيرة هل بعد كل هذا الترحال مستقبل مشرق ؟ لا ادري وهربت بالنظر إلي البعيد متأملا تلك الطبيعة كأني أحيل هذا السؤال إليها ولكنها لا تجب ٠

أخيرا وصلنا الجنينية بعد رحلة دامت خمس أيام منذ رحيلنا من النهود ٠

بقينا يومان تحت تلك الشاحنة التي وصلنا بها ولم نقوي علي فراقها وفراق أصحابها الذين هم أصحابنا نحن أيضا ٠ وفي صبيحة اليوم الثاني عرفنا موقف الشاحنات المتحركة إلي الطينة السودانية ٠ ولأول مرة سمعنا أن بعض المناطق تنسب إلي السودان أو إلي شاد أو إلي ليبيا وهذا لفتني أننا في حافة التمايز والتميز بين الأشياء وهذه معضلة كبيرة لنا ورحلتنا إلي الطينة في احدي التي تنقل البضائع والركاب وودعتنا شاحنتنا التي جئنا فيها وكان ذلك أخر عهدنا بؤناس نعرفهم ويعرفونا ٠ وبدأت المعوقات تعترضنا حيث وجدنا أولا صعوبة المهنة وصعوبة المعرفة للأشياء وصعوبة التعامل مع الآخرين وأصبحنا نعيش كل الهموم ٠ ولا شيء يبقي إلا المستقبل الذي ينتظرنا في الساحل بعد عبور هذه الصحراء والتي لم نعرف عنها شيء حتى الآن ٠

لم تكن الطينة السودانية بعيدة عن الجنينية وتقع شمال شرق الجنينية أي أكثر شرقا وهنا بدأت الصحراء التي تشوقنا لرؤيتها وأصبحت ملامحها واضحة وأنها تبدوا قاسية جدا ٠

٨٧/ الطينة لم تكن مدينة كبيرة بل كانت اقرب إلي القرى ولكن بها سوق كبير وحظيرة جمارك وعربات شاحنات مختلفة ليست متجهة إلي ليبيا فقط بل يمكن السفر منها إلي شمال أفريقيا وغرب أفريقيا ووجدنا فيها جنسيات أخري غير السودانيين وجدنا من الصومال وأثيوبيا وارتريا وجبوتي وكلهم باحثين عن المستقبل المفقود ٠

وصلنا الطينة ونحن لا نملك إلا مانرتدية من ثياب وكان لابد لنا أن نعمل وأي عمل وبأي طريقة حتى نسد الرمق ٠ ولا توجد فرص عمل إلا العتالة والأحمال في الميناء

البري ٠ وأعمارنا الصغيرة وأجسادنا النحيلة لا تمكننا من أداء هذه الأعمال الشاقة المرهقة لذلك قصدنا المطاعم والكافيتريات لغسيل الأواني والمساعدة في توزيع الوجبات وهي المهنة القديمة ٠ الجوع مؤلم خاصة عندما تحس به وأنت وسط أناس يأكلون وأنت لا تملك ٠ أوينا إلي المسجد لتامين السكن وبدأنا رحلة البحث عن العمل وأخيرا في احد المطاعم ٠ وتحركنا بين المسافرين بجد ونشاط وفي وقت وجيز اكتسبنا القاعدة والمعرفة اللغة والعادات والتقاليد وكل سمات المجتمع الجديد ورويدا رويد اكتسبنا اللياقة البدنية وبضع جنيهات في الجيوب استعدادا لبقية الرحلة والتي لم تكن سهلة في تقديرنا ٠ الطينة السودانية حركة مسفرة كل يوم نشاهد وجوه جديدة وتختفي أخري ونحن نقدم المشويات في كل الأوقات واللحوم هي الغذاء الرئيسي هنا وخاصة لحوم الإبل يأكلها الناس جميعهم وبشهية مفتوحة واحسب انه الجوع الكافر ٠

مرت خمسة شهور دون أن نحس بها ونحن ما زلنا علي حافة السودان ولم نخرج منه ٠ نأخذ حتى اجر يومي تكلفة الثلاث وجبات نأكل واحدة ونقبض قيمة الوجبتان للاستعداد للسفر٠

جمعتنا ليلة لا تنسي مع مجموعة من الشباب جاءها لمشاركتنا المبيت في المسجد ويبدو أنهم من جنسيات مختلفة ولكن كلها من دول القرن الافريقي٠ سمعناهم يتحدثون عن جيش يسمي ثعالب الصحراء وصحح الاسم آخر بأنه جراد الصحراء وتعده دولة من دول الساحل لكي يلهم الخضرة وكل الأجزاء الخضراء في دول جنوب الصحراء حتى تتمكن تلك الدولة من السيطرة علي كل أفريقيا ٠ وأكد آخر المعلومة ولكن أضاف أن الجيش اسمه جيش الخلاص واحدي فصائله تسمي الطوارق مكانها وادي سيف ونحن لا ندري أين يقع هذا الوادي ٠ وأفاد آخر أن العربات الموجودة في الطينة السودانية والطينة الشادية ليس كلها متجهة إلي ليبيا هناك بعضها جاء لتجنيد الشباب لهذا الجيش اعملوا حسابكم ٠

أفاد آخر من هؤلا الشباب أن بعض أفراد هذا الجيش يعملون في قطع الطرق ونهب المسافرين من ليبيا وغيرها والقادمين وأفاد آخر بان هذا الجيش عبارة عن مرتزقة يمكن

الدفع بها في أي اتجاه لتحقيق تلك الدولة الطامعة ٠ وآخرين يتاجرون في المخدرات تحت مظلة هذا الجيش والتهريب أهم واجبات هذا الجيش وخاصة تهريب البشر وطبعا دون أوراق ثبوتية ٠

ونحن لا نملك أوراق ثبوتية أنا وصديقي عبد القادر لا بطاقة ولا جواز ولا حتى جنسية تثبت هويتنا أو جنسيتنا ٠

لم انم تلك الليلة وأحسست أن هناك خطر داهم يهدد ذلك المستقبل الذي أشرقت أضواءه بعد عبور الطينة ٠ رغم أنها كلها بيانات سمعية في صبيحة اليوم التالي فاجأني عبد القادر بأنه قرر العودة ولا يرغب في تكملة الرحلة ٠ وان ما سمعه من أحاديث يكفي بان يلقي هذا المستقبل الخطير ٠ حاولت أقناعه لكن دون جدوى وفعلا عاد في صبيحة اليوم التالي وتركني وحيدا في بداية الطريق إلي المجهول وتركني في فراغ وخواء ارقني كثيرا حتى قررت اللحاق به بعد يومين من رحيله ولكن عدلت من رأي وبقيت في الطينة السودانية شهر وانتقلت منها إلي الطينة الشادية والتي ليست بعيدة من الطينة السودانية وهناك عملت بذات المطعم والذي يقيم صاحبه في الطينة الشادية ٠

٨٨/ رحيل عبد القادر ترك فراغ في نفسي ووحدة لم أحس بها من قبل ولكن الله بصير بعباده حيث أنني وجدت أمام مسجد الطينة الشادية من أبناء منطقتنا وتعرفت عليه في المطعم الذي اعمل فيه حيث يأتي لتناول وجباته منذ فترة طويلة وهو غير متزوج بل هو متزوج ولكن أولاده في النهود وجاء أيضا للبحث عن المستقبل الضائع ٠ ولكن فضل البقاء هنا وصار معلما يدرس في المدرسة ويؤذن ويصلي بالناس ٠

عرف الأستاذ حمد والدي ووالدتي وجل أهلي الذين هم أهله أيضا ورحلت لأسكن معه في قطعة جوار المسجد وبدأنا نؤازر بعض في الغربة البطالة حكي لي الأستاذ حمد الكثير والمثير عن رحلته حتى وصل هذه المنطقة ولم يشأ أن يقدرها إلي ليبيا لخطورة الطريق ونشأت صداقة بينه والسلطان الذي أقنعه وعينه أماما للمسجد ومعلما بالمدرسة الوحيدة للأولاد ٠ وسوف يعود إلي النهود بعد شهرين من اليوم ٠

حدثني الأستاذ حمد عن خطورة الطريق إلي ليبيا وقال أن الطرق محفوفة بالمخاطر ابني فيها خطر الجوع وخطر العطش وخطر الرفقة الغير مأمونة وخطر قطاع الطريق وخطر الضياع في الصحراء وعدم معرفة الطريق وخطر التجنيد أما لتجارة المخدرات لقوات غير معروفة الهوية والهدف وفوق هذا وذاك يجب أن يكون لديك مبلغ اثنين مليون جنيه حتى تتمكن من نفاقات الرحلة ٠ وأنا لن أتركك تغامر بروحك في هذه الديار التي لا نعلم نحن الكبار عنها شيئا ٠ وماذا أقول لوالدك عندما أعود :-

ذلك غموض الصحراء لا يستطيع احد أن يحدثك جازما بالمعلومات الصحيحة والكاملة في الصحراء بل كلها بيانات سمعية ومن هنا يأتي غموض الصحراء

٨٩/ ذكر لي الأستاذ حمد :-

أن الطريق إلي ليبيا يمر شرق جبال تبستي التي تقع شمال تشاد وتمتد هذه الجبال في اتجاه الغرب حتى تلتقي وجبال الأحجار التي تقع جنوب الجزائر وتلامس هذه السلاسل الجبلية من الجنوب هضبة واط هذه المنطقة هي قلب الصحراء ألكبري وتقع شمال شاد وشمال النيجر ومالي وشرق الصحراء الغربية موريتانيا وجنوب غرب ليبيا وجنوب الجزائر وجنوب شرق المغرب ٠ هذه المنطقة مساحتها ١٥ ألف كيلوا متر مربع وتمثل خط تقسيم مياه حيث تري فيها بعض الأودية مثل وادي سيف الذي ينحدر غربا نحو المحيط الأطلسي ٠ وتقع شمال غربها واحة نواط هذه المنطقة في غاية الوعورة ولا يمكن الحركة والتنقل فيها ولو بالأرجل لذلك ظلت قرون من الزمان مهجورة ولا حياة فيها

وأخيرا اختارتها جهة ما والأغراض غير معروفة أقيمت فيها المعسكرات والتجنيد والتدريب والغريب في الحكاية أن المجندين والمتدربين من كل الجنسيات الأفريقية وهذا الجيش يتناس يوما بعد يوم وأهدافهم التجنيد أمنا لك يا بني ٠

سيلقون ظروف الصحراء التي أصبحت مجهولة ولا احد يهتم بها علي مستوي الدول المحيطة بها لا جهة الساحل ولأمن جهة الصحراء ٠ علما بأنهم أسسوا تجمع دول الساحل والصحراء٠ دون معرفة كما يدور في الصحراء ٠ وإلا ستكون العقبة العنود لكل الدول المحيطة بالصحراء ٠

ستكون يا ابني ملاذ لكل العاطلة والمرتزقة وفاقدي الهوية ، وستكون مكن لكل حركات التمرد والصحراء السياسة في أفريقيا

صار الأستاذ حمد يحدثني وبإسهاب من مخاطر تلك الصحراء الخالية تماما من كل أسباب الحياة وخالية أيضا من المسئولية بان لا احد مسئول منها وبذلك خليت من القانون والعرف والتقاليد التي تنظم حركة الحياة بين الناس وبين المخلوقات كنا نتحدث أحيانا حتى يطلع الصباح وكنت أحيانا ارمح النداء أنا بنفسي حتى يستعد هو للصلاة ،

مرت الشهور بسرعة غير متوقعة ويعاونني فيها بشكل فيه كثير من الصدق والإخلاص حتى بدأنا في تجهيز رحلة العودة التي لا ارغب حتى عن الحديث حولها ، لأنني في قرار نفسي لم أكن مقتنعا بما سمعت من أحاديث الرواة ، لكنني جربت مخاطر الأستاذ الذي حلف جازما انه لا يتركني خلفه في بلاد كلها مجهولة وكل الذين يعيشون فيها مفقودين ٩٠/ عدنا والعود احمد وقبلونا بالترحاب والأشواق الصادقة من الأهل والعشيرة وروينا الرويات والأحاديث المثيرة والخطيرة ، ونحكي عن تجارب عميقة ومعقدة وبعيدة عن الكثيرين من أبناء منطقتنا الذين تحدثهم أنفسهم علي ركوب المخاطر

أنني عدت ومعي بعض المال الذي قطعته من لحمي لاوفره إلي رحلة الأمل الأخضر القادمة لكنني أعطيته لوالدي الذي صرفه علي الضيوف والأهل القادمين للسلام وعلي مدي شهر من الزمان والقرية نفس القرية والحال ياهو نفس الحال العطش والهجير صوت اللوري والحركة الداوب والناس ولهفة العطش وشفقة الجوع وظلال الفقر المخيم علي الوجوه حتى أصبح جميع أهل القرية كأنهم كهول يجنون الساحة جيئة وذهاب في دار للعجزة يقدم منها الماء والكساء ،

تلك هي قريتنا غبت عنها عام من الزمان وعدت أليها وكأنني لم اغب سوا ليلة واحدة ، راكوبة الشيخ حيث تقف أمامها عربية الموية والعربات التي ضلت الطريق ، منزل الشيخ وخلفه المسجد الذي مازال يحاول السقوط ولم يفعل وهو في انتظار رياح الرشاش سيسقط ويومها سوف يصلي الجميع في منازلهم لان فصل الرشاش تبدأ فيه حياة القرية من جديد بعد موت الصيف ،

شيخ عثمان المؤذن والأمام كما هو بل ذاد أنحنا في مشيته كأنه يرقد في ملامسة الأرض لو لا عكاز ته التي يتوكأ عليها ٠ هو كما هو لا لامس الأرض ولا انتصب واقفا ٠ مازالت كلاب القرية تلهث وأصبح الإبريق الإناء المميز لها ودائما في جوفه الماء الذي لا يخرج إلا يطول انتظار وبمجيء العنوان أو اللوري المعروف يوجد كلب في كل موقع فيه أبريق ماء ٠ ويطول المقاشة أصبحت الكلاب تحرس الأباريق في قريتنا وتنتظرها حتى تبلل الثري في كل استخداماتها عام مضي وأنا غائب عن قريتنا واذكر يومها أن الفرح غاب عنها قبل رحيلي وخيم مكانه حزن عميق وطوق عن الذين رحلوا عنها ومن أهلها وعن شظف العيش ومشقة الحياة وقسوة السنين العجاف وجور الزمان ٠

قريتنا تقع علي حافة الصحراء وحاصرتها الكثبان الرملية من كل الاتجاهات دفنت المرعي ماتت علي الزرع ٠ لم تبقي الا بعض شجيرات الهشاب هنا وهناك لتوفي بحاجة الناس فيها اللحاء ٠

٩١/ قررت الرحيل مرة أخري ولكن هذه المرة عن طريق حمرة الشيخ وهي ليست بعيدة من النهود ٠ وهذا الطريق هذه المرة رسمه لي الأستاذ حمد وعنه كانت المعلومات غائبة رحلت في مساء حزين من قريتنا وغادرت النهود في صبيحة اليوم التالي إلي حمرة الشيخ وفيها التقيت بكم كبير من الناس ونحن جميعا الآن في طريقنا إلي الكفرة ٠ عام ونصف ولم أزل في بداية الطريق وما زلت متعلقا بالأمل الأخضر والمستقبل المفقود في بلاد اصلو ما معروف وين ؟ ولست ادري أن كانت تستحق كل هذا الجهد والعناء ٠

تلك كانت قصة الشاب علي الذي وجدته تحت ركام الناس المتجهين إلي ليبيا بحثا عن المستقبل المفقود وهل يجدونه أم لا؟

استوقفتني قصص كثيرة خاصة معاناة الكثيرين من أبناء بلادنا بحثا عن الرزق والحياة الأفضل وهذا الشاب امضي عام ونصف بحثا عن الوصول فقط إلي بريق الأمل والمستقبل ٠ والغريب في الأمر أن كل الراحلين إلي ليبيا تهريب عشرات الألوف من البشر مهربين ولست ادري لما تسمح الدولة بخروج مواطنيها بهذه الطريقة المزرية والمجهولة والتي تجعلهم عرضة لانتهاك حقوقهم من قبل الآخرين بسبب فقدان الهوية

والاوارق الثبوتية وتأشيرات الخروج والدخول التي تمنح الإنسان حقه الإنساني وتحميه من استقلال الآخرين ٠

وليبيا هذا الوطن العربي المقدر أول المنتهكين لحقوق الإنسان بسبب عدم أعطاء الأفارقة تأشيرات دخول معترف بها حتى تحميهم وتحمي حقوقهم داخل الأراضي الليبية ٠

عندما يدخل أي أفريقي لذلك البلد وبدون تأشيرة يستقبل أسوا أنواع الاستقبال ويحرم من ابسط أنواع الاحتياجات الأساسية مثل العمل والأكل والشرب والكساء والسكن والعلاج والتعليم٠ بل تمنح هذه الاحتياجات الأساسية بمقدار وبشكل فيه كل الابتزاز والاستقلال والتسلط والقهر وبذلك يكون من الصعب الاندماج في هذا المجتمع ٠

أحيانا تقنع الأفريقي الذي جاء عبر الحدود دون أي أوراق ثبوتية لكي يخضع للتجنيد في ذلك الجيش جيش الأحلام المكلف بغزو أفريقيا بأكملها حتى تنفذ فيها الخراطة الجغرافية لتصبح الولايات المتحدة الافرايقية ٠

استوقفتني كثيرا رواية ذلك الشاب عن تلك المنطقة الوعرة والتي تكون اكبر منطقة مرتفعة وسط الصحراء ٠ يمثلها مرتفعات جبال تبستي شمال شاد وجبال الحجارة جنوب الجزائر وهضبة واط شمال النيجر ويمر في وسط هذه المرتفعات الوعرة ويتجه غربا وادي سيف حيث توجد رئاسة جماعة الطوارق المتمردة ٠ وهي مجموعة مكونة من أفراد يمثلون كل الأقطار الأفريقية ٠ ولا ندري ما هي الأهداف لهذه العصابات بل يتناقص عددها ويزيد يوميا بأفراد عابرين من دول الصحراء إلي دول الساحل باحثين عن المستقبل المفقود ٠

والجدير بالذكر أن هذه المجموعات تحت رعاية دولة معينة من دول الساحل تدعم بأفراد منها حركات التحرر في أفريقيا وهم مرتزقة ليس إلا ٠ ولو لم تضع دول (س ، ص) في اعتبارها مناهضة هذه المجموعات ومعالجة أمر التجنيد في الصحراء ألكبري ٠ ولو لم تضبط حركة المواطنين عبر هذه الصحراء ٠ والمتجهين إلي الساحل ستشهد هذه الصحراء خراب كل الدول المطلة عليها٠

في بلادنا وهي احد أعضاء تجمع (س ، ص) والأكثر تضررا من هذه الصحراء حيث تم غزوها أكثر من مرة بواسطة قوات معظمها مرتزقة ٠ وكانت المرة الأولي في العام ١٩٧٦م ٠

وتم غزو بلادنا للمرة الثانية في مايو ٢٠٠٨م عبر هذه الصحراء وبقوات معظمها مرتزقة وعبر هذه الصحراء تسلل عدد من المرتزقة إلي جمهورية مصر العربية وتم اختطاف عدد من السواح الأجانب وبعض المقتربين وطلب المرتزقة مبالغ ضخمة فدية لإعادة المختطفين٠

وهذا علي سبيل المثال لا للحصر سيتناس خطر هذه الصحراء بمرور الزمن وستبقي منطقة خطرة تهدد امن كل الدول المطلة عليها خاصة وان هناك رعاية وإدارة من دولة لها كثير من الأطماع والتطلعات الخيالية لحكم أفريقيا

وستظل هذه الصحراء خطرة ليس خطورة الطبيعة وحدها وغموضها بل غموض حتى الدول المحيطة بها وغموض مجموعة (س ،ص) ٠

استوقفني كثيرا حديث ذلك الشاب عن تعامل عصابات النهب المسلح عبر الدروب في تلك المنطقة ٠ حتى انه أي النهب المسلح صار احد وسائل كسب العيش في الأطراف الغربية من بلادنا ٠ أذا امتد هذا النشاط إلي داخل دارفور سينقلب إلي أمر يهدد الدولة بالزوال ونحن نعلم أن حالات الفوضي أذا لم تحسم في وقتها سوف تخلق جو يسبب الحرب الأهلية في الدولة ٠ وها نحن ندفع قيمة فاتورة الإهمال ٠

استوقفني كثيرا حديث ذلك الشاب عن التداخل القبلي واذلة الحدود الدولية بين البلدان في تلك المنطقة الغربية وغابت السلطة وحقيقة الدولة فيها وكانها تلك الدولة لا تهما الحدود كدولة لذلك وحتى اليوم لا نجد فيها من يتحدث باسم السودان بل هي منطقة حرة تتحرك فيها كل الجنسيات وبحرية تامة ٠ مما يجعل انفلات الأمن متوقع بين كل لحظة واخرى٠

النهب

المخدرات

الاحتيال وقطع الطرق٠
التجنيد لإغراض الارتزاق٠
العصابات لجميع الاغراض٠
كلها أشياء موجودة في حدودنا الغربية ودون رقيب أو حسيب٠
وماذا نتوقع من وطن يعيش كل هذه الفوضى ومنذ زمن بعيد؟!

أمثلة :.

- في العام ١٩٧٦ دخلت قوات غازية الخرطوم وأعداد كبيرة من المرتزقة
- في العام ١٩٨٤ هاجمت الطائرة المقاتلة بعيده المدى ٢٢tu إذاعة أم درمان بخمس قنابل

أ/ في العام ٢٠٠٨ تم دخول المرتزقة ام درمان بهجوم آخر
ب/ اختطفت أحدى طائرات الركاب من نيالا ونزلت بالكفرة
ج/ تسلل ودخول بعض المرتزقة عبر الصحراء إلى مصر
واختطاف عدد من السواح الأجانب

سلسلة جبال كوسو :.

يبدأ الطريق إلى تلك السلسلة الجبلية التي تقطع الطريق ويجتمع عندها كل الطرق التي تؤدى إلى العوينات واعتقد أنها سلسلة واحدة الاانها انفصلت في موقعين قبل أن تمتد بعد جبل كوسو وقبلة ٠ أعلى جبال الصحراء قاطبة جبل كوسو ثلاثة ألف قدم فوق سطح البحر٠

قبل هذا المرتفع تلتئم مجموعة ثلاث طرق طريق دنقلا العوينات وطريق الحمرة العوينات ثم الطريق الثالث طريق مليط٠

عند التحرك من جبال العين في اتجاه الشمال يخترق الطريق كثبان رملية عاتية وهى عبارة عن تراكمات الرمال الناعمة التي تحملها الرياح الخفيضة التي تهب طوال اليوم ليل نهار ويبدو أن السلسلات الجبلية لجبال العين ورآها منطقة واحة النخلية ومداخل وادي هور

صارات مصدات للرياح الخفيضة التي تركت أحمالها من الرمال في هذه المنطقة التي تصعب فيها حركة الشاحنات والسيارات عموما٠

مرتفعات رملية ذهبية اللون وقت الأصيل وفضية اللون في اليالى المقمرة ٠ طبيعة ساحرة ألا أنها مخفية أحيانا٠وتبدا هذه الكثبان مبتعدة في اتجاه الشمال وتشبه أمواج البحر الصغيرة والمتجه جنوب الباب مع جريان الريح لتنكسر عند الساحل وتتلاشى كأنها لم تكن ٠ ولكن الصحراء تزداد وتنمو وهذه الأمواج حتى تصبح كالجبال الراسيات وتسد الطريق أمام كل التحركات عكس التيار في اتجاه الشمال ٠ وهو شئ من غموض الصحراء ٠ تصعب الحركة عبر هذه الكثبان الرملية وتبقى الشاحنات أيام و أيام داخل هذه الرمال ويحدث أحيانا أن تفقد الطريق وتضيع البوصلة وتكون المتاهة

الصبر والصبر هو وحده الذي يقود الإنسان عبر هذه الدروب وصبرنا حتى كاد الصبر أن ينفذ٠

٩٣/ مكثنا أيام عديدة في متاهة الرمال تلك وأينما تنظر فهي رمال ممتدة كثبان رملية ناعمة كأنها وزعت لنظام هندسي دقيق لتجد من خلاله الطريق أنها صنعة الله تعلو تلك الرياح الخفيضة التي تسرى ليل نهار وبهمة عالية تصنع مكونات هذه الصحراء الرهيبة٠ وأينما تنظر تحد نظرك الرمال ولا شئ غير الرمال٠

وبينما نحن في تلك الحالة من اليأس من الخروج من تلك المتاهة جأت قافلة من ليبيا ولأول مره اكتشف مهارة الاخوه الليبيين في السواقة عبر الصحراء كما أنهم يتمتعون بقوه الاراده والصبر على هذه الظروف التي قل ما يقال عنها انها صعبة٠

رايتهم يفتحون الطرق بين هذه الكثبان الرملية بان يبتعد احدهم الكثب الرملي بمؤخرة الشاحنة اى الخلف حتى يطرح الرمال جيئة وذهابا ٠ وبالتالي يسلك الطريق للأخريات من العربات والشاحنات وبهذا اكتسبنا خبرة في كيفية إزالة الرمال عن الطريق وعبور بقية العربات ٠

تحركنا على تلك الدروب الشاقة والوعرة لليل والنهار حتى خرجنا بعد أيام من غابة الرمال ٠

خرجنا إلى أراضى منبسطة وسهول واسعة تمتد على مرمي البصر حتى سلمنا أن معالم الصحراء اختفت ولكنة معلم جديد ليس أقل خطورة من تضاريس الاراضى السابقة ٠

هذه السهول الممتده عبارة عن أراضى جبلية حاولت العربات الانطلاق فيها ولكن لم تستطع لان الأرض صلبة ومليئة بالأمواج الرملية التي تشبه أمواج البحر الحقيقة و تحملها الرياح الخفيضة تبنى معالم الصحراء بنقلها للرمال الناعمة من مكان إلى آخر وهى دوما متجهة نحو الجنوب ٠

والرمال التي نسير عليها أصبحت عائق حقيقي لحركة العربات لان العربة تهتز وهى متحركة على هذه الأرضية بعنف كلما زادت السرعة حتى تكسرت بعض أجزاء الحديد من شده الاهتزاز وتوقفنا عند حدوث هذه الاضرار٠

نظرت وبشكل قاضب على تلك الأمواج الرملية التي نسير عليها واكتشفت ٠ان الرياح الخفيضة أخذت ذرات الرمال الناعمة وتركت رمال تشبه الحصى الصغير الحجم ٠ وبالتالي نحس صلابة الأرض وقسوتها على إطارات وحديد العربات ٠ وكان لازم أن نبطئ السير حتى نعبر هذا البحر المتلاطم الامواج٠

وهذا السير البطء يسير في النفس السام والملل والإحباط وأنت تنظر إلى البعيد والسهل أمامك مفتوح ولكن دون سرعة٠

أمضينا يوما على ذلك الطريق الوعر ذات الأمواج الرملية الصلبة التي تجعل العربة تهتز ونحن نهتز بداخلها وكأننا نرقص رقصه (المردوم) أو(النقارة) وهى رقصات عند أهلنا في غرب بلادنا يهتز فيها الجسم بعنف مع الايقاع الساخن ٠

اهتزت أجسامنا حتى أصبح كل واحد منا يحس أنة لاتوجد مساحة خالية في الجسم دون خدمة اوشد عضلي أو أحيانا جروح غائرة بسبب الامتعه المعدنية التي نحملها كاوانى الاكل٠

تغير الحال بعد مسيرة يوم كاملة وأصبحت الرمال ناعمة والأرض تحتها أكثر صلابة واستقامة تماما مثل الإسفلت المطروح ومفروش على سطحه رمال ناعمة٠

انطلقت العربات وبسرعة الجنون وأحسسنا برياح باردة في جوف الصيف ٠ وذلك لان العرق تصبب من أجسمنا ونحن نسير على أمواج الرمال الصلبة والتي أتقدمت فيها بسرعة ٠

وانطلقنا ومع هذه ألانطلاقه تسلل إلى أعماقنا الخوف وهو صفة ملازمه لكل الذين يسافرون عبر الصحراء ٠

خفنا من السرعة القاتلة التي انطلقت بها العربات وكانا كل السائقين على موعد معها٠

خفنا من الرهاب والسراب الذي بدا يسد الطريق إمام أنظارنا جميعا٠

السراب تلك الظاهرة الخطرة جدا والقاتلة أحيانا في الصحارى ٠ السراب هي ظاهره طبيعية في الصحراء ولكنها في ازهان الكثير من البسطاء بأنها ظلال الخطر في الصحراء وانها تخفى المعالم وتقدمك إلى الضياع٠

السراب تلك المرايا الإلهية التي تعكس أديم السماء على صفحة الأرض وتجعل الأقزام عمالقة ٠ ويكذب الإنسان بصره ويعيش في عوالم الشك والمحنة٠

إمرتهم بالتوقف ونزل هذا الأمر منزله البرد السلام على اوناس امتلأت قلوبهم بالخوف والهم٠ وقفت العربات قريبه من بعض وشددنا المشمع فوقها وجلسنا تحت ظلة ٠ وبدأت مجموعة الاعاشه في إعداد وجبة الغداء أو وجبه الفطور لاادرى هي وجبه وكفى واد بعضهم الصلاة في جماعة وبعضهم كان أهم له الشاي من الأكل ٠ عموما أخذنا قسط من الراحة٠

٩٤/ بينما نحن جلوس جاء سرب من الطيور هزاز الذنب واستغربت جدا من أين جاءت هذه الطيور الرقيقة الخفيفة الرشيقة في هذا الصحراء الموحشة ٠ أن الطيور هزاز الذنب هي من الطيور المهاجرة والوقت شتاء كان٠

لايوجد بالمكان اى نوع من أنواع الحياة هناء والشئ الغامض لاندرى من أين أتت كل هذه الطيور ٠ وهذه الطيور تسمى طيور البقر في بلادنا وهى دائما تتبع القطيع وتجلس على ظهور الأبقار وهى متحركة ترعى ٠ ويبدو أن حركة البقر بين الأشجار والحشائش والإعشاب تسير حركة الحشرات وخاصة الجراد والأنواع منة لذلك تلتقطها تلك الطيور

لأنها تتغذى على الحشرات أصبحت دائما ملازمه للحيوانات الكبيرة في رحله البحث عن الطعام ٠

هذه الطيور حزره جدا ولأتقرب الناس في منطقتنا٠وتسمى أحيانا (أم قردون الحاجة) كنا ونحن صغار نطلق عليها هذا الاسم٠

استغربت لان هذه الطيور وبإشكالها الجميلة التي اعرفها تماما وحزرها المطلق من الناس جاءت لتنزل في ظل المشمع الذي كنا نستظل به٠ ولا تتورع في أن تنزل على كتفك أو راسك أو رجلك أذا كنت جالس ٠ غريبة هي الصحراء

بدأنا نتساءل ماذا بها نلاحظ انه الجوع والعطش ولاحظت لأول مرة أن هناك نوع من أنواع الذباب ليس بالكثير ولكنه صغير الحجم وسريع الحركة ومعظم الوقت يكون على الأرض المبتلة بالماء عند الوضؤ ولاحظت أيضا أن هذا الطائر يلتقط هذا النوع من الذباب بمهارة فائقة ٠ وبسرعة جنونية تدل على انه يعانى من الجوع الكافر ٠ وهكذا تبدو دوره الحياة٠

لكن بكل اسف رصدت عندما يأكل الطائر ١٠ من هذا النوع ويشرب جرعه يموت فورا رحلنا تركنا أعداد كبيره من الشهدا الطيور وله في خلقه شئون٠

٩٥/ تحركنا متجهين شمالا على أرضيه نظيفة وممتعه في السفر والروح المعنوية عالية ٠ وبرد الجو بعض الشئ وزالت غشاوة السراب مع غروب الشمس واكتست الصحراء بلون الذهب ويمكنك أن تراقب الذي كبر حجمه واصفر لونه وشحب رغم إرساله للضياء الذهبي على أديم الأرض ٠ يبدو أنها ساعة صفاء دون غبار ورياح ٠ ولاحت في الأفق البعيد قمم الجبال راسيات تتلون بلون السماء حجارة صفراء محمرة وأخرى تميل إلى اللون البني ووغرابيب سود تلك هي الطبيعة وقدره الخالق٠

في الأمام جبال عالية لا يقل ارتفاعها عن ثلاثة إلف قدم فوق سطح البحر٠ وهو يشبه السفينة التي تتجه ألينا ونصفها غارق في الرمل كأنها سفينة تحمل بالبضائع ٠ وهى تعبر عباب البحر الرملى٠

بعد مضى ساعة من الزمان انضم ألينا طريق رمال من الغرب لينضـم إلى طريـق الحمـرة وعلمنا أنة طريق مليط وبعد نصف ساعة من المسير التقينا وبطريق دنقلا الذي ياتي مـن الشرق واتجهت جميع الطرق الى ذلك الجبل السفينه.

دخلت في ممر بين سلسلتين من الجبال والتلال الغير مرتفعه وهى تقع يمين وشمال ذلـك الجبل وتوهنا فى داخل ذلك الممر كلما اقتربنا من ذلك المرتفع قل حجمنـا وذاد ارتفـاع الجبل حتى كنا تحته مثل الأقزام تحت مقدمه تلك السفينة . وانحرفنا شمال بعـض الشـئ لنحاذيه من جهة الغرب ويا له مـن منظـر . وجـدنا أن الشـكل الخـارجي لهـذا الجبـل بيضاوي مثل بيضة الدجاجة وممتد طوله في اتجاه الشمال قرابة ال٢٠٠ كيلو ومكون مـن مجموعة ست قمم على شكل دائري مبنية مثل السـياج ولكـن بارتفاعـات مختلفـة كلمـا صعدنا إلى قمة نجد أن القمة التي تليها اعلى. وصعب الصعود جـدا لأنـك تبـدأ بالقمـة الأولى وتنزل حتى القاع لتبدأ القمة الثانية وتكرر نفس الشئ مع القمـة الثالثـة والرابعـة وهكذا إلى القمة الاخيره ألمرتفعه عن سطح البحر ب ١٣الاف قدم . مع ملاحظة أن هذه ألقمه مبنية مثل الأسوار وفى شكل دائري بيضاوي .حتى القمة الرئيسية وهـى لايمكـن صعودها أبدا ابدا.

في الاتجاه الغربي لهذا الجبل السفينة يمتد سهل يبـدأ مـن سـفح الجبـل في الاتجـاه الغربـي عشرات الكيلو مترات أرضيه صلبه مقطاه برمال خفيفة تصلح لنزول أضـخم الطـائرات ويصلح ذلك السهل للتدريب العسكري والمناورات .

الجانب الشرقي لهذا الجبل السفينة يصلح لأقامه المعسـكرات ومختفـي تمامـا مـن الأرض والجو . ولا يبعد أكثر من عشرون كيلو متر من جبل العوينات .

جبل كوسو وكلمه كوسو هذه تعني ابحثوا عنه اى من يختفي في هذا الجبل لايمكن العثـور علية مهما كانت طرق البحث . كان هذا الجبل ياؤى المعارضة السودانية في عـام ١٩٧٦ تحركت جموعها عبر الصحراء حتى أم درمان ولم تتمكن من الاسـتيلاء علـى السـلطه في ذلك الزمن وقوات هذه المعارضة لم يكنوا سودانيين.

العوينات:

٩٦/ هذا الجبل اكبر المرتفعات قاطبة في طريق الكفرة أعلاه ارتفاعا ويقع على الحدود ألسودانيه الليبية بمعنى أن الجزء من أراضى هذا المرتفع وبالتحديد الجزء الشرقي يقع في جمهوريه مصر العربية والجزء الشمالي يقع في الاراضى الليبية والجزء الجنوبي يقع في السودان ٠

لايبعد كثيرا من جبل كوسو ٠ وهى سلسله واحدة تتجه جنوبا وفى نهاياتها الجنوبية وعلي الجنوب الغربي منها توجد (كرب التوم) أو واحة السلفي وهى نقطه سودانيه على الطريق وهى نقطه تفتيش وجمارك٠ تبعد حوالي ١٥٠ كيلو متر من نقطه العوينات الليبية وهى أيضا تقع على صفحه جبل العوينات الغربية وبها نفس التكوين جمارك وتفتيش٠

هذه أل ١٥٠ كيلو التي تفصل بين النقطتين اخطر منطقه على طول الطريق ٠ يعترضها شريطا طويل من الكثبان الرملية الهلالية أو السيوف الرملية ٠ ولو حاولت تخطيها أعاصير وغبار ورمال متحركه٠ والطريق المناسب لتخطى هذه الرمال أن تتحرك محاذيا السلسلة الجبلية التي تكون جبل العوينات في نهاياتها والرحلة شاقه جدا على هذا الطريق أراضى مكسره ومرتفعات وأخاديد وحجارة متناثرة تصعب الحركة عليها٠

من بعيد وعلى صفحه الجبل الغربية رأيت مساحه شاسعة ملونه بالجير الأبيض وعلى مساحات واسعة وكلما تقربنا إليها يزداد بياض اللون وتزدادا لمساحه حتى علمنا أخيرا أنها أكوام من عظام الحيوانات التي نفقت قبل الوصول ملايين الحيوانات الإبل والبقر والضان والماعز كلها ماتت في هذه المنطقة بعد رحله طويلة ولم تبلغ النهاية ٠ من يراها أو يرى ذلك المنظر يعتقد بلا شك أن الثروة الحيوانية بالسودان تم إعدامها في الحدود الليبية وكلها دون أوراق رسميه بل تهريب ٠ ولو كان خروجها بأوراق رسميه لما نفقت بهذه الكيفية ٠

لم تسهل الدولة اجراءت تجاره الحدود لذلك اتضح لاهالي ان التهريب وركوب المخاطر هما الطريق الوحيد لذلك ضاعت من بين أيديهم هذه الثروة القيمة في دروب

الصحراء٠ وضاعت عائداتها الهائلة من الدولة التي لا تقدر هذه الثروة وحتى البشر وجدناهم في دائرة التهريب واختلطت عظامهم وعظام ثرواتهم الحيوانيه٠ وزهقت أرواح الجميع٠

٩٧/ وقفنا عند مقبرة الثروة الحيوانية السودانية نتأمل ونحاول أن نحصى إعدادها ووجدنا ضرب من ضروب الخيال أن نعرف كميتها وهى تراكمات سنين طويلة من الإهمال والضياع ٠ ولايمكن إحصاءها ولأعددها وأقل ما يقال عنها أنها كميات هائلة ومجهولة فقدت دون رقيب اوحسيب٠

التفت خلفي فوجدت ثلاث عربات فقط وكنا أربعة وسألت عن ألعربه الرابعة فلم أجد أجابه بل كأنها تبخرت مثل الماء في الصحراء لم نقف طويلا تسأل الجميع في قلق واضح واضطراب وأحيانا خوف قلت:ـ مخاطبا أفراد العربة الثالثة:

أين فارقنهم أخر مره ؟! اواين شاهتوها أخر مره وهى خلفكم؟:

قال احدهم:ـ

آخر مره أنا شفتها محل الغبار الكثيف خلف تلك التلال

قال أخر:ـ

أنا شفتها قريب من هنا ٠

وأصبحت الأقوال والإفادات والمقترحات تترا

قال احدهم:ـ

نرجع ونبحث عنها..!

وقال أخر:ـ

كل عربيه تذهب في اتجاه٠

واخذ الخوف من المجهول يسطو عليهم ٠

قلت لهم :ـ

أرجو ألا نضيع وقتنا يركب الجميع ونتجه إلى نقطه الجمارك والتفتيش أللييبه وهى ليست بعيده من هنا٠

صاح احدهم٠

أنت جنيت كيف نذهب نترك إخوتنا في الصحراء يواجهون الموت أنت راجل قاسى!!

قلت له:ـ

يجب أن أكون اقسي من هذه الصحراء ٠والاسوف تهلككم جميعا٠

ألعربه المفقودة مزودة بما يكفى ركابها لمده ثلاثة أيام وتعيينات تكفيهم لثلاث أيام وعددهم مناسب يقومو بمساعده بعضهم البعض٠وكل العربات متساوية في كل شئ عدد الناس والتعيينات والمياه وحتى أدوات الحفر وهكذا تعلمنا من العسكرية انو في الصحراء تتوازن أمور وتوزع المقدرات الموجودة بالتساوي٠ إذا فارقت إحدى العربات المسار يجب إلا نبحث عنها كلنا حتى لانضيع ويجب إنقاذ من يمكن إنقاذه من هنا تتتحرك الثلاث عربات حتي نصل كلنا إلى نقطه الجمارك ٠وبعدها نفكر كيف نبحث عن الآخرين ٠

تحركنا بمحازاه الحبل العاتي وخيم علينا العمت والحزن على من فقدناهم في تلك ألعربه المفقودة اتفق معي بعضهم واختلف معي البعض الأخر ٠ ولم اكترث لأحد الا الصبر الذي تعلمته من الصحراء ٠

استمرت الرحلة أربعه ساعات على طرق وعره بمحازاه الجبل وسط غابات كثيفة من أشجار السلم والأراك والكتر٠وصلنا النقطة التابعة للقطر الليبي وأول ما وقعت عليه أعيننا عربتنا المفقودة وصاح الجميع ديك ياها العربية لا حولة ولاقوة الا بالله العلي العظيم

وصاح احدهم٠

هوى ياناس ؟!!

اندهش الاخوه الليبيين من صيحات الاستغراب التي لاحظوها علينا جميعا٠

وعلمت منهم عندما اكتشفوا أنهم فارقو بقيه العربات قررو أن يمرو دون توقف أو بحث عننا وهذا صحيح٠

وصلنا العوينات ٠ وهى تكون مجموعه لمنابع الماء في قمة هذا الجبل وكانت تنحدر منه المياه في الزمن الماضي وهكذا دائما الجبال البركانية تجرى فيها عيون الماء وسمى هكذا لما به من عيون مائية تجرى فيها المياه٠

هذا الجبل يسيطر على الثلاث أقطار مصر، ليبيا ،السودان٠ حيث يقع ثلثه الشرقي في جمهوريه مصر العربية وثلثه الشمالي في ليبيا والجنوبي في السودان ويغطى مساحه ١٠٠٠ كيلو متر مربع ٠وعليه ٩ قمم يتراوح ارتفاعها مابين ٣-٥ آلف قدم فوق سطح البحر ٠ تغطى بعض قممه غابات كثيفة وبه حياه بريه كأمله بكل أنواع الحيوانات المختلفة ترقد في داخلها كميات كبيره من مياه ٠لم يكتشف هذا الجبل حتى ألان بل صعد فيه بعض الناس على ارتفاعات محدوده٠

تحته وعلى الميول الغربية توجد نقط المراجعة الجمركية وبعض الحراسات الشرطية ٠ وهذه العربات تعمل في التهريب وبالتالي لايمكن مرورها بهذه المنطقه٠

تشرق الشمس من جهة الشرق وظل الجبل في هذه المنطقة يظل حتى يتعدى النهار٠

المحور (ج)

فبراير ١٩٧٨م

الصياح _مزبد:

٩٨/ الصباح هي الواحة الثانية في شمال دارفور واحة مليط ولا تبعد كثير عنها٠وهى قرية كبيره وجميله بقطاءها النباتي الكثيف٠ وطبعا أينما وجد ألقطاء النباتي في الصحراء يضفى عليها جمالا وفرحه٠

تقع قرية الصباح بين ثلاثة أوديه تحدد من السلاسل ألجبليه التي شمال وشرق القرية وتعبر هذه الاوديه بعد التلاقي لتصب في بحيرة مليط ٠ النشاط البشرى عند أهل القرية الصياح في ألزراعه التقليدية والمحدودة لبعض القبائل المستقرة ولكن الرعي هي الاوليه المسيطرة على حياه السكان لان معظمهم رعاه٠

في الصباح الباكر تحركنا من الصياح في اتجاه الشمال والوقت شتاء كان٠ واستقبلنا موجات من الرياح الباردة تغزو الجنوب وتملا صدورنا ووتجمها الم في العيون ٠تحركنا عبر أراضى صخريه مكسره وخيران وغابات كثيفة من أشجار الكتر واللعوت والطنطب والسلم وكلما اتجهنا شمالا يضيق الطريق بسبب السلاسل الجبلية التي تمتد شرقا وغربا وهنا وهناك ترى قطعان الإبل ترعى ٠ وخرفان متناثرة هنا وهناك وبيوت من الشعر والمشمعات ذات الألوان الزاهية وعرفنا أنها بادية من بوادي قبيلة الزياديه المتناثرة في شمال دارفور٠

السلاسل الجبلية المتجهة شرقا تستمر إلى أن ملتقى المحور(أ) في منطقه المالحة ونلتئم مع تلك الجبال البركانية وتمتد شرقا لتأخذ معها سلسله جبال حيدوب وتستمر شرقا إلى أم قوزين شمال أم كداده وجنوب ألدكه التي تتبع الكبابيش وتعبر هذه السلاسل الجبلية

شرقا لتلتئم بجبال أم بادر وتستمر شرقا لتلتئم جبال كجم أبـو قـاس المفـتح وأبـو قـاس المغمض ٠ وتعتبر المحور(ب) في وادي الملك وتبدأ منه جبال سـودرى وجبـال السـت في حمره ألوز وتستمر هذه السلاسل الجبلية شمال جـبره الشـيخ حتـى تلتـئم بجبـال سـربيد وجبال كونان حتي المرخيات غرب أم درمان ٠أما السلاسـل الجبليـة الـتي تقـع غـرب المحور (ج) متجه غربا إلي جبال كتم وتمتد إلي سلسلة جبال سي شرق كبكابيه ٠ لتلتئم بجبل مرة وتمتد حتي شاد هذا الشكل من السلاسل الجبلية التي تمتد من غـرب أم درمـان وحتى جبل مره وكما ذكرت في موقع آخر من هذه الاصدرة هذه السلال الجبلية تصـلح أن تكون خط دفاع لهذه الصحراء التي كادت أن تفصل السودان إلى جـزاءين ٠ ويمكـن ذلك بزراعه غطاء نباتي بين الجبال ليمنع الزحف الصحراوي جنوبا و يعـني ذلـك أهـل البيئة في السودان٠

٩٩/ مازالنا نتحرك تجاه مزبد في الشمال لاندرى كـم المسـافة حتـى نصـلها ؟! والشـئ اللافت للنظر أن الطبيعة تتغير بين كل لحظه وأخـرى ٠ وألان نلاحـظ أن الأرض يـتغير شكلها من أراضى وعره وضيقه أصبحت واسـعة وممتـدة تسـهل فيهـا حركـه المركبـات ولكن الشئ اللافت أيضا أن الغطاء النباتي بدا يتناقص وأصبحت الأشجار أكثر شـحوبا وجف رونقها وصارت ذو صفره أو أوراق ٠ وبدأنا نحس بالصحراء الحقيقية والصحراء في تقديري هي أحساس ومشاهده٠

وظاهره أخرى تستحق الوقوف عندها٠معظم الأشجار وخاصة أشجار الكـتر أصـبحت جافة تماما بل ورايتها مقلوبة رأسا على عقب اى بمعنى أن الشجرة تقف على الفـروع و الجذور إلى أعلى ويحدث ذلك عندما تأتي الأعاصير وتهب علي الأشجار الجافـة يحـدث هذا المنظر أي تقلع من جذورها وتدفعها إلي الأمام لتقف علي الفروع وترتفـع الجـذور اعلي انه الزحف الصحراوي المخيف ٠ كل الأشجار الوارفة أصابها الجفاف وأصبحت تبدأ مقاومه الرياح تساقطت كل أوراق الغابات وأصبحت عيدان قامـت عليهـا الارضـه هذا الزحف الصحراوي المخيف ياتى على الأخضـر واليـابس ويهـدد حتـى الجمـادات

ويجعل الأرض مثل ارض المعركة التي لا تبقى وتزر إلا بعض ألاشياء عجزت عن الحركه٠

هذا الزحف الصحراوي المخيف والمميت يهدد حياه الإنسان والحيوان ويتسلل ألينا دون أن نعلمه أنها الغفلة ياسادتى تهدد الأرض بعض الشئ ونحن نتجه صوب الشمال وبدأت تتلاشى الأشجار الساقطة وبقايا الحطب القديم قدم التاريخ الذي كان يملا الأرض ٠رويدا رويدا تقدمنا وأصبحت مزبد على مرمى حجر منا بعد أن تخطتها موجات الزحف الصحراوي وهبوب الشتاء الباردة وأصبحت كل منطقتها عارية تماما من الغطاء النباتي ومدهشه وخاليه ولا رموز للحياة فيها ٠ واتسأل لماذا يتملك الإنسان بمثل هذه البلدة ؟! التي هاجرت عنها طيور الغزم وعادها خريف العمر برداءة الأخضر إلى الأبد ٠ مزبد ٠لاشئ فيها يشبه الحياة إلا بضع أغنام وقفات على شجيرات جف ماء الحياة على اغصانها٠

لم نبقى فيها طويلا بل عبرنا في اتجاه الوخائم ٠

الوخائم:

١٠٠/ لا تبعد كثيرا عن مزبد ولا تختلف الطبيعة عندها إلا انه لاح في الأفق الغربي سلسله عاليه جدا من الجبال ويتوسطها جبل أكثر سواد من الليل بينهم٠ وأطول ارتفاعا من ناطحات السحاب واعتي واقوي من أن ينهار أمام عوامل التعرية التي تأثرت بها كل المخلوقات والكائنات في هذه المناطق حتى الجمادات٠

جبل مون ذالك المرتفع الأسود الذي تراه ومون باللغة الانجليزية تعنى القمر ويبدو أن هذه الجبل سمى هكذا لارتفاعه الشاهق حتى كاد أن يلامس صفحه السماء٠

هذا المرتفع الصامت يحفظ تاريخ هذه الديار والذين تعاقبوا عليها من أبناء البشر ألوف السنين ٠فيه مغارات وكهوف مظلمة لم يكتشف فيها إلا القليل عليه نقوش تحكى عن زمن الاستعمار وحقبه الانجليز في بلادنا٠وعليه اثأر تروى قصه التنقيب عن الذهب والمعادن النقيه٠ ونحن اجهل الناس بلادنا نرويها قصص أساطير لاندرى حتى طبيعتها وستظل بلادنا دون سيره ذاتيه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ٠ نحن لا نعرف تاريخ

بلادنا بكل أسف بل نعتمد على روايات يرويها مـن حضـر الأحـداث في منطقـه مـا أو موقع ما ونكتفى بما سمعنا من بيانات قد تكون صحيحة وقد لأتكون صـحيحة ٠أتجهنـا شمالا وانسابت الحركة عبر أراضى منبسطة سهله لا تضاريس عليها ولاحظت أن بعض الاوديه منسابة معنا في اتجاه الشمال والذي أصبح ألان أكثر انحدارا ٠ وهـو تقريبـا خـط لتقسيم المياه المنحدرة من الجبال الجنوبية التي عبرنها والجبال الغربية التي نراها من بعيد ٠ هذه الاوديه في تقديري أنها تمثل منابع وادي هور٠

وصلنا الوخائم بعد رحله قصيرة من مزبد وعلى طريق تسـهل الحركـة عليـه٠ وجـدناها لأفرق بينها وبين مزبد إلا فنطاز الماء المعلق على أعمده من حديد وملون بلونين ابـيض واسود في شكل مربعات وهذا المنظر اى الصـهريج والـد ونكـى ويـرى في معظـم قـرى غرب السودان٠

هذه الوخائم أكسبتها مورد الماء أهميه كبرى في تلـك المنطقـة حيـث تتجـه كـل الثـروة الحيوانية الموجودة في تلك البادية إلى الوخائم الأم٠ الذي جعلها موقع تجاري مهـم هـو الدونكي تحركنا من الوخائم والشمس تدنو من المغيب واتجهنا شـرقا بمجـازات مجموعـه قلاع والقلعة بلغه أهل المنطقة ٠هى جبل ليس مرتفـع وقمتـه مسـطحه ٠وهـذه القـلاع الست عبارة عن ترابيز مرصوصة وبينها مسافات متساوية وكل واحده فيها عبـارة عـن صخره من حجارة القرانبيت الملون بثلاث ألوان اصفر وبـني واسـود ٠ حفـرت الريـاح على جانبيها أخاديد ضيقه و طبقات متراكمة تحكى تراكمات السنين على هذه الامكنه٠ يحاذيها طريق العربات وهو اقل وعوره من طريق مثل الوخائم٠

سبقتنا أشعه الشمس الذهبية شرقا وجعلت من هذه القلاع وظلالها الـتي امتـدت شـرقا كأنها ألمرده اوالشياطين الضخمة في طابور العرض٠المسائى انحرف الطريق بعد آخر قلعه واتجه شمالا وبعد مسيره ٣-٥ كيلو دخلنا القرقف٠

القرقف:

ارض لم أرى مثلها كل حياتي ٠ وهى تبدو ارض مسطحه منبسطة وممتـدة مـدى البصـر ارض وقلعه خففيه وصلبه وتتخللها بقع سوداء٠وكانهـا جلـد نمـر ضـخم جـدا والبقـع

السودا وهي اخطر أنواع الصخور التي عرفتها والمنطقة في تقديري هـي جبـل مـدفون في الأرض وسطح كتلك القلاع ولكـن غطـاه الرمـل الخفـيض وظهـرت الصـخور المدببـة السوداء وهذا القرقف لايمكن السير عليه إلا بصـعوبة ٠ وتحتـاج المسـألة !! إلـي امهـر السائقين لكي يتحرك عليـه٠ ونحـن دخلنـا هـذه الارض بالخطـاء واكتشـفنا أن الطريـق الرئيسي يتجه أكثر شرقا في محازاه تلك القلاع ٠ بدأنا المسير علـى جلـد النمـر المفـروش وفى حاله حدوث اى خطاء ولامس أطار ألعربـه ألبقعـه السـوداء لا تنجـو ألعربـه مـن التوقف بتلف الإطار ٠ ولم تمضى نصف ساعة حتى توقفت العربات الاربعه كلها أعطال في الإطارات وأصبحت كالجنود الذين تاهوا داخل حقـل للأنعـام لا يعرفونـه ٠ ولـيس أمامنا إلا المبيت ٠ وسخر الجميع من هـذه الارض الغريبـة ٠وقـال احـدهم٠ياسـيادتك حقو تجيبو الفريق القوى هنا عشان يحاور الحجا ره دى!!!

وقال آخر:

يومكم اسود القال ليكم تمشو على ظهر النمر منو ؟!!

وقال آخر:-

الطريق بى غادي !! الجابنا هنا شنو؟!!

وظلت هكذا الليلة٠ وفى الصباح الباكر بدأنا السير المستحيل٠ نحاور في تلك الصـخور السوداء المدببة حتى انتصف النهار ولاح لنا في الأفق البعيد خيط اسود واخضر يمتد مـن الغرب إلى الشرق أو العكس ٠ وكلما قطعنا كيلو في الأرض المستحلية يتسع ذلك الخيط ويزداد جنوبا حتى علمنا انه وادي هور ٠ وجدن الماء والغطاء النباتي الـذي فارقنـا مـن قبل مزبد ٠

١٠٢/ غريبة هي الصحراء والرحيل فيها كلما عبرنهـا يحضـرنى البحـر ولسـت ادري وجه الشبه بينهما ٠ لكنني اجتهد كما أدرى والمثل السائد بقول أن الغريق بتمسك بقشـة والقشة في عرض البحر تعنى الكثير بالنسبة للغريق الذي يعتبرها الحياة وطوق النجاة من موج قد يتلقفه أو حيتان قد تبتلعه٠

كذلك في الصحراء رؤية الأشجار وان كانت متفرقة وجافه أيضا يعنى الحياة والظل والارتياح بعد رحيل ومضى في دروب وعره وجافه وهجر حارق وعنت ومشقه في دروب الصحراء وتلك هي المقارنه٠بين قشه البحر وشجيرات الصحراء وحب التمسك بالحياة والأمل الأخضر بعدهما ٠اى بعد الصحراء والبحر سبقت أنظارنا المسافة وتعلقت بذلك الأمل الأخضر الوحيد البعيد ،وما كلنا نعلم أن القرقف مازال يتمسك بنا ومازال بالمرصاد لاى خطا يعرض الإطار للانفجار٠

القرقف هذا ولست ادري من اين أتت هذه التسمية ولكنه جزء حقيقي من الصحراء وصعب السفر عليه وكلها كذلك و لم نجد فيها طرق تمنع السفر عليه تعلمنا فيها الصبر والصبر اليائس الذي تتخلله نسمه الأمل الأخضر الذي يداعب أنظارنا بين كل لحظه واخرى٠

تحركنا ببط شديد وبجزر قاتل على تلك الأرض القاسية قسوة الصحراء ٠تحركنا تحت وهج الشمس الجافة وهى في لب السماء تلسع الوجوه وتجفف الشفاء حتى أصبحنا مثل الافاعه تخرج ألسنتها لتبلل الشفاه ٠ وتدور أعيننا في الخارج في صمت النسور الجارحة تبحث عن موطئ قدم لها في ارض يباب٠

وجدت أن السفر في الصحراء والسفر في البحر يرتبط بينهما الصبر والصبر وحده هو طوق النجاه٠ واتجه بنا الطريق نحو وادي هور٠

وادي هور:

١٠٣/ وادي هور للمرة الثالثة وهو القاسم المشترك على كل الطرق التي تبعد من الصحراء إلى ألكفره في البلد الليبي العربى٠ وادي هور عبرناه في المحور الأول وعبرناه في المحور الثاني وألان نعبره في المحور الثالث والمعابر هذه مختلفة جغرافيا ولكن الوادي واحد واكتشفت لأول مره أن القرقف عبارة عن هضبة مرتفعه وممتدة من الوخائم وحتى وادي هور ٠وذلك لان الانحدار كان حادا ونحن نتجه جنوب الوادي بعد عبورنا تلك الهضبة المحنه القرقف٠

وادي هور في هذا الجزء عبارة عن ارض منخفضة يتراوح عرضها مـابين ١٠الى٢٠ كيلـو متر تتخللها كثبان رمليه صغيره هنا وهناك ويظهر وسطها مجرى الوادي الرئيسي وغطـاء نباتي كثيف من أشجار السلم والسيال والأراك والمرخ وكلـها أشـجار صـحراويه تنقـل طبيعة الصحراء القاسية والمناخ الجاف والحار نهـارا والبـارد لـيلا٠ والملاحظـة أن كـل الأشجار تحتفظ باللون الأخضر بعض الشئ٠

١٠٤/ تمددت أجسادنا بهجر الشمس المحرقة في القرقف تمدد الصـخر والحديـد والرمـل وعندما هبطنا الوادي وغابت الشمس بدأنا جميعنـا نجمـد المعـروف أن وادي هـور أكثـر بروده من كل مناطق الصحراء ٠ الماء والجزر هي ظاهره حياتية معروفه تسبب كثير من التلف خاصة بالمعادن علي الطبيعة وهي عامل رئيسي من عوامـل التعريـة الـتي تصـيب المعادن والجبال الصلبة أن الحياة تثقل الحديد أذا لبسته وتبلى الحجر٠ وهـذه المعـادن لا تظهر جليا إلا في الصحراء حيث الطبيعة الصمت لحظه الشدة الجوع والأكـل والشـراب إلا بمقدار ٠ لحظتها يبحث الإنسـان عـن ذاتـه ٠ ويبـدأ في داخلـه الإحسـاس باليـأس والمستحيل ٠ تأكل الظنون والشكوك ٠ ويؤرقه السؤال هل سيصل النهايـة ؟! أم يسـقط دونها ؟ فلا ينظر إلا السراب ولا يلمس إلا الفراغ ولا يحس النـدم ٠٠ويصـبح سـاعتها طائر بلا ماوئ وربيع بلا بلاد ٠ ونجم بلا أفق ٠ويحس أن نار تأكل الجلد والشـعر وفـى العظام تعترك الحمى ويذوب رويدا رويدا ليضيئ في دنيا العدم

أنها الصحراء بلا أمل بلا حياه ٠

بقينا سويعات داخل الوادي أخذنا قسط من الراحة وقضاء حاجتنا وتنـاول وجبـه وهـى الوحيدة في ذلك النهار وتلك الليلة ٠ ونسـتعد بعـدها لعبـور السـبعانى الـتي لا يمكـن عبورها نهارا لما يصيب المركبات من ارتفاع حـرارة مقـدر بالمائـات ومتعبـه للإطـارات أيضا التي عبرت القرقف بمشقه٠

انتشرت الناس لقضاء حوائجهم وأضرمت النار ومعنا أخـوه لهـم هوايـة في فـن الطـبخ وبسرعة فائقة أعدت القراصه بدمعه الغزال وكانت أشهي وجبه أكلتها بعد الجوع طـوال

النهار في القرقف ٠ وعقبها كوب من الشائ هو الأكثر أمتاعا واستعددنا للرحيل تجاه السبعانى٠

السبعانى:

١٠٥/ هي عبارة عن سبعة مرتفعات شاهقة الارتفاع ولا يقل ارتفاعها عن ٢٥٠- ٣٠٠ متر وهي مترامية علي التوالي شمالا وتبدأ من حافة وادي هور يحد شكلها الطولي من الغرب إلي الشرق في محاذاة للوادي ٠ تنظر شرقا لا تجد لها نهاية وغربا كذلك لذا كان طريق العربات والشاحنات يعبرها مباشرة تصعد ثم تهبط لتصعد مرة أخري حتى تعبر السبعة كثبان وأنت متجه شمالا مساحة ١٥٠ كيلو متر ٠

وعبور السبعانى مغامرة كبرى لاتخلو من مخاطر جسميه ٠ وتبدأ الصعود بقوه المحرك ٠ مثل عربات الدفع الزأتي في مدن العاب الأطفال وتلك أللعبه لا يمارسها ألا المغامرين من الأطفال وزويهم٠ عربات الدفع الزاتى (ممنوع للحوامل من النساء) يبدأ الصعود على المرتفع الأول الذي يبدأ من حافة الوادي بقوة المحرك ولا مجال أن يصعد المركبات خلف بعض بل كل مركبه وعربه وشاحنه أن تجد طريقها على المرتفع لذلك تنتشر العربات وكل يمارس مهاراته وقوة محرك العربة التي يقودها إلى أن تأتى المفاجاه في القمه٠

تسلقت العربات المرتفع وسط صيحات تشجع السائقين وهى تصعد وتعلو بكل قوتها وصبر سائقيها وتشجيعنا لهم ٠ أحسست أنا أن الضغط القوى تغير في اذنى ولا أدرى ماهو شعور الآخرين ولكن الأمر مخيف إذا كان الإيقاع بهذه الدرجة لابد أن يكون الهبوط أصعب هنا أحسست أن التشجيع والصيحات توقفت ووصلنا القمة الأولى وبدا منها الدفع الزاتى وكان أقسي امتحان لنا جميعا وعلى وجه الخصوص السائقين٠

عربات الدفع الذاتي في مدينه الملاهي تجري على قضبان مثل قضبان السكة حديد لذلك يصعب على ألعربه الخروج من محور ارتكازها وبالتالي تعلو وتهبط بسلام٠

اماهنا في السبعانى لاشي غير الرمال وانحدرنا جميعا نحو الهاوية وبلغت القلوب الحناجر وذادت السرعة التي بلغت ٩٠ قدم / الثانية قبل الذي يهبط بالقلعة ٠وما أن وصلنا القاع

حتى صعدنا ثانيه وبسرعة فائقة وتناثرت عرباتنا بعد ذلك وأصبح السائقين هم طوق النجاة •وما أن صعدنا المرتفع الرملي الثالث حتى تمنينا أن نبقى في القرقف طول العمر جحظت العيون حتى كادت أن تخرج من محاجرها ووجمت القلوب حتى سابقت محركات العربات في سرعتها ولازمنا الخوف من المجهول •وامسكنا بكلتا اليدين على حديد العربة حتى صرنا جزء منها •

وصرنا نعلو ونهبط والصمت خيم بيننا لا يسمع إلا محرك السيارة وأزيز الرياح في أذنينا وبعد مضى ثلاث ساعات كأنها ثلاث سنوات عبرت عربتنا أول المركبات•

١٠٦/ شكرنا الله كثيرا بعد أن عبرنا أخر المرتفعات الرملية وبدأت انظر إلى الخلف لمتابعه بقيه العربات• ورغم المغامرة والخطورة على المرتفعات إلا أنى رأيت منظر جميلا للعربات القادمة وهم لايرى فيها ألا المصابيح المضيئة وهى تختفي لتظهر من جديد في تلك المرتفعات الرملية كأنها السربان المتحركة •

لم نشاء أن نتحرك بعد وصلنا لأخر مرتفع وهو عبارة عن هضبة رمليه ممتده• تعبرها السيارات على خطوط متوازية حتى أصبحت كأنها صفحه في كراس عربي وتمتد هذه المتوازيات إلى مالا نهاية ولا تلتقي حتى في نقطه التلاشي • وصلنا على هذه المتوازيات وكأننا على مضمار للسباق • رحله سعيدة وسريعة وجميله مع بروده الصباح الباكر حتى بات قرص الشمس في الأفق الشرقي • وصار يرتفع قليلا رويدا رويدا وينداح الضؤ ليملا أرجا المعمورة وأصبحنا نبصر الأشياء على طبيعتها •اتجهنا تدريجيا نحو السهل الواسع والممتد • الذي تتوسطه أضخم شجره في الصحراء خاصة وهى ليست مخضره يانعة كأشجار خط الاستواء ولا جافه متحطبه كأشجار الصحارى • بل هي وسط اخضرار وجفاف ولكنها ضخمه • لايوجد شئ لافت حولها بل وحدها تتوسط هذا البحر الزاخر من الشمول الرملية •ولايكاد النظر يفارقها إلا ليعود إليها مرات • ومرات •احيانا •ياتيك الإحساس بأنها مارد جبار يعترض طريقنا وسط الصحراء•واحيانا تحس أنها مثل الأمل الخضر المزروع على طريق النجاة الذي نسلكه •

وكلما اقتربنا أكثر كلما زادت هذه الشجرة ضخامة اكبر ٠حتى وصلناها أخيرا هذه شجره الليبيين ٠

شجره الليبيين:

١٠٧/ شجره معمره لا يقل عمرها عن ١٠٠عام واصلها شجره أراك ويكثر شجر الأراك في الصحراء لملائمة المناخ ويسمى عندنا في بلادنا هذا النوع من الأشجار بأشجار الشأو ويستخدم كفرش أسنان طبيعيه لنظافة الأسنان وتقتات عليها كل حيوانات الصحراء وخاصة الإبل ٠

هذه الشجرة التي نراها إمامنا يتراوح عمرها مابين مائه إلى مائه وخمسون عام التف ساقها الضخم وتلوى كالثعبان أو مجموعه ثعابين تلتف حول بعضها البعض لتكون هذا الجزع الضخم لشجره الليبيين ٠

يمتد ظل هذه الشجرة ليغطى مساحه كبيرة تستظل فيها كل الكائنات الحية في تلك المنطقة بما فيها الإنسان والغريب حتى الحيوانات المتوحشة لاتبتعد عن ظل هذه الشجرة أن أباه الإنسان وهى ترغب حركه الناس المسافرين ولا محالة اذ مفارقون ذلك الظل الجميل في هجر الشمس الصحراوية الملتهبة ٠

تحت هذه الشجرة تتناثر قطع صغيرة من الفحم وبقايا أكوام من الرماد لتدل على أن الكثيرون عبرو من هذا وجهذو طباخاهم تحت هذه الشجرة الجميلة ولا يستطع أن ينساها كل من عبر إلى السودان أو إلى ليبيا ٠

١٠٨/ هذه الشجرة الجميلة والتي تتوسط الصحراء السودانية رغم انه أنسبت للاخوه الليبيين ٠لم نبقى تحتها طويلا خاصة أن النهار في بدايته ومازالت المسافة بعيدة مجهولة لنا جميعا ٠ نحن نتجه صوب كرب التوم أو واحة السلفي وان الانتظار تحت هذه الشجرة يعنى الراحة والاسترخاء ومازال النهار طفلا يحبو ٠ لاحظت أخيرا أن أطراف هذه الشجرة العليا نبت فيها صفق اخضر ندى ويانع وهذا يعنى أنها نمو في مضطرد ٠ويدل أيضا علي أن الحياة موجودة في تحت رمال الصحراء٠

سكر شتت:

أطلق هذا الاسم علي طبيعة الارض بعد شجرة الليبيين ونحن في طريقنا إلي واحة السلفي ٠ تتميز طبيعة الارض في هذه المنطقة برمال لونها ابيض ناصع يشبه السكر تماما ولكن ليس فيه طعم السكر وتمتد هذه الارض بطول ٦٠ كيلو في اتجاه الشمال والغريب في الأمر أنها رمال بلا غبار أي بمعني أن إطارات العربات لا تسير الغبار برغم من نعومة التربة التي تشبه السكر ٠ لكن النظر لهذه التربة والشمس في كبد السماء يفقد البصر ٠ ولا تستطيع أن تنظر إليها دون أن تكحل عيناك ٠ لم نجد تفسر أو تعليل علمي لهذه الظاهرة الطبيعية الموجودة في قلب الصحراء والتي أطلق عليها المسافرون سكر شتت وهي من الأشياء الغامضة في الصحراء

واحة السلفي (كرب التوم)ك

١٠٩/ امتطينا المسير في اتجاه الشمال على أرضيه صلبه وممتدة كاشفه لايجد فيها حدود ومازال النهار في بدايته وبروده الصبح تغمر المكان والروح المعنوية مرتفعه لأننا أصبحنا ندنو من واحة السلفي ونمنى النفس بالماء والخضرة ولا نطمع في الوجه الحسن٠امتد الطريق نحو الشمال وزحفت الشمس نحو كبد السماء وجاءت موجات دافئة تطرد بروده الصباح وجاء النهار متوغلا وحاصرنا السراب من كل الجهات ولاحت أبصارنا وأصبحنا نرى الأقزام عمالقة وعلي همشنا خيل راسيات لا وجود لها وركام بألا رض ابيض اللون هنا وهناك مثل أكوام القطن كلها أوهام إبصار ذائقه في الصحراء٠اشتدت سخونة النهار وجاءت من الشمال عواصف رمليه مسرعة كأنها تطارد فلول متدرجة من الجبل وبسرعة فاقت سرعه مركبتنا بل حدث منها ومض ترحل عكس التيار٠أصبحت حركه مركبتنا بطيئة لسرعة الرياح الترابية المتجهة جنوبا وسدت الرؤية، لسخونة الجو ضاقت بنا الصحراء وضقنا وتمنينا لو بقينا طول العمر في مرتفعات السبعانى التي تجمعت فيها العربات بصعوبة ونحن نتضرع جوعا ولا يوجد أي نوع من الطعام في ذلك الجو العجيب ٠ ولأول مره اكتشفت تطابق المعنى المادي والحسي في

المقولة (أدى راسك للرياح) وفعلنا ذلك حتى انقضى النهـار بأكملـه وبعـد ذلـك دبـت الحياة في اوصالنا٠

المحور(د)

الطريق عبر الضاحية

١١٠/ كتم :

مدينه تقع على حافة الصحراء في الاتجاه الغربي ووقعت هي والجبال التي تقع خلفها في وجه تقدم الصحراء نحو الغرب وسدت الطريق أمام جحافل الزحف المسلح الصحراوي بأسلحة العواصف والرياح والحرارة التي تصلب الحديد٠

كتم مدينة تقع بين صلابة الصخر وهشاشة الرمل وتجرى حولها أوديه خضراء تزرع الحياة والأمل في النفوس ٠ كتم كانت وجه للقبائل الرعوية وقبائل الصحراء واصلها قبائل الزغاوه رعاه الإبل وبعض القبائل الأخرى التي تمتهن الرعى٠

وهناك واديا يعبر هذه المدينة وينصفها إلى نصفان وتراصت حوله أعداد كبيرة من الجنائن القناء تزينها أشجار النخيل الباسقة ٠هذا الوادي أضفى على المدينة صوره زاهية وباهيه من الجمال الطبيعي دون زيف ٠بها كثافة سكانية غير عاديه بسبب مركز الجمارك الذي يستقبل ألتجاره الليبية لذلك قصدها الناس من كل أنحاء السودان للعمل ٠

المنطقة الجمركية وبالتالي أصبحت فيها ثقافات متفرقة وتحمل في طياها سوداني منصهر ٠تتعايش كل هذه القبائل في سلام وود من اجل الرزق في ألتجاره التي تأتى من خارج الحدود ٠ ازدهرت المدينة التي تقع في حافة الصحراء وأصبح سوقها يحوى كل المطلوبات تقع المدينة في رقعة جغرافيه محمية تماما كأنها وصفها قائد عسكري ولاشك أن كل الناس في ذلك الزمن المسبق كانوا جنودا على الطبيعة لذلك شيدت المدن وكأنها قلاع عسكريه يحمى فيها الإنسان والحيوان وتوفر الأمان للجميع ٠

يمكن التقرب إليها اى المدينة من كل الاتجاهات ماعدا الجهة الغربية التي تغطيها مرتفعات شاهقة مسلسله في اتجاه جبل مرة أعلى قمة في السودان واذكر جبل مون وجبل أكست وجبل كلورد وجبل سى ومرتفعات مخيفة لايستطيع الإنسان التقرب إليها دون الضرورة

الطريق عبر الضاحية :

١١١/ الضاحية هنا تعنى رقعه جغرافيه واسعة تسهل الحركة عليها لكل أنواع المركبات ولا توجد بها طرق رئسيه ٠المنطقه التي تقع في الشمال وشرق كتم هي عبارة عن ضاحية واسعة تتحرك عليها بوادي عديدة والبادية هي الأخرى عبارة عن ضاحية تتحرك عليها أعداد كبيرة من القطعان والفرقان وبيوت الشعر والخيام وكل الحيوانات الاليفه في صحبه البشر ٠هذا الكم الهائل من الحركة يسمى الباديه٠

وهذه البادية الممتدة شمال كتم وشرقا ألاف الكيلو مترات هي عبارة عن مراعى واسعة نبت فيها نبات الحزو في فصل الشتاء٠

نبات الجزو هو نبات له خصائص عديدة يروى ويشبع ويعطى الحيوانات صحة جيده ولياقة عالية ٠لذلك نجد كل البوادي في دارفور وكر دفان يقصد هذه الضاحية في فصل الشتاء ماعدا قطعان الابقار٠

في الشتاء نجد قبائل الكبابيش والكواهلة والهوا وير الحمر الشنابلة من كرد فان و الزياديه و الزغاوة وكل رعاة الإبل يقصدون هذه الضاحية لقضاء الشتاء فيها تنقلنا معهم في هذه المناطق حتى وصلنا الحدود السودانية الليبية والشادية ورأينا ما لم نراه وسمعنا ما لم نسمعه ولا يخطر بقلب بشر من غموض الصحراء٠

١١٢/ كنا نتحرك في شكل أطواف لحماية هذه البوادي المستقلة في ذلك الزمن الجميل ونزلت بالغرب من أحدى بوادي قبيلة الزياديه ٠ الوقت شتاء كان القمر ربيع والهلال اكتمل بدر٠ ويقول أهلنا في كرد فان (الهلال كتل البعشوم) وهذه المقولة تعنى أن القمر تأخر في الخروج حتى بعد المغرب بقليل وهذا التأخر أنة دارت معركة بينه والثعلب واغتاله ثم عاد للظهور بدرا والله اعلم

توسط الضرا الفريق والضرا يعنى المساحة الانيقه وسط الفريق يجتمع فيها الرجال والشباب والأطفال لمناقشه شئون الرعي وترتيب المسير ويتناولون فيها العشاء وأطراف الحديث وهى أجمل الأوقات في البادية وتأخرت كثيرا لتغيب شمس الأمان وسطهم وجدتهم دائما دروس وعبر٠لذلك طيلة وجودي معهم كنت أحسن مستمع لثقافتهم

ليست عندي مفرداتتهم احتاج لمعجم لكي اشرحها وكلها ساعات تعلم وجمع المعرفة من نوع أخر ٠

غذائهم الرئيسي لبن الإبل وفيه حكم علاجيه كبيره يؤكل ويشرب بكل انواعة والحكمة ليس في ألبانها مهما تعدت أشكالها الحكيمة في الإبل سمعنا حيث يقال أنها خلقت من بقايا الشيطان والعياذة بالله والشيطان هذا يكون وبكثرة أينما كانت الإبل ويشارك راعيها الحل الترحال أذا تحدثنا عن ألبانها نجدها نوعين (الغارس)وهذا فيه حموضة اى تغير طعمه والنوع الثاني وهو الحليب ويقال أن القارص يبقي في (السعن) اى جلد الماعز المطبوق يجهز خصيصا لحمل السوائل الماء واللبن والسعن يحفظ القارص لمده ستة أشهر في السعن ليعود ويتحول للبن حليب مره أخرى والله اعلم ٠

سمعت قصص كثير ومسيره عن الإبل في تلك البوادي الصامتة والصابرة التي تعمل ليل نهار في أجوا صعبه وقاسيه في تقد يرى لو كانت هذه الإبل حيوانات متوحشة لكانت أصعب في التعامل واخطر في المواجهة مع الإنسان وبالرجوع للشيطان حكي لي احدهم قائلا في أحدى الليالي المغمره وبينما كنت مستلقيا على الرمال سمعت حركه غير عاديه في اتجاه القطيع عدوت مسرعا الي هناك لم أجد شئ مجدد ولأكن كانت الإبل جميعها في حالة هياج وخوف كانت هناك أكثر من ناقة في موسم التزاوج في ذلك القطيع لاحظت وجود فحل غريب ليس من القطيع ضخم الجثة بعض الشئ وناصع البياض لم اعره اهتماما كثيرا وعندما عدت مطمئنا قابلت الحاج بشارة فسالنى :

ماذا هناك ؟٠

قلت:

لاشي سمعت حركه غير عادية باتجاه القطيع وجئت للاطمئنان ولم ألاحظ شيا ٠

قال:

أذا اذهب ودعني معه ٠

قلت:

مع من

لم يجب العم بشارة بل اتجه صوب القطيع واخذ يدور حوله ورجعت أنا لحيث أنام وفى الصباح الباكر تجمعنا حول النار آدا فريضة الصبح وفى انتظار الشائ وقبلة فكت الريق حينها حدثنا العم بشارة بليل البارحة هنالك فحل من السافل بين القطيع وتسألنا كيف جاء من السافل وهو غير موجود فاخرج الشيخ اثنين من مخلفات الإبل المعروف أن مخلفات الإبل عبارة كرات سوداء جافه

اخرج الشيخ كرتين من مخلفات الإبل أحداهما خضراء بلوريه والأخرى سودا داكنة ٠ وقال :

مؤشرا إلى الكره الخضراء هذه من السافل من ساحل البحر حيث ان النباتات هناك خضراء يانعة وتحتفظ باللون الخضر البلوري وحتى عندما تخرجه السعيه٠

وصاحب هذه الكره الخضراءجاءمن السافل وهو من الإبل الجن٠ولاحظت ذلك كثيرا و لأعوام طويلة وخاصة فى موسم التزاوج حيث أن النوق هذه تخرج منها روائح نفاذه مثيره للفحول وتعمل الرياح بمسافات تفوق الخيال ٠ وتلتقط هذه الرائحة المميزة انف الفحل من مسافات بعيده ياتى باحث عن أنثى ٠

أما ابل الجن تأتى في مثل هذه المواسم حتى من أقطار أخرى تعيش فيها هذه المخلوقات الغريبة جدا ولا اشك مطلقا في أن من يسعونها لايعلمون عنها ألا القليل٠

١١٣/ هذه الضاحية تعج بالقطعان والقبائل وحتى حيوانات الحياة البرية والكل مستمتع بالرعي على نبات الجزو ٠ ويمتنع عن الماء في هذا الموسم حتى الضان وتبقى كثيرا أن الإنسان يعتمد على اللبن والحيوانات تعتمد على الجزو ويكون الجميع على هذه المنوال لأشهر طويلة دون تعاطي للسوائل وبالتحديد الماء٠

والملاحظة أن هذه الضاحية مليئة بقطعان النعام منه الأسود والاربد وقطعان كثيرة من الغزلان وأنواع كثيرة وكميات من السلاحف الحدباءارهقها التعب والمسير في دروب الرمال الكثيفة تقتات على جذور الأشجار الجافة ٠وطيور وصقور تملا الفضاء وكلها تأكل وتعيش تلك هي قدرة الخالق٠

وأدى هور المنبع :

١١٤/ نحن ألان في منابع هذا النهر الموسمي الذي كان جاريا عبر ألاف السنين حتى هزمته رمال الصحراء بزحفها المتواصل في اتجاه الجنوب ٠وهذا الوادي ينحدر من هضبة جبل مره وتضيف لقوته اندفاعا مرتفعات كتم ومرتفعات منطقه الصياح وما حولها وتجرى كل هذه الاوديه لتلتقي غرب الوخائم وتكون وادي هور٠

هذا الوادي في تقديري يمكن أن يستخدم كمصد للرياح التي تأتى من الشمال كما فيه من غطاء نباتي يمكن ازدهاره ولما فيه من مياه سطحيه وجوفيه يمكن استعملها في خلق حياة للانسان والحيوان لتعمير الارض٠

بعد منطقه السبعانى وعند الدخول لهذا الوادي توجد نقطة تفرق اى يفترق منها الطريق المتجه إلى كتم عن طريق مليط ويتجه غربا ليعبر الضاحية ويحاذى رافد وادي هور المنحدر من جبل مون٠ويصل كتم بعد مسيرة ٤٨ ساعة علي ارض قاحلة وموحشة وهذا الطريق يتوسط طريقين احدهما يبدأ قبل شجرة الليبيين ويتحه غربا والآخر يبدأ من الوخائم بعد وادي هور وأيضا يتجه غربا حتى يصل كتم وكما أسلفت أن مدينة كتم تقع في حافة الصحراء الغربية

وتحيطها جبال شاهقة وقفت بقوه إمام حركه الرياح والزحف الصحراوي ومنعتها من التوغل غربا في اتجاه جبل مره٠

ويخيل إلى أنها الرياح والزحف الصحراوي التي لم تقصد كتم غربا لارتفاع هضبة جبل مره ٠لذلك نجد أن كل الطرق الثلاثة المتجهة نحو كتم تدخل في المناطق الصيفية والغابات القديمة والكثيفة والتي تعنى تغير المناخ ومقوماته ونلا حظ وجود لافت للإنسان في قرى متناثرة على الطريق٠

دار زغاوة :

١١٥/ الاتجاه الشمالي والشمال الشرقي والشمال الغربي من مدينه كتم هي دار زغاوة وبها مجموعه مدن صغيرة هي كرتوى أم برو كلبس والطينة السودانية مقر السلطان دوسه سلطان الزغاوة السودانيين وفى شاد الطينة الشادية مقر السلطان تيمان دبي وهم

زغاوة أيضا ٠والمنطقه منطقه تداخل قبلي وعرفي والرعي هو النشاط البشرى السائد فيها وكلهم أباله اى رعاه الابل٠

وهذه المنطقة اى دار الزغاوة تأخذ المنطقة الشمالية الغربية من الضاحية الرعوية التي تمددت منها ٠وشمال وشرق هذه المنطقة تمتد الصحراء بلا نهاية وهى أكثر مناطق الصحراء خطورة ووعورة ٠فيها يكثر نشاط الرياح الخفيضة التي تنقل الرمال الناعمة جنوب الجنوب٠ الخفيضة هي الرياح المتحركة التي تمحو الآثار وتدفن الأحياء ٠وتكون السيوف المرعبة التي تعيق حركه المركبات٠

فيها يشتد عويل الرياح وبكاءها حتى نسمع أصوات شاحنات الصحراء التي هي على سفر دائم ولاتاتى أبدا ٠فى تلك المناطق يشتد وهج الشمس وتصبح قريبه من رؤوسنا التي نتوقع لها أن تظر من شده الحريق٠وتجرى عند الأفق انها من السراب تجعلنا نحس بالظمأ الدائم الذي لارتواء بعده هذه المنطقة مهجروة تماما باعتبار أن كل الطرق طويلة اى تجرى من الشمال للجنوب أو العكس ولا توجد طرق عريضة حتى نعبر منطقه الجنون هذه ٠ بل كل الطرق الطويلة تأتى شرقها مع محازاه حدود السودان وشاد ٠ويقال أن من يحاول عبور هذه المنطقة مفقود٠٠مفقود٠٠مفقود ٠منطقه يعمها الخراب ويقطنها إبليس ويعيش فيها حرس الحدود جنبا إلى جنب مع الجن وحرس الحدود هو الاسم الحركي للنهب المسلح وتلك المناطق المهجورة والخالية والخاوية مثل ساحة العمليات٠

يوم شربت الجمال البيبسي:

١١٦/ فارقت الطريق ٨ شاحنات متجه إلى كتم وسارت على الطرق المحا زيه لتلك المنطقة من الشرق ٠ وتوغلت العربات الثمانية حتى وصلت أكثر المناطق وعوره وظهر لها١٢ رجل على ظهور الجمال ٠واعترضو طريق العربات وأمروها بالتوقف تحت تأثير الطلقات النارية حتى توقفت وأمروا سائقيها بان يوقفوا كل شاحنتين بالقرب من بعض وبينهما نصف متر ٠ومسافه متر بين كل شاحنتين حتى تقف الشاحنات في أربعة مجموعات كل اثنين بالغرب من بعض حتى تسهل السيطرة عليها٠

آمرو الناس بالنزول في الساحة شرق العربات ٠ وجردوا كل الناس من ممتلكاتهم الشخصية الساعة واى مبلغ من المال واى حركه اعتراض يسمع صوت الزخيره في المرحلة الثانيه٠

آمرو المساعدين في الشاحنات أن ينزلوا بعض البضائع الغالية والمقتنيات الجميلة ٠بطريقه منظمه جدا في نفس الوقت أربعه منهم وهم على ظهور الجمال اقتادوا البقعة سيرا على الإقدام لمسافة ١٠٠متر أمام العربات وأمروهم بلم الرمال بأيديهم حتى كونو كومه من الرمال ارتفاعها مترين وفى دائرة قطرها ٥امتار أمروهم بعد ذلك بتجويف هذا الكوم من أعلى حتى صار يشبه الحفر وتمت تغطيته بمشمع وجلس بعضهم على كومه الرمال لينزل المشمع إلى قاع الفجوة والتي أصبحت كالحوض تماما بعد ذلك عادوا بكل ألمجموعه إلى موقع العربات وأمروهم بان يحملوا كل المشروبات الغازية الموجودة في العربات لموقع الحوض الذي تم تشيده ٠هى عبارة عن كراتين مليئة بالعلب والزجاج بإحجام مختلفة وهى تقارب شحنه إحدى الشاحنات وآمرو الجميع بان يفتحوا تلك العلب ويصبو مافيها في ذلك الحوض واستغرقت هذه العملية غرابه الست ساعات بعد ذلك اجلسوا الناس حول الحوض وقالوا لهم نريدكم أن تعرفوا كيف تشرب الإبل البيبسى٠

المرحلة الثالثة:عندما أكملت ألمجموعه الأولى عمليه النهب جاءت معهم البقية لتشاهد كيف تشرب الإبل البيبسي ٠

اكتمل الجميع وبداء احدهم الشرح كلهم ملثمين لايرى منهم عينان شقيتان مليئتان بالتراب الصحراوى٠

جاءوا بالإبل وأدنوها من حوض البيبسي فشربت وكلما يصعد الكربون إلى رأس الجمل يهز رأسه ويترع ويعود للشرب مره أخرى والجميع في حيره وتعجب حتى رويت الإبل وعادت كأنها سكري آو سكارى ٠٠ركبو جميعا وقادرو المكان وتركو الجميع سودانيين وخمسه ليبين في ذهول وحيره ونهب مبلغ ٢٠ مليون و١٢جوال سكر و١٢جوال دقيق وكميه من الساعات وأشياء أخرى مفيدة

وقادروا المكان غربا إلى أكثر المناطق وعوره وخطورة ولم يصاب احد٠

١١٧/ خيم الصمت والحزن على قلوب الرجال الذين ظلوا في مكانهم ساعات طويلة بعد تحرك تلك العصابة ولفت الحسرة المكان وغابت عصابة الجناة في الأفق البعيد لتلوح على شئ٠داسو على قلوب الرجال كما داست أقدام جمالهم الجافة على دبيب الصحراء و أزهقت روحها ٠اختفت غافله الجناة وبقيت القصة في الحلق على عرق السنين الذي انسكب جملة واحده في رمال الصحراء سالت الدموع من بعض هي ساخنة دموع الرجال في مثل هذه الظروف التي لأتعرف قمة التضحية التي بذلها الرجال في الغربة وهم يجمعون حصادها، هما وبقيا ونفيا وهجرانا للأهل والى لحبيب وتأتي لتتخذ في هجير الصحراء٠زاغت الإبصار بل ركز بعضها على بقايا حوض المياه الغازية التي تشرب منه الإبل بسخرية الزمن والغدر أن تشرب الإبل البيبسي صاح احد الليبيين أصحاب العربات :يا جماعة الحصل حصل!اركبوا خلونا نوصلكم وتأنى كن جئنا لومونا

ايغظ هذا الحديث اللذين كانوا بين اليقظة والمنام وتحركوا ببط شديد نحو الشاحنات وركبوا وتحركت الشاحنات نحو كتم في هدو وصمت حزين ٠

ظل هذا المشهد يورق صمتي سنينا عددا برغم أننا لم نحضر ساعة الحدث بل حضرنا بعد أن انقضى كل شئ لذلك ظل الحزن يلازمني طوال تلك الفترة حيث اننى مكلف بحماية القوافل والبوادي القاطنة في الصحراء طيبنا خاطرهم وواسيناهم في فقدهم الجلل وتركناهم متحركين غربا وتحركنا شمالا بحث عن الجناة الذين اختفوا تماما كأنما انشقت الارض وابتلعتهما ٠

حتى نحن خيم علينا الصمت والحزن هي قاسيه الحياة وصعبه الأشياء فيها ٠

١١٨/ اتجهنا شمالا على ارض رخوة تصعب الحركة عليها ولا يمكن اختفى الأثر فيها لشده هبوب الرياح التي يختفي على أثرها الأثر وجدنا طريق للشاحنات يتجه شرقا اتجهنا معه شرقا وبعد مسيره ساعة وجدنا قافلة تتكون من عشره بعيرا حاصرناها وحاصرنا قائدها وتم استجوابه علمت منه أنهم من قبائل القرعان جائومن شاد لجلب البلح من واحة ألنخيله وعائدون إلى شاد تزودنا منهم بالبلح وطلقنا سبيلهم ووصلنا

المسير في اتجاه الشمال نحو العوينات مسيره ساعة من الزمن لاحت قمة عند الأفق ذلـك العلو الشامخ العوينات ٠

أيها القارئ الكريم استطيع أن أقول بوصولنا إلى العوينات علمنا معظم الطرق التي تعـبر الصحراء باتجاه السودان ولا تساوى هذه الطرق إلا ذره من رمـال هـذه الصـحراء الـتي تربعت على ارض السودان وأصبحت تهدد بالانشطار إلى جزئيين شمالي وجنوبي

أذا تثنى لها اجتياح النهر شرقا لالغموض في مواقع كثيرة في بحر الرمـال هـذا ويحتـاج إلى كثير من الجهد لكي تقف على كل أوجه الغموض في بلادنا٠

لم تكن هذه الصحراء مخيفه لهذه الدرجـة حتـى يهجرهـا الإنسـان وهـى مليئـة بالأشـياء الجميلة وتصلح للحياة والأمل وتتدخل ألان القطر الليبي ونرى ٠



المحور (هـ)

أكتوبر ١٩٩٨م

مقدمة :-

- المحور كما أسلفت هو عبارة عن اتجاه عام يبدأ بنقطة وينتهي بنقطة وتمر في داخله عدة طرق متوازية تسير في نفس الاتجاه لتصل نقطة البداية حسب رغبة المتحرك عليها صحيح أنني سافرت في نفس الاتجاه وعلي طريق يختلف تماما عن الطريق المذكور وهو ام درمان - دنقلا – العوينات ٠
- هذا الطريق يربط الولاية الشمالية وولاية الخرطوم ولكنه في الزمن الغابر كان مقبرة بالنسبة للكثيرين الذين سافروا عليه دون دليل ودون معرفة من أهلنا في الشمال٠
- شريان الشمال هو الاسم الجديد لهذا الطريق الذي يربط بين الخرطوم والولاية الشمالية وهو طريق مسفلت معبد فيه الكثير من محطات للراحة والانتظار وأصبحت الرحلة من الخرطوم إلي دنقلا لا تساوي إلا سويعات آمنة ومرتاحة وهذا من فضل الله ثم من بعده جهد المخلصين من أبناء بلادنا ٠
- أما الطريق الذي أود أن أتحدث عنه فهو طريق موحش خالي بعيد تحف به كثير من المخاطر وكل الذين سلكوه مفقودين مفقودين حتى تكتب لهم الحياة بالوصول إلي نقطة النهاية ٠٠ ليبيا بلد المستقبل المجهول والأمل الضايع لفقدي الهوية القادمين من جنوب الصحراء والذين يمثلون فائض العمالة والفاقد التربوي في بلاد لا تقيم الإنسان والإنسانية ٠
- الطريق الذي أتحدث عنه يبدأ من أم درمان ويتجه غربا إلي جبال سور بيد وكونان التي يعبرها وادي المقدم المتجه شمالا ويمتد هذا الطريق من وادي المقدم متجه غربا إلي وعرة المسحبيين ثم منها يتجه شمالا إلي وادي المرخ الذي يقع بالتقريب غرب الدبة ثم

يسير في الاتجاه شمالا ويعبر وادي الملك والأطراف الشرقية لوادي هور ومنه إلي كرب التوم وقبل هذه بالتحديد كرب التوم تتفرع الطرق بالمسافرين المهربين في اتجاهات مختلفة يعتمد السير عليها علي براعة الدليل وجهده وهنا تبدأ رحلة التو هان والتلاشي في قلب الصحراء ألكبري ولا ينجو منها إلا من تكتب له الحياة ٠

• الجدير بالذكر أن هذا المحور يعبر صحراوان في موقع التقهما وهما صحراء بيوضة التي تمتد شرقا حتى مجري النيل والصحراء ألكبري التي تمتد شمالا وغربا ولهذه الصفة أنها أكثر وعورة وخطورة من كل المحاور التي تعبر الصحراء ألكبري بالرقم من أن فيها عدد من المجاري المائية الموسمية المتجهة شرقا لتصب في نهر النيل قبل مائة عام عندما كانت معدلات الأمطار أكثر من ٥٠٠ مل جرام في جنوب الصحراء المتاخم لشمالها هي وادي المقدم ووادي الملك ووادي هور ويلتقي الآخران قبل الباجة ويخترقها ليصلا مجري النيل شمال الدبة ولكن الرياح الخفيضة والتي ظلت تنقل الرمال الناعمة من الشمال إلي الجنوب وتهدد الكائنات الحية والمجاري المائية والغابات بالانقراض وذلك هو الزحف الصحراوي الحقيقي عزيزي القارئ ٠

أم درمان :-

هي الضلع الثالث من أضلاع مثلث العاصمة القومية وهي العاصمة الوطنية التي يحلو للكثيرين أن يسمنها بهذا الاسم ٠ جمعت كل السودانيين من كل أنحاء بلادنا الحبيبة علي مختلف سحنتاهم وأعراقهم وقبائلهم وللغاتهم في تعايش سلمي حميم يحمل لون الوطن ورائحته وطعمه٠

• تكاثرت فيها المهن الهامشية والأصلية ووجدت فيها كل أوجه النشاط البشري لكسب العيش بالبذل والعطاء في غير من أو ازي لتحقيق أهداف الحياة السعيدة ولكن تكاثرت فيها مجموعات بشرية قصدتها من كل الاتجاهات بحثا عن المعيشة والرزق حتى شحت الموارد وقلة المكاسب وأصبح هناك صراع اجتماعي غير متكافئ ونار تأكل الطموحات والآمال دون رحمة أو شفقة ٠

- هذا الجو المؤلم من الصراع المجتمعي افرز الكثير والعديد من المواهب والمهارات وبرزت لأول مرة مهارة السمسرة والسماسرة وأصبحوا يمارسون جهدا وعملا في مناحي الحياة في داخل مجتمعات هذه المدينة الوادعة الهانئة بأهلها الطيبين والذين يهمهم كسب العيش الشريف وتحقيق غاية الأسر السعيدة
- الفاقد التربوي والعاطلة والبطالة من أبناء هذه المدينة وغيرهم من الذين وفدو إليها من ولايات السودان المختلفة كانوا هم الهدف المثالي لسماسرة الترحيل والتهريب عبر الصحراء وعلي شحنات صغيرة مكشوفة لا يتحمل السفر عليها أربعة أشخاص بأحمالهم دعكه من ١٤ فرد يستقلون الشاحنة الصغيرة هذه ومعهم أحمالهم من أشياء خاصة وحقائب وزاد ومياه ٠
- مسرح هذه الجريمة عزيزي القارئ سوق وقندهار والحواري في منطقة غرب أم درمان بصفة عامة هنا يتم الاتفاق والاستعداد والتجهيز لرحلة عبر المجهول وتحقيق أمال لاوجود لها وسراب مستحيل٠
- هذه المركبات الصغيرة هي عبارة عن عربات تيوتة الموديلات القديمة محركتها بالبنزين لوقود وتجهيز الواحدة منها بصنع خزان وقود احتياطي يأخذ صف كبير من الجزء الخلفي للعربة ويصنع هذه الخزان محليا ويتم توصيلة بخزان العربة الرئيسي لكي يتحمل هذه الرحلة الطويلة إلى ليبيا٠
- إذا نظرنا عزيزي القارئ إلى هذه العربة نجدها تحمل الوقود والماء لهذه الرحلة الطويلة لذلك نندهش عندما نكتشف أن حملتها ١٤راكب ومعهم أشيائهم الخاصة وزادهم من الماء والغذاء تترص جركانات الماء على جانبي العربة وكل جركانة على مسؤولية صاحبها بعدها تأتى كراتين الإعاشة والحقائب ثم ١٤ راكب معظمهم من الشباب لكي يتحملوا وعسا السفر وإذا رأيت هذه العربة من على البعد لاستطيع تميزها ولا يوجد عليها مساحة سنتمتر مربع فارغة لكي تضع فيها اى شئ اضافى تلك هي صوره عابرات الصحراءالصغيره٠

• كيف يتم عزيزي القارئ الاتفاق بين الركاب وأصحاب هذه العربات الصغيرة؟؟نجد أن هناك عدد من السماسرة يقومون بدور الوسيط بين الركاب وأصحاب الشاحنات الصغيرة والذين ينتمون إلى القطر الليبي بل أحيانا يجهز السماسرة العدد المطلوب من الركاب وبعد ذلك يبحث عن العربة ليتم تأجيرها لهذه المهمة وتتراوح قيمة تذكره السفر من ٢٠٠جنية سوداني كحد ادني للراكب الواحد إلى ٤٠٠جنية كحد أقصى ٠وصاحب العربة غير مسؤل عن احتياجات الركاب خاصة فيما يتعلق بالا عاشه والماء وهو غير مسؤل عن ما يحدث طوال الرحلة في حالات التو هان أو الضياع في الصحراء أو تعطل العربة ولا يركب الجميع على العربة الأبعد إقرارهم بذلك وهكذا تم التجهيز وسنرحل في أمسية اليوم ٢١اكتوبر ١٩٩٨م٠

جبال سور بيد وجبال كونان :.

بدا الرحيل عن أم درمان في تمام الساعة ٩ مساء والوقت شتاء كان والقمر ربيع ثاني اى انه اكتمل بدرا وصارت أشعته الفضية تملا الفجاج والوهاد وإحساسنا بسحر الطبيعة كان يفوق التصور وأمالنا كانت تفوق الخيال وأصبحنا نتبين إشراق مستقبلنا في تلك الليلة الفضية والدافئة ، وانتابنا الإحساس الذي يلهب المشاعر بزفات الفرح الجميل الذي بات يملا حنايانا

*ليست بعيده تلك السلاسل الجبلية في غرب أم درمان حيث إننا وصلناها في زمن قياسي وتحركت الشاحنات الصغيرة بين ثنايا تلك الجبال المرتفعة تارة وهابطة أخرى حتى دخلنا في غابة كثيفة يجرى وسطها وادي المقدم والذي يجري من الجنوب إلي الشمال عبرنه مسرعين ولم نتمكن من ملاحظة الطبيعة في هذا الجزء بل استمرت الشحنات الصغيرة في اتجاه الغرب وخرجنا في سهل رملي ممتد في اتجاه الغرب ٠ ليس هنالك طريق معبد بل كل شاحنة تحاول شق طريقها في ذلك السهل الرملي الممتد ٠ كان الصمت يخيم بيننا وكل منا يتحدث مع نفسه عن المجهول الذي ينتظره وكثير من الأسئلة تدور في الأذهان هل سنعبر الصحراء هل سنحقق آمالنا واحلمنا أم ستنتهي آجالنا في الصحراء بالموت عطشا أو جوعا أو تتعطل هذه السيارة الصغيرة التي تأن تحت أحمالها

الثقيلة ولأول مره يتسلل إلي قلوبنا الخوف ونكتشف أننا ارتكبنا حماقـة بالمضـي في هـذه الرحلة ولكن الله بصير بالعباد ٠

* ناما البعض وترنح الجميع مع قسوة البرد وشدته ونحن نقترب مـن السـاعات الأولـي من الصباح وأخيرا توقفت العربة الأمامية وبعدها توقفت بقية العربات التي كان عـددها ٧ عربات ٠ توقفت بعد أن غيرت اتجاهها في اتجاه أم درمان وقيل لنا هنا سنقضي النهـار وكان ذلك الموقع هو بداية وعرة المسحبيين .

وعرة المسحبيين

وعرة بالغة أهل البادية تعني منطقة خلوية لا حياة فيها والمسحبيين هم مجموعات من قطاع طرق يعيشون في هذه المنطقة الوعرة ٠

في صبيحة الغد أو بالا حري إننا في صبيحة اليوم سنواجه بعض الظروف ٠

أصبحنا وأصبح المملك لله وتجمعنا حول تقابة نار كبيرة أشعلها الليبيـون لصـنع الشـاي وفي هذه اللحظة سمعنا احدهم ينادي من خلف العربات وبا علي صوت أن سامي توفي وسامي هذا احد ركاب العربة السابعة واصغر شاب في كل المجموعـة المسـافرة وينادونـه بود بحري ٠ والحق يقال أن ود بحري كان يعاني مـن حمـه شـديدة لحظـة صـعودنا جميعـا العربات حاولنا جميعا أقنعه بان يعدل تاريخ سفره عندما شعرنا انه مـريض ولم يسـتجب لرغبتنا ٠ بدأت الحيرة والدهشة علي وجوه الجميع وأصبحنا لا ندري ماذا نحـن فعلـون بهذا الجسمان ولكننا وجدنا الإجابة عند الشيخ زكريا وكان اكبر ركـاب جميـع العربـات سنا ويتحدث بلكنة غريبة صاعد ذلك الرجل إلي العربة السابعة وفـتح حقيبتـه واخـرج قماش ابيض ونزل قائلا استروه (وبس) وتلقف الكفن مجموعة وبدوا في تغطية المرحوم سامي وآخرون حفروا القبر في نفس المنطقة ودفأنه واستلمي ممتلكته احد أصدقائه الذين جاوا معه من بحري ويبدو انه يعرف كل أهله وأسرته ٠

- خيم الصمت والحزن علي الجميع وتسال البعض كيف نترك هذا القبر وحيدا في هذا المكان الموحش ولكن قبل أن تستمر التساؤلات والتي كانت تملا أذهان الكثيرين منا قطع الصمت الشيخ هارون بحديث العارف وقال أن خير ما يفعل للمسلم بعـد موتـه الـدفن

ولا حديث بعد ذلك واتجهت كل مجموعة نحـو الشـاحنة الـتي يسـتقلونها وقلنـا تحركـوا لنقادر هذا المكان لنتوقل داخل المنطقة الـوعرة ولنقضـي فيهـا النهـار بعـد مسـيرة هـذه السويعات الصباحية ٠

• ولم نتمكن من الوقوف إلا بعد مضي سـتة سـاعات والمنطقـة وعـرة حقـا تنـاثر فيهـا النبات العشبي والذي يكون كتل علي الارض هنـا وهنـاك ويسـمي بإعشـاب (أم تـك) وداخل النبات مجموعة صخور متناثرة وممتدة علي مد البصر ولا نـري أي حـدود لهـذه المنطقة من كل الاتجاهات وتصعب فيها حركة الشاحنات الصغيرة حيـث يصـعب السـير عليها ولحظنا أن السير في هذه المنطقة الوعرة بطيئا لكل المخلوقات والكائنات الحية بما في ذلك العربات الصغيرة لذلك احتار قطاع الطرق لهذا المكـان الـوعر لتوقيـف الشـحنات وسلب ممتلكات من هم عليها ٠

• تحركت العربات داخل هذا البحر الممتد وكأنها لم تتحرك وكل من عليها مـن الركـاب يعاني الهم ويحبس أنفسه الخوف والترقب لم نتمكن مـن الوقـوف بعـد مضـي سـويعات الصباح لان المنطقة لا يمكن الوقوف فيها وتجهلنا طعام الإفطار و نسينا حتى شرب المـاء رغم حرارة النهار والسموم اللافحة وكلنا نتضرع إلي الله حتى لا يصيبنا مكروه أن تحـل بأحد شاحنتنا الصغيرة لعنة السماء ٠

• كانت الحركة عبر هذه المنطقة الوعرة صـعبة للغايـة وتحـس أن الشـاحنات الصـغيرة السبعة تدب كا النمل عبر الفناء الواسع وصرنا علي تلك الحالة حتى انقضـي النهـار ولم نتمكن من الخروج من تلك المنطقة الوعرة ولكن بدأت تتغير طبيعة الارض بعض الشـئ بعد أن ظهرت بعض المساحات الواسعة هنا وهناك وقررنا أن نتوقف لتناول وجبة واخذ قسط من الراحة ونحن لاندرى بما يدور حولنا ومتناسين الخـوف والهلـع الـذي بـدأنا بـه مشوار العبور لهذه المنطقة الوعرة وهكذا النفس البشرية وخصائصها وروح التأقلم علي كل الظروف التي تحيط بها كنا في البداية نخاف مـن أن نقـع فريسـة في يـد قطـاع الطـرق الذين سمعنا بهم في هذه المنطقة ولكن سرعنما تحول الخوف علي العربات بـان يصـيبها مكروه وهي تشق طريقها عبر هذه المنطقة الوعرة وألان تبـدل الخـوف بعـد أن بلـغ بنـا

الجوع والعطش والإعياء أي مبلغ أصبحنا ننشد التوقف من اجل قسط من الراحة وتناول وجبة وشرب قليل ما الماء والجدير بالذكر أن الماء هنا لشرب فقط من أراد أن يصلي فعليه أن يتيمم ٠

- بقينا في هذا المكان حتى الساعة ٣ صباحا وبدأنا المسير من جديد ازدادت فيه السرعة واشتدت الحركة وأصبح يحدون الآمل وقليل من التفاؤل الجميع لا يدرون شئ عن الاتجاه والمسافة والسرعة ولا يعلم شيئا عن تلك الفجة إلا الخبير الذي يقود الركب وبدا الصباح يتنفس ويقمر الضو الصحراء رويد رويدا وعندما صعدت الشمس إلي السماء وجدنا أنفسنا نسير علي رمال ناعمة وارض تكسوها أشجار خضراء ومساحات شاسعة واسعة ممتدة في كل الاتجاهات مليئة بأشجار المرخ وهذا في تقديري هو وادي المرخ ٠

- أشجار المرخ هي أشجار صحراوية بل هي شجيرات صحراوية وليست أشجار لان الأشجار دائما كبيرة وعاليه وتعمر ولكن الشجيرات هي أشجار لا ترتفع أكثر من ٣ أمتار وليس لها صاغ بل تنبت الشجيرة في شكل مجموعة سيقان نحيلة هشة مخضرة طول العام وترعاه الإبل دائما وعند دخولنا وادي المرخ أحسسنا بالسعادة والتعاسة في نفس الوقت السعادة لأننا قطعنا مسافة كبيرة من الطريق دون خسائر ماعدا واحد ولأننا ألان في موقع غرب الدبة تماما التعاسة هي أننا بعد عبور هذا الوادي قد نفترق لان الطرق المؤدية ألي ليبيا من هذا الوادي طرق كاشفة وتجوبها دوريات حرس الحدود دوريات سودانية ودوريات ليبية يستقلون كل أنواع وسائل الحركة من عربات وطائرات هلي كوبتر وأجهزة الاتصالات لذلك وقوع أي عربة تحت رصد هذه الدوريات مصيرها العودة إلي أم درمان وهذا ما نخشاه ٠

- عبور تلك المنطقة الممتدة بلا حدود والكاشفة إلا من بعض الكثبان الرملية هنا وهناك يحتاج ألي مهارة عالية ومعرفة واثقة للاستخدام النجوم في السير ليلا عبر الصحاري ولكي نختفي عن أنظار تلك الدوريات يجب أن نستقل أليل في المسير ولأنهم يتوقفون في الليل عن العمل ٠

- بقينا في داخل وادي المرخ وخلدنا إلي الراحة وتناول وجبة من الطعام في انتظار مغيب الشمس ولان السير في وادي المرخ نفسه يحتاج إلي الإرشاد بالنجوم وعندما غابت الشمس بدأنا في الحركة من جديد في اتجاه الشمال وكانت الحركة صعبة جدا بين شجيرات المرخ الكثيفة ولم نتمكن من الخروج من وادي المرخ إلا في صبيحة اليوم التالي ووجدنا مصيرنا المحتوم ينتظرنا علي حافة الوادي الشمالية تجمع من عربات الدوريات كأننا كنا علي موعد معهم في ذلك المكان ووجهناهم وجها لوجه حصرونا بسرعة وأمرونا بالنزول من العربات وطلب منا أبارز الهويات جنسية جواز بطاقة شخصية ولكن للأسف أن معظمنا كان بدون هويات فأمرونا بالعودة الفورية إلي أم درمان تلك كانت من أسوا لحظات الإحباط والاضمحلال والانتحار المعنوي وما كان من الممكن أن نخالف هذه التوجهات بل عدنا من حيث أتينا صامتون حزنون نقالب الشعور بالبكاء والحسرة والندم وأصبحنا نتسال كيف نعود إلي أم درمان بعد كل هذا المجهود الذي بذلنه وكل هذا التعب الذي وجهناه حتى بلغنا منتصف الرحلة ٠
- عدنا والعود احمد وعند بلوغنا نهاية وداي المرخ من الناحية الجنوبية توقفنا وكان الهرج والمرج وأحسست أن الكثيرين ليس لهم الرغبة في العودة فاشر البعض أن نتوجه غربا حتى نلتقي وطريق حمرة الشيخ ثم من بعد ذلك نتجه شمالا لان الدوريات ينحصر عملها في المخابئ والجيوب التي لا تمر عليها الشحنات الصغيرة طرق الشحنات توصل دائما إلي نقاط مراجعة وعند العبور بنقطة المراجعة يسمح بمرور كل أنواع الشحنات لكن الإمكان المظلمة ممنوع العبور منها لأنو عمل غير مشروع ٠
- وحسبنا من جديد كمية الوقود والتعيينات والمياه هل تمكننا في زيادة الرحلة والاتجاه غربا أما نتجه شرقا لملاقاة طريق دنقلا وهو اقرب فانقسمنا إلي مجموعتين أربعه عربات اتجهت غربا وثلاثة اتجهت شرقا وودعناهم وودعونا ونحن اتجهنا في اتجاه الشرق وبعد مرور يومين من المسير الشاق علي ارض موحلة وصلنا الدبة وسط دهشة الجميع وأخذنا موقع في طرف المدينة وبدأنا نعيد الوقود والمياه وزيادة الإعاشة وبعد مضي يوم أداري في مدينة الدبة تحركنا في اتجاه دنقلا وبسهولة ويسر وصلنها دون معناه عبر طرق سهلة

معبدة وعلي جنبيها كل سبل الحياة وقرنا بين هذا الطرق وتلك الموحشة التي كنا فيها وكان الفرق أمننا واطمأنينا ، وفي دنقلا قمنا بعمل كل الاجراءات التي تمكننا من السفر إلي ليبيا وسافرنا إليها مطمأنين حتى وصولنا نقطة التلاقي في العوينات التي تمر بها كل الطرق القادمة من السودان وبكل أسف لم نجد تلك الأربعة عربات الصغيرة التي فرقناه في وادي المرخ ٠

جنوب مدينة الدبة أو شمال أم درمان

- هذا الطريق يمر بالطرف المتاخم للنيل من المحور العام ويعبر صحراء بيوضة كان في الزمن الماضي من اخطر الطرق وأبعدها ولكن بفضل شركة شريان الشمال أصبح هذا الطريق من أسهل الطرق وأقربها إلي العاصمة القومية بعد أن أصبح طريقا معبدا ومسفلت يمر من أم درمان بمحطة قوز أبو ضلوع التمتام وقهوة أم الحسن القبولاب مناطق أصبحت منارات بعد أن كانت مقارات في جوف الصحراء القبائل الموجودة في هذه المنطقة علي طول الطريق هي مجموعات من قبائل الحسا نية والقريات والجموعية والكبابيش٠
- علي طول الطريق من أم درمان إلي دنقلا توجد أبار علي بعد ٣٠ كيلو بين كل بئر والاخري علي جنابي الطريق مما جعل الاستقرار سهلا لقبائل تلك المنطقة التي بدا دبيب الحياة في أوصلها ودخلها التعليم والصحة والمياه النظيفة وأصبحت المساجد منارات سامقة في أبو ضلوع والتمتام وقهوة أم الحسن و القبولاب ٠
- وعلي هذا الطريق قبل أن يكون معبد كانت توجد قهوة أم الحسن فقط منارة ترشد اللواري إلي الاتجاه الصحيح وأم الحسن هذه مواطنة من سكان الصحراء هداها التفكير أن تستقر في هذا الطريق لتقدم خدمات الإعاشة والشاي للمسافرين علي الشحنات واللوري ومازال هذا المقهى الذي يخص الحاجة أم الحسن موجودا علي ضفة شارع الزلط وزادت كثافة السكان بالمنطقة ولم تعد أم الحسن وحيده في قلب الصحراء ٠

وادي المقدم

هو مجري مائي ينحدر من هضبة تقع في الجزء الشرقي من شمال كرد فان ويجمع مجموعة روافد تكون مجري الوادي الذي يمر غرب منطقة الشيخ الصديق وغرب جبال منضره وغرب جبل سور بيد وكونان ويتجه شمالا مجازيا للنيل حتى منطقة المناصير هذا الوادي في تقديري انه يمثل قناة لرأي وزراعة الصحراء أذا أردنا ذلك حيث انه وبأقل مجهود يمكن توصله ببحيرة النيل الأبيض التي ترقد خلف خزان جبل أوليا وبهذا الطريقة يصبح وادي المقدم مشروع زراعي ضخم يوفر الأمن الغذائي للعاصمة القومية وهذا اجتهاد والرؤية متروكة للفنين أصحاب التخصصات العالمية في مجال المياه والزراعة.

المحور (و)

مايو ١٩٩١م

الطريق إلى ألكفره

العوينات:

١١٩/ وصلنا العوينات تلك النقطة التي تخللها الجبل الشامخ حتى منتصف النهار لا يرحل عنها الظل٠ تجمعت فيها أعداد كبيرة من العربات والركاب ونجد بها نقاط التفتيش وحدة جمارك تراقب الشاحنات القادمة والراجعة ٠

أعداد كبيرة من الافارقه وجنسيات مختلفة صوماليين وأحباش ومن جبوتي وكنيين ويو غنديين والسواد الأعظم من السودانيين شيب وشباب يملئون الساحة ألمعينه في نقطه العوينات٠

كل هذه المجموعات جاءت عبر بلادنا من داخلها وبكل أسف دون تأثيرات أو حتى جوازات مرور٠بل أحيانا تجد احدهم لا يحمل حتى ورقه ثبوتية تثبت هويته وبدأنا من هنا مسلسل الجريمة البشعة في حق الانسانيه ٠

جميعهم مستوياتهم الاكاديميه التعلميه ضعيفة جدا بل أكثرهم لا يفكون الخط ومن هنا تأتى المصيبة الجهل ، جاؤا دون تأهيل ويبحثون عن المجد والمستقبل المشرق كأضواء النهار٠وكيف يلتقي النقيضين الجهل والمجد إلا أنا اعتبرنا الأرزاق بيد الله وهي كذلك ، وكلهم جاؤوا من هذا المنطلق و نسال الله أن يسهل لهم الرزق رغم كل التعقيدات ٠

الليبيون هم الذين يقومون بالجز الأكبر من الرحلة ومعهم النقد أي المال وكم على الرأس الواحد ويعد أن تدفع تكلفه الرحلة عليك أن تتحمل نفقات الاعاشه حتى نهاية الرحلة نقاط المراقبة تقض النظر أحيانا لدواعي الانسانيه وأحيانا تأخذ اجر اى (مسح

الشنب) كما يحلو للجميع تسميه هذا الأمر، أهداف المسافرين عديدة منهم من يرغب السفر عبر المتوسط والعيش في اروبا ٠ لذلك أتت الدوافع قوية لذلك كل شئ يهون في سبيل بارقة الأمل هذه وغدا أحلا ٠

تحركت المجموعة الأولي في الصباح الباكر وتحركنا خلفها في اتجاه الشمال الأراضي وعرة ومكسرة ومجموعة أودية عميقة منحدرة من الجبل ٠ وطبيعة الحال كلما اقتربنا من المرتفعات أو ابتعدنا عنها تصعب الحركة بفعل الخيران المنحدرة من قمة الجبل أو المرتفعات هذا الجبل من اكبر وأضخم واعلي الجبال التي رايتها في حياتي وكلما ابتعدنا عنه نحس كأننا تقربنا إليه ولكن رويدا رويدا ابتعدنا عنه وامتدت الارض بعض الشئ وزادت أيضا سرعة المركبات بعض الشئ

لم تتغير الأشياء والمعالم الطبيعية ونحن في داخل القطر الليبي والصحراء هي الصحراء ٠ نفس القسوة نفس الجفاف نفس الهواء الساخن ونفس السراب الذي يدمي العيون ٠

رحلنا في هدوء وصبر والشمس تزداد حرارة وسخونة ولكن برغم ذلك الروح المعنوية عالية لأنني داخل ليبيا ألان وأصبحنا قاب قوسين أو ادني بين السيوف الشمالية ويقال أنها ناهية الرحلة لما فيها من تعب وعنت ومفاجأة قد تودي بكم نهائيا ٠ ولاحت كثبان الرمال في الأفق ونحن نقترب منها رويدا رويدا ولا ندري ماهي المفاجآت التي تنتظرنا فيها .

السيوف الشمالية :-

١٢١/ هذه السيوف هي أضخم الكثبان علي طريق الكفرة وهي الأكبر في مواجهة المركبات المسافرة تجاه السودان أو العكس وهي كما تحدثت عنها في موقع آخر من هذه الإصدارة هي عبارة عن كثبان رملية منطلقة مع الرياح الخفيضة التي تجري من الشمال إلي الجنوب دائما وفي كل الأحوال ٠ وتتراكم هذه الرمال الراحلة حول الثوابت الأرضية وكأنها تؤازر بعض في دفن الركام ، تصعب الحركة في هذه المنطقة وأصبحت اكبر مانع رملي علي طريق الكفرة واخطر المواقع الصحراوية قاطبة ولا يشق لها غبار ٠

في بداية هذه الكثبان الرملية وعلي نهاية الارض الحجرية المنبسطة والتي تمثل امتداد للأراضي حول العوينات هناك مجموعة مقاهي وكافتيرات وقفت أمامها وحولها أعداد كبيرة من الشاحنات القادمة من الكفرة والقادمة إليها كلها في حالة زئر ومفتوحة أغطيتها للهواء البارد وبعضها صامت ولا حركة فيه إلا حركة السائل الأسود وهو يهرب من الماكينة بعد أن فتحت له الفتحة السفلي ليهرب من جحيم الماكينة وهي تحترق وسط أكوام الرمال ٠

أذن هذه المنطقة منطقة لتغير زيوت العربات وإعادة ملئ الإطارات بعد عبور السيوف ٠ وتقليل الهواء فيها بالنسبة للشاحنات التي لم تعبر حتى الآن ٠

ومكان للراحة للساقيين والمسافرين ويمكن تناول بعض الوجبات والشاي والقهوة والمرطبات استعدادا للسفر عبر هذه الكثبان الرملية المعدة للعربات والمركبات وللإنسان الذي يحاول جاهدا أن يعبر هذه المنطقة الحرجة ٠

عبور هذه الصحراء يحتاج لثلاثة ساعات للعربات الصغيرة وست ساعات للشاحنات لذلك أننا نسمع أزير الماكينات وأصوات العربات وكثافة الغبار الممزوج بالدخان ولا تأتي هذه العربات مطلقا ٠

النظر تجاه تلك الكثبان المحنة يري طريق الشاحنات عبارة عن خط علي هضبة أو تل وعند عبور هذه المنطقة لا تري بعدها المركبة أو الشاحنة التي عبرت ٠ تختفي تماما وكأنها دفنت في تلك الرمال أحساس قاتل يروضني الهم والسأم ومن هنا جاء الصمت والصبر ليملا حياة المسافرين عبر الغموض الصحراوي ٠

توكلنا علي الحي الذي لا يموت بعد أن جهزنا جميعا بشر ومركبات واتجهنا صوب الرمال الناعمة والمتحركة علي اكوام الرياح الخفيضة ٠ وما أن صعدت أول عربة حتى علت صاح الجميع تشجيعا للسائق الله اكبر وكانت هجمة شرسة توغلنا بها نحو المجهول وما أن مضت ساعة من الزمن حتى أصبح لا يري منا احد من شدة الرياح والعاصفة الرملية التي كادت أن تبتلعنا أو بالا حري أنها ابتلعتنا تماما وأصبحنا نلوك الصبر ونقاط من وجع الخاطر ٠

بكثير من التركيز والاهتمام وتفادي السقوط في الهاوية كتبت لنا النجاة وأصبحنا نعد الدقائق والثواني حتى خرجنا من هذه المحنة ولاحظت أن الطرق كلها محن وكلها مقامرات ومخاوف ولا يجدونا إلا الأمل الضئيل بالنجاة ٠ كثيرون فقدوا الحاج في هذه الكثبان الرملية وآخرين فقدوا الطفل تحت الضغط النفسي الرهيب

لأننا كنا في المقدمة وصلنا نهاية الدوامة أو المتاهه ووجدننا نفس النقطة التي انطلقنا منها قبل السيوف الشمالية ٠ وهي أيضا معدة للراحة للجميع وإعادة ملئ الإطارات والتزويد بالوقود وتغير الزيوت وانتظرنا بقية مركباتنا الست تأتي الواحدة تلو الاخري حتى اكتملت واجري لها اللازم ٠

أخذنا قسطا من الراحة كبير وبعد ذلك تحركنا والشمس ترنوا للمغيب وتحركنا علي أراض رملية وصخرية ومليئة بالخيران والحفر والمنحدرات حتى بلغ بنا التعب مبتقاه والإرهاق نهايته وقررنا المبيت ٠

ليل الصحراء جميل أذا لم تتحرك فيه العواصف الرملية وتوقفت الرياح وعوائها الصاخب وهذه الليلة لا تنسي وفريدة في ليالي الصحراء هادئة صامتة لا يؤرقها إلا مرور بعض الشاحنات بين لحظة وأخري ٠ السماء صافية مليئة بالنجوم ويتوسطها القمر وهو بدر كأنهم جميعا في حفل عرس وانتشر ضوء القمر ليملا الفضاء وقمم الجبال وأصبح سحر الطبيعة لا يقاوم ورغم التعب والإرهاق لم انم وبرغم برودة تلك الليلة أحسست بالدفء المرسل من القمر وضوه الفضي أنها لحظة تأمل في قدرة الخالق الذي منحنا الأمل والأمن والطمأنينة بعد خوف ارتجفت له الإبصار ٠

لم ادري كيف نمت ومتي ؟ نمت ولكنني استيقظت باكرا وأديت الفريضة ورتبنا المسير باكرا تجاه حلة تاما ٠

حلة تاما :

١٢١/ لم تكن هناك قرية نفسها تماما في داخل البلد الليبي هذا ولكنهم اطلقو هذا الاسم محازى لمنطقه صخريه تشبه القرى المتوسطة في غرب السودان والتي تبنى بالمباني القشيه (القطاطى) وحله تاما هذه منطقه غريبة جدا وأنا اعتبرها من غرائب غموض الصحراء٠

هذه المنطقة عبارة عن ارض مسطحه وممتدة من الشرق إلى الغرب ٠نبتت فيها صخور تشبه القطاطى جمع قطيه وهى ألعشه السكنية لمعظم أهل بلادنا ٠ولكن هذه القطيه من الصخرالاسود هذه القطاطى الصخرية المنتشرة في هذه المنطقة أطلق عليها المسافرين حله تاما٠

وتحركنا نشق طريقنا على الاراضى الوعرة والشمس تعلو إلى قبة السماء وبعد ساعة زمن امتدت الارض بعض الشئ وسهلت معها حركه المركبات ٠ولكن كلما صعدت الشمس تغير الجو وأصبحت الشمس والحرارة وعواصف ورياح لأتعرف السكون وسراب يطفئ شموع العيون هم جميعهم أشياء متلازمة في رحله الصحراء٠

كلما تحركنا عده أميال كلما دفئ قرص الشمس من كبد السماء وكلما زادت حرارة الحر ولمع بشده السراب في الأفق البعيد٠ ولأول مره أرى السراب بهذه القوه التي تذهب الأبصار وتملا العيون بالرمد٠

الحدق إلى بعيد تجرى مجموعه من المثلثات السواد الصغيرة والتي تقف على الهواء٠منظر غريب وعجيب وماهى في تغد يرى الاظاهره انكسار التي تكون السراب ٠وتلك المثلثات ماهي ألا حله تاما ٠ولكن السراب أكل أسفلها وأصبحت معلقه في الهواء٠لكن بدأت في الظهور شيئا فشيئا حتى وصلناها ٠ووجدنا قرية غير مأهولة بالسكان٠ وهى في الحقيقة ليست بقرية بل هي عبارة عن صخور سوداء صماء تشبه القطاطى وهي من الظواهر الغريبة في الصحراء وتشبه القرقف ولكن هذه صخورها تقف مثل الهرم ٠ وقفت عند احد هذه القطاطى الصخرية ودرت حولها فلم أجد لها باب أو مدخل ولم تكن مهوله بالسكان ولم أجد تفسير أو تعليل عن كيف تكونت هذه الظاهرة الطبيعية التى سماها المسافرين بقرية تاما٠ وعلى بعد ثلاثة كيلو منها وجدنا كافتريا يديرها شاب سوداني ٠ تحدث لنا بحديث لاتخلو منه السخرية بأنه شيخ حله تاما هذه ٠وهو شيخ بوضع اليد ٠وبدون عمار ٠شيخ لهذه القرية التي شيدت مهجورة ويسكنها الهجير وعويل الرياح وصمت القبور ٠قريه لاككل القرى وتشبه قبيلة تاما تلك القبيلة المسلية بالحيوية والنشاط في غرب بلادنا ٠

بقيت مع ذلك الشاب قرابة الثلاث ساعات أكلنا وشربنا وارتحنا بعض الشئ وقبل أن نبدأ الحركة سألنا ذلك الشاب وأنا أحس بالوحدة والغربة في شخصه ٠كيف لك أن تبقى وحيدا في هذا المكان الموحش ؟!فأجاب من خلف الدموع التي كادت أن تخذله وتخذلني أنا شخصيا حذنا على شباب بلادنا الذين يلهثون مرارة الغربة والاغتراب ويحلمون بالثروات والجاه في دنيا العدم ٠

أجاب ذلك الشاب٠

هي لقمه العيش ياجنابو!!

طيب ياخى ماكان ممكن أن تأكلها في بلادنا ٠

والله ياخى نقول شنو؟!

لم اقل شئ ٠بل اعددنا أنفسنا للرحيل وكاد ذلك الشاب أن يرحل معنا تاركا ذلك المقهى وكدنا أن نقول له ذلك وهيهات لنا أن نقبله في ركابنا٠

هذا الموقف هو أحساس نبيل بالإنسان الانسانيه و الشعور بالانتما في الغربة هو أحساس رهيب يعصف بالمشاعر الانسانيه ٠ويؤرق النفس البشريه٠ وهذا الإحساس يجعلنا نحن واحد من هذه الطرق الثلاث إما تدمين القيادة إلى درجه الدروشة أو تدمين الحياة إلى درجه الفساد والافساد٠ أو نعود إدراجنا إلى الديار وهذه نراها هزيمة ولأننا سبنا ٠ هكذا الغربة والاغتراب إلا من رحمه ربى وكان مسلحا بسلاح العلم والمعرفة وحتى أولئك المتعلمون يؤرقهم الشعور بالاستيا من ؟١وكيف؟!ومتى؟!في الغربة البطاله٠

ارض زوي:

١٢٢/ تحركنا في اتجاه الشمال وعلى أراضى سهليه ممتدة شمالا من ذلك المقهى الذي كنا فيه ارض سهله منبسطة تتخللها بعض مجارى الخيران والتي تجرى شرقا عليها بعض النباتات الصحراوية الجافه٠

الزوى هي احد قبائل البدو في القطر الليبي توصف هذه السهول متنقلة شرقا وغربا مع القليل جدا من الثروة الحيوانية ابل ضان ونسبه لتأقلم أفراد القبيلة على الصحراء صعب

عليهم السكن في المدينة وظلوا متمسكين بالصحراء وباديتهم فيها حتى أذا فقدو الثروة الحيوانيه٠

كل القبائل في هذا البلد الليبي قبائل بدويه رعوية لأتعرف الاستقرار بل هي ضد الاستقرار ولا تستهويهم حياه المدينة ٠ولا الزراعة لأنها لا تكون ألا بالاستقرار لذلك ظل التعليم في هذا البلد بعيد المنال وظلت الرفاهية الطريق لهذه المجتمعات البدوية ٠

الزوى قبيلة ليست كبيره ولكنها تعيش على رقعه جغرافيه كبيره جدا على طول القطر الليبي شرقا وغربا ٠فى السنوات الاخيره استهوتهم القارة والتنقل عبر الحدود في اتجاه الدول المجاورة لهذا البلد ٠

الحركة على ارض الزوى سهله بعض الشئ لقلة الاراضى المكسرة والخيران والمرتفعات وهى منطقه صحراء بحق وحقيقه لانعدام المعالم فيها لذلك كثرت الطرق فيها وتاهت فيها كل القوافل المسافرة دون دليل٠

لاحظت أن لحركه في القطر الليبي عبر الصحراء أسهل بكثير من الحركة عليها في السودان ٠فى داخل القطر الليبي هنالك مقهى على بعد كل ١٥٠ــ٢٠٠كيلو تجد استراحة وأماكن للتزويد بالوقود والمياه والاكل٠

وعلى حافة ارض الزوى هناك أيضا مقهى يقدم كل المطلوبات لعبور بقيه الرحلة وجدنا هذا المقهى ووقفنا فيه برهة لتجميع مركباتنا ثم الاستمرار ومن هذه الاستراحة والتي هي أحسن من سابقاتها من حيث التجهيز والترتيب والأشياء الموجودة فيها لأنها اقرب إلى الكفرة ٠ومنها يرى قلب البصير.

قلب البعير:

هو جبل وحيد في قلب الصحراء بعد أن تفارق حافة ارض الزوى ٠وهو جبل متوسط الارتفاع وليس ضخما بل أيضا متوسط الحجم ولكن الشئ اللافت في هذا الجبل وجوده منفرد في المنطقة ويشبه تكوينه القلب بشكل غريب لدرجه اللون البني والمشرب بالخمر وخيوط العصب البيضاء الظاهرة على صفحه القلب تمثلها سيول مياه المطر على صفحه قلب البصير الصخرية ٠ولله في خلقه شئون تحركنا في اتجاه قلب

البصير ذلك الجبل الذي يتوسط الارض التي نتحرك عليها وهو عبارة عن هضبة منفردة وحيده على الأفق ٠رويدا رويدا نتقرب إليه ٠ ووجدنا إننا نسير على حافة هضبة رمليه عاليه يقع قلب البعير على طرفها الشرقي ويعتبر أكثر ارتفاعا وكلما اتجهنا غربا وفجا اكتشفت أن المنطقة التي تقع شرق هذا الجبل وتمتد من الشمال إلى الجنوب هي عبارة عن وادي عميق وواسع مليئا بالغطاء النباتي ٠وكلما اقتربنا من قلب البعير كلما اتضحت ألصوره للمنطقة الشرقية هي عبارة عن منطقه زراعيه يستقلها أهل الكفرة ٠ وسوف نجيب عن هذا السؤال كيف تزرع الصحراء٠

ذادت الحركة السريعة والسلسة على الهضبة الرملية الخاوية الخالية إلا أمواج الرياح وبعض معالم الطريق ٠وصلنا قلب البعير واكتشفت أن المنطقة التي تقع شرق الجبل تبين واديا إنما هي ارض منخفضة وممتدة من الشمال إلى الجنوب والى الشرق إلى أقصى درجه الرؤيا ٠اما المنطقة الغربية والتي كنا نسير عليها هي عبارة عن هضبة رمليه يقع على حافتها الشرقية هذا الجبل قلب البعير ٠

تخطينا هذا الجبل بضعة كيلو مترات عند مغيب الشمس ووجدنا منطقه تقف عندها كل الشاحنات لتزيل أثار الجريمة وأثار الجريمة هنا تعنى الركاب المهربين دون أوراق ثبوتية ينزلوا هنا ويتركوا أمتعتهم على الشاحنة ويتحركوا بالأرجل حتى يصلوا الكفرة ويجدوا الشاحنات تقف في منطقه تسمى الجنسية وهى على حافة المدينة الجنوبية ٠ويجب أن يتحرك الركاب دراجات ووحدانا حتى لا يشك في أمرهم احد ويدخلوا المدينة دون أن يتدخل احد ويمنعهم أو يطلب منهم أوراق ثبوتية ٠

هذه رحلة معاناة جديدة ومؤلمه وشاقه وغير محتمله ونهاية غير سعيده٠

الوقت ليل كان عندما توقفت الشاحنات بعد أن عبرنا قلب البعير٠ يروى احد اصدقائى الذين وجدتهم في الجنسية ٠نزلنا في ذلك المكان المؤحش ٠وسالنا٠

لماذا التوقف هنا؟! والدنيا ليل!!

أجاب احد سائقي العربات٠

ممنوع الدخول للكفرة وانتو بدون أوراق ثبوتية ٠ثـم أن المسـافة لـيس بعيـده المططلـوب إنكم تمشو سيرا على الأقدام وكل واحد يمشى لوحده حتى لاتلفتو الأنظـار ولا يتعـرف عليكم احد عندما تصلوا الكفرة تجدوا العربـات في موقـف الجنسـية ويأخـذ كـل واحـد أمتعته ٠

صاح احد المسافرين٠

ولكن كيف نعرف الطريق؟

قال السائق انظر أمامك

عندما التفت إلى الإمام رأى أنوار المدينة في الأفق البعيد كأنها سربان تتـدلى مـن السـماء كل الاضاءه في خط واحد أحيانا تتباعد وأحيانا تقترب لبعض أنها مدينه ألكفـره يـا لهـا من مدينه تسع كل طموحات وتطلعات الجميع٠

ارتفعـت الـروح المعنويـة وتجـدد الأمـل في النفـوس وانتشـرت في الفضـاء الرحيـب في الصحراء وكل واحد يتمنـى أن يصـل قبـل الآخـرين بـل توقـع الـبعض أن يصـل قبـل الشلحنات٠

وتفرقنا مثل الخفافيش في جـنح الظـلام ٠وقصـدت أنـا الارض المنخفضـة شـرق الميـل والأنوار البعيدة تتلالا في عيوني كان الأمر بيدي ٠مشينا أحيانا مسرعين وأحيانا هرولـة وأحيانا بهدو وسرعان ابتلعـت الصـحراء الجميـع وأصـبحنا لانـرى احـدنا ألا المامـا ٠ وتفرقت بنا السبل وأصبحت وحيدا امشي وكلما مشيت مسافة ارفع راسـي لأرى اننـى اقتربت من المدينة ولكنني مازلت بعيدا ٠دون أن اشـعر طـل الصـباح وأشـرقت الارض بالنور وارتفع الظلام واختفت المدينة من الأفـق وكأنهـا تبخـرت ولم تكـن هنـاك مدينـه سبحان الله ٠بلغ بى التعب أشده والعطش والجوع أيمـا مبلـغ وأحسسـت لأول مـره أن نعلاتى لا تناسب قدماي فقلعتها وحملتها ٠وبدات اجر قدماي على رمـال بـدأت تـدفئ وسوف تلتهب بعد قليل ٠

رأيت على يميني وعلى بعد خمسه كيلو متر تقريبا منطقه خضرا وتكثر الأشجار وأوراق الظلال الوارفة ٠تمنيت أن اخذ قسط من الراحة تحت تلك الأشجار وقصدتها وعندما اقتربت من ذلك المكان وجدت عمران ٢١ سنه من أبناء الجزيرة ملقى من شده العطش حاولت مساعدته لكي نصل سويا إلى تلك المزرعة فلم استطع ٠تركته وذهبت وحدي وجدتها فعلا مزرعة ووجدت فيها سودانيان وليبي وأخبرتهم بشان ذلك الملقى في الصحراء٠فاسرعو نحوه واحضروه واستمرت المعالجة والإسعافات الاوليه قرابة ٦ساعات وهى عبارة عن ماء مخلوط بالدقيق وشاىٔ ساده حتى عدنا للحياة ومن ثم بعد ذلك تناولنا وجبه عصيدة سخنه أعادتنا للحياة تماما٠وجدناهم ليبي وسودانيان يعملون في هذه المزرعة تعرفنا وروينا لهم قصه حياتنا في تلك الرحلة الشاقة وليتهم أفادونا أن الجزء الشاق من الرحلة لم يبدأ بعد٠ولان الجزء الذي انتهى هو الجزء المادي وهو اقل إيلاما من الجزء المعنوي في الرحلة والذي يمتد حتى النهايه٠

عرفنا منهم أن صاحب المزرعة ياتى لزيارتهم كل خميس ولو أردنا العمل معهم يمكننا أن نبقى معهم حتى الخميس القادم ٠قلنا لهم إننا نود الوصول إلى ألكفره لنستلم أمتعتنا التي تركناها في الشاحنة ٠ دهشوا لهذا الحديث ٠

سألتهم ٠

كم المسافة إلى ألكفره من هنا ؟!

أفاد احدهم ٠

من ٢٠ـ١٥ كيلو متر ٠

ممكن نستقل عربتكم هذا؟!

قال الليبي صاحب العربه٠

ادفعوا ٣٠ دينار٠

ونحن لانملك قوت يومنا٠

قررنا البقاء معهم ليوم أخر حتى نكسب اللياقة المطلوبة لتوصلنا إلى ألكفره سيرا على الأقدام إذا لم يحضر صاحب المزرعة غدا الخميس ٠

المزارع المحورية:

١٢٤/ هذا النظام الزراعي لأول مره أشاهده ولأول مره أشاهد ألزراعه في الصحراء وكنا نفهم أن الصحراء ارض يباب مابتنشتل ٠لاكن علمت أن الأقطان هي التي تخضر الصحراء ٠وهنا أمامنا بيان بالعمل للزراعة في الصحراء والشاهد أن المز رعه التي احتمينا بها ٠مزرعه مختلطة بمعنى الاختلاط تربيه حيوانات ودواجن وزراعه خضر وفاكهة ومحاصيل حقليه (قمح) حفرت فيها أبار جوفيه وترفع فيها المياه بواسطة مضخات غاطسه ٠لتوفير الماء للشرب والري أما الري المحوري ٠وهو للمزروعات الحقلية القمح مثلا وهذا النوع من الري تكون فيه المساحة المزروعة بشكل دائري ومحور هذه الدائرة البئر والمضخة وتمتد ماسورة من مركز الدائرة إلى احد أطرافها يمثل هذا الماسورة الافقيه نصف دائرة الحقل وتقف هذه الماسورة أفقيا على حوامل حديديه تنتهي بإطارات لتمكن هذه الماسورة من التدحرج إلى الإمام أو الخلف عندما يسحب الجرار٠تكون هذه الماسورة مخرمه باخرام عديدة وعلى امتدادها لينزل عبرها الماء على الارض المزروعة ٠وهذا الماء يتدفق من المضخة إلى الماسورة الافقيه مباشره من البئر ويدور الجرار ساحب هذه الماسورة الافقيه ليمر بمساحه الدائرة التي تمثل الحقل بأكمله كما نجد أن الإطارات التي تتدحرج عليها الماسورة الافقيه تمثل السرابات ولكنها دائرية مثل رقعه الحقل وهذا الري متوازن في كل أجزاءه ٠

سعدنا كثيرا وصديقي عمران من أبناء الجزيرة الذي تعرفنا به في مدخل هذه المزرعة ٠تعلمنا للأفضل مادمنا في ليبيا ارض كل العرب ومعقل البترول ولكننا نرتعش من الداخل وخوف المجهول وخاصة السودانيان اللذان في هذه المزرعة لم نحس بالطمانينه من حديثهما عن الرحلة التي لم تبدأ بعد٠

الكفرة:

١٢٥/ هي واحة خضراء تحيط بها مزارع النخل من كل الجانبات٠مدينه واسعة جمعت بين البادية والحضر مساحتها١٠-٢٠ كيلو بها مطار يستقبل الطيران الداخلي بها عدد من مصانع المياه العذبة والغازية وسوق واسع ممتلئ بجميع أنواع البضاعة واصلا النشاط

في هذه الواحة هو ألتجاره وهي واسعة و الزراعة بشقيها إلا أنها محدودة ٠سكانها ٥٠٠الف ليبي ومليون ونصف أجانب أفارقه سودانيين تشاديين المهم متاحة للأجانب ٠الشوارع مسفلته وبها اكبر فندق يسمى فندق النهر العظيم ٠كل الخدمات ميسره التعليم الصحة الكهرباء الماء عموما هذا الإطار الخارجي والعام

ولكن بالداخل هذه المدينة مجرمة ٠مليئه بالإشكال وسوف نرى؟!!ألكفره هذه الواحة الخضراء التي شهدت على التاريخ لم تشهد عليه فقط بل صنعته وكانت من أشهر المدن على المستوى المعرب والعربي هى التي احتضنت الشيخ عمر المختار أشجع فرسان العرب الذي دفنه الطلبان في معارك شهدت هذه الواحة جلها ومازالت المنطقة الشمالية لهذه الواحة تمثل معرضا تاريخيا لمخلفات تلك المعارك٠لذلك يعتز أهل ألكفره بها كثير وهم أحفاد عمر المختار كما بزلو جهدا كبيرا لتكون من أجمل الواحات في الوطن الليبي أصبحت هذه الواحة بفضل أبناؤها مركز تجارى في قلب الصحراء٠واستقرت بها التشاركيات في قطاع النقل وتجارة الحدود مع الدول المجاورة ٠لذا أصبحت قبله لكثير من الافارقه٠

الجنسية:

١٢٦/ لست ادري من أين جاء هذا الاسم ولكن من ناحية اللغة تعنى هوية الإنسان وهى عبارة عن ورقه ثبوتية تمنحها ألدوله لإفرادها ومواطنيها٠

ولكن الجنسية التي نحن بقصدها هي رقعه جغرافيه تقع في الطرف الجنوبي لمدينه الكفرة في اتجاه السودان وهى تمثل حافة الواحة الجنوبيه٠

هي لست حي سكنى ولا سوق للبيع والشراء وتبادل السلع ٠وليست مكان لتستخرج منه أوراق ثبوتية وليست مواقف متخصصة للشاحنات وليست مخازن للبضائع والترحيلات ٠

الجنسية هي عبارة عن وكالات للسفر عبر الصحراء اتجاه السودان شاد هذه الوكالة بها كل الذي ذكرنا وأكثر منه خاصة السكن والمطاعم والكافيتريات وتضم هذه الجنسية في داخلها كل أنماط البشر وكل الحرف المهنية ٠وكل القبائل وكل الأقطار الافريقيه من

دول الصحراء٠وتضم هذه الجنسية كل عمليات السمسرة بيعا وشرا وبما في ذلـك سـلعه البشرلها سماسرة ٠

مختلف الجنسيات ومختلف الشخصيات هنا في الجنسية تبتاع وتشترى كـل أنـواع البضـائع المواد الاستهلاكية ومواد البناء والمواد البترولية والمحاصيل وتشترى الذمم وتباع الخـبرات الوهم ويمارس الغش التجاري والكذب ونقصد هنا صـفقات المسـتقبل الخـواء والأمـل الأجوف ٠ اوناس لديهم خبرات كبيره في التعامل مع الحياة وتقلباتهـا ويرسمـون علـى جدار الزمن الأمنيات المحال والمستقبل العدم٠

اوناس جاءوا لهذه الجنسية من كل الأقطار عـرب وعجـم واكتسـبوا خـبرات واسـعة في نسج الخيال مما تزرعه الرياح وتحصده العواصف ٠

الغريب أن رواد هذه الجنسية وزبائنها كلهم غرباء ويرزقون تحت وطـاه الجهـل والـذي ملك أن يفك الخط ليصبح ناجحا ويكون ثروة عاجلا ٠باستقلال هذه الطيـور الافريقيـه المهاجرة لأول مره دون تعرف الطريق إلى مخارف الهجرة ٠

هذه الجنسية الحركة فيها لافته للنظر حركه دوؤب تشـابه تمامـا خليـه النحـل وشـاحنات مسافرة في كل الأوقات ومسافرين كثر هنا وهناك ولا نستطيع التركيز مع حركـه النـاس والبضائع والشاحنات والمركبات وقادمين ومسافرين وأمتعـه منقولـة في كـل الاتجاهـات وأصوات عديـدة لآليـات وماكينـات ومعـدات ومسـجلات وأغنيـات بلغـات تحكـى البطولات وتهز المشاعر وتثير المتلقي أما التمسك بالمستقبل المجهوول أو التفكير في العودة لامات ضفاير ٠

ولأكن كيف نعود ولم نحقق المقصود ورطه ورطه في هـذه الجنسـية تمـوت الأحـلام آلاف المرات وتستيقظ الآمال مع شرق الصباحات٠

اكتشفت أن الجنسية هذه تصلح وهى كذلك ٠منطقه حركيه لما فيها من تبادل للسـلع بـا النسبة للمسافرين وهنا يوجد دهاقنة السماسرة يبيعوك الحمار لاما خـذه حصـانا والمهـم جدا أن هذه الجنسية هي منطقه منزوعة السـلاح لاتدخلـها الحكومـة الاعامـا ٠٠وهـذه نقطه مهمة جدا ٠

١٢٧/ وصل صديقي وصاحبه في معية صاحب المزرعة ونزلو في الجنسية وأكد لهم الرجل أنهم أن أرادوا العمل في المزرعة كيف يجدونه ٠ذهب هو تركهم يتلفتون واختلط الحابل بالنابل في نظر صديقي حيث أن كل الأشياء متشابه المحلات والوكالات أكوام البضائع المرصوصة إمام الوكالات محلات المطربات وأجهزه المسجل المرتفع الأصوات ومكبرات الصوت في ايدى الباعة المنتشرين في المكان كلها أشياء تغلب الدماغ ٠

التفت صديقي نحو الشارع المسفلت والذي يقع شرق الجنسية تقف على يمينه مئات العربات وار تال الشاحنات المتجه جنوبا وحولها أكوام من البضاعة والامتعه وأعداد كبيره من المسافرين والمودعين وفى الجانب الشرقي لشارع الإسفلت أيضا مئات الشاحنات وار تال المركبات المتجه شمالا تلك الشاحنات المتجه شمالا في طريقها إلى ساحل بنغازي أو طرابلس ١٦٠٠كيلو رحله شاقه جدا ألا أنها على طرق معبده بالإسفلت وداخل أراضى حضاريه واستراحات كل١٠٠كيلو متر وأضاءت وواحات٠

أما الشاحنات المتجه جنوبا تتجه للسودان أو شاد أكثر الطرق وعوره وصحراء حقيقية وعذاب غير متناهي ٠وتتشابه الشاحنات ولم يجد اصدقائى الشاحنة التي جاوا على متنها وتشابه عليهم البقر وبدوؤ رحله بحث طويلة بين الركاب المتشابه البضائع والشاحنات والناس والوكالات كلهم متشابهين ومن الصعب أن تجد ماتبحث عنه ولكن الحظ كان حليف صديقي وصاحبه وجدوا احد الذين كانوا معهم في الرحلة وقابلهم بحزن حيث نزل الامتعه وبسهوله جدا وجدوا أشيائهم وليست أمتعتهم لأنها عبارة عن باقات مخيشه اى ملفوفة بالجولات لزوم التبريد ومجموعه حبال وشنط حديد مصنوعة من الزنك لتقاوم وعكات الطريق وبعض الشكائر حملوها لموقع الدلالة بالجرس وهناك من يشتريها ليبيعها للعائدين٠اما بالنسبة لهم فهي أمتعه غير مقيده بعد ذلك لأنهم في ارض الحضارة والأمل الموعود والمرتزق الموفود تخلصوا منها بثمن بخس بضعه دنانير وضعوها في جيوبهم لمجابهة الجوع ألا أن يقضى الله امرأ كان مفعولا ٠ ولم يستمر بحثهم طويلا وجد كل منهم أهله وذويه في وكاله بدءها احد ابنا بلدتهم الأوائل الذين قدموا لهذه البلد وركبوا الصعاب أولا ثم كانوا تيراب لأبناء مناطقهم وحذو حذوهم

١٢٨/ اختفى صديقي وصاحبه وسط الزحام في غابه الجنسية يومين ثلاث أسبوع كلها راحة بعد تعب السفر تحت كرم الضيافة من الذين سبقونا وحديث غير منقطع ليل نهار عن ليبيا وعن العمل وعن سفر ألعماله في هذا البلد٠٠ودائما التحذير يلازم هذا الحديث التحذير من الإجرام والمجرمين وشروط الخدمة و المخدميين كلها أوهام قلب شاعري نحن نعلم في كل الوطن العربي إذا لم تكن تحمل جواز ساري المفعول وبه تاشيرت دخول أنت لأتساوى شئ بل صخره وكوم تراب ٠٠سوف يووذيكم سؤ الضرب وكل الذين جاوا عبر هذه البوابة واستقروا بالجنسية جاءوا تهريب كالخراف أو الماشية أو الإبل التي تأتى معهم في نفس الشاحنات ٠

واجزم أن هناك اتفاق غير مبرم بين الدولتين أو على الأقل بين الأجهزة التي تشرف على الهجرة كي يقضوا النظر جميعا لتهريب هؤلا الشباب والاستفادة منهم دون مقابل أو بما يعادل أكلهم وشرابهم ٠

واسالكم بالله أن تحدثوني عن مغترب واحد عاد من ليبيا وهو يملك قوت يومه٠٠لااجد إجابة لذلك فان الجريمة في كيفيه خروج أبناء بلادي لذلك البلد تهريب تديره الاجهزه الامنيه وسلطات الجمارك في البلدين واستقلال الأميين من أبناء بلادنا وبيعهم عبر الصحرا٠٠

واستحلفكم بالله أن تحدثوني عن خريج جامعه أو إكمال ثانوي ذهب عبر الصحراء للبحث عن المستقبل المجهول ٠٠كلهم أميين ٠٠وكلهم من الريف وكلهم فقراء ٠وكلهم فاقد تربوي ٠٠وكلهم غير معروفين وجدت صديق بعد أسبوع من الزمان وسألته ؟

أين أنت ياراجل؟!

قال :

انه جاء وجد احد الوكالات يديرها ابن عمه ٠وبقيت فيها اعمل ثلاثة حاجات في اليوم اكل ،ونوم،وحمام

قلت له:

فعلا أنت ألان مرتاح

أجاب:
سوف ابحث عن العمل من اليوم٠٠
ااااخبرته٠٠
اننى ذاهب إلى الساحل غدا وسوف أعود بعد ١٠ايام وودعته وخرجت٠
١٢٩/ الجنسية هذه المنطقة المعجزة علمت أثناء وجودي بالكفرة أنها فضاهى اكبر واعتي وكالات الأنباء والأخبار والمعلومات المتوفرة في الجنسية لاتتوفر حتى أجهزه الدوله٠
مثلا في الجنسية في كل ساعة من هناك زائر من الشمال أو من الجنوب ٠هناك معلومات متدفقة عن الصحراء والذين تاهوا فيها والذين ماتوا فيها والذين نهبوا فيها والذين فقدو فيها ومعلومات متوفرة عن الساحل وكم من السودانيين على متن الغارب الفلاني والذي نجا من الغرق أو ما ابتلعهم المتوسط على القارب الفلاني وكم منتظرين الرحلة القادمة وتأتى هذه المعلومات بالاسم يتداولها الناس في الجنسيه٠
وإذا فكرتا نبحث عن الذين فقودا في الصحراء أو البحر قبل عشرات السنين تجد من يوفر لك المعلومة الصحيحة في هذا وذاك الشأن وهذه المعلومات تظل من الأمل المفقود أو المميت في الصحراء والبحر ٠فى نفس الوقت لأتعلم الخارجية عنها شئ٠

المحور (ز)

يونيو ١٩٩١م

الطريق إلى الساحل

الكفرة

١٣٠/ هذه الواحة الجميلة الخضراء يحترمها أهلها ويحبونها كثيرا ٠ هي تمثل رمز عزة ووقار من ناحية تاريخية يعتقدون أنها لونت تاريخ ليبيا بألوان نضال أهلها وإبطالها وأبطال كل العرب عمر المختار ذلك القائد الجسور الذي اختار الكفرة الإستراتيجية لأخر معركة ضد العدوان الايطالي ٠٠ المنطقة من ناحية عسكرية مهمة جدا لذلك كان قائدنا قائد بالفطرة واختارها ٠

تحيط بها الكثير من الجبال والمرتفعات والأخاديد العميقة تم استقلالها بمواقع دفاعية حصينة دءوب بها شراسة المعركة ٠

الزائر لهذه الواحة والجزء الشمالي الغربي منها حيث كانت المعركة تحس بالرهبة والخوف ويخطب ذلك المناضل الجسور عمر المختار ٠٠ ارتبط هذا الاسم تاريخيا بوجوده وأينما ذكرت الكفرة يذكر عمر المختار والعكس صحيح كلما ذكر عمر المختار ذكرت الكفرة٠

مازالت مخلفات المعركة موجودة بمنطقة الجبال هذه التي تقع شمال غرب المدينة ٠٠ وجميل جدا أن قام أهل هذه المدينة بتسوير المنطقة بالسلك الشائك وأصبحت متحفا تاريخيا يحكي نضال الشعب العربي الليبي ٠ ومهيأ للزوار من كل مكان وأعجبني أيضا أن شباب هذه المدينة يحفظون تاريخهم عن ظهر قلب ويتجلي ذلك في شرحهم للزوار ووصفهم تلك المعارك كأنهم خاضوها مع قائدنا الشيخ العظيم عمر المختار ٠

انحرف طريق الإسفلت في اتجاه الشمال يتلون بلونه الأسود كالحبة السوداء علي رمال الصحراء ۰ طريق طويل في اتجاه الساحل وممل الترحال عليه لو لا أنهم جعلوا هناك استراحات ومحطات الوقود كل ٥٠ كيلو بإضافة إلي أن الطريق يمر ببعض المناطق تستحق المشاهدة ۰۰ رمال علي جانبي الطريق وشمس محرقة في العالي ورياح جافة ساخنة كالسنة اللهب وسراب يطفئ نور العيون هي مكونات الجو علي طريق الساحل والذي يزيد الهم طريق الإسفلت المؤلم السفر عليه الممل والسام ووجدت أن الطريق البري الذي سلكناه في بلادنا خير من هذا الإسفلت الطويل ۰

بوابة ابوزريق :

١٣١/ هذه اخطر البوابات علي الطريق وهناك مجموعة بوابات ولكن أسوا بوبه هي بوابة ابوزريق والبوابة هي عبارة عن نقاط مراجعة علي الطريق مراجعة الشاحنات والمركبات والعربات والمسافرين عبر هذه الطرق دخولا وخروجا لهذه البلاد في هذه البوابة مجموعة من الحرس تم اختيارهم بمواصفات خاصة لا يعرفون الرحمة والإنسانية في سبيل تأدية واجباتهم ۰۰ يقوموا دائما باجراءت التفتيش كاملة دون محاباة لأحد ۰۰ وفي سبيل ذلك يمكنهم تفريغ شحنة كاملة من الشاحنات ۰ وهذا الأجراء يكون تم وقتها بواسطة رافعات كبيرة وعندما تفرق الشحنة تبدأ المعاناة في كيفية أعادة الشحنة وهذه المنطقة خلوية لا توجد بها رافعه أو عمال شحن وتفريغ ۰۰ الحرس في هذه البوابة لا يهمهم شئ حتى لو تبقي الشاحنة في هذا الموقع أيام وأسابيع وشهور طويلة
وأحيانا كثيرة يتعاون المسافرين والتجار وأصحاب الشاحنات في محاولة تجزئة البضائع ليسهل حملها ورفعها مرة أخري علي الشاحنة وهذا الإجراء يأخذ كثيرا من الزمن ۰
في هذه البوابة يتم مصادرة كثير من البضائع الفارهة والسلع الالكترونية والمواد الاستهلاكية بحجة أنها ممنوع خروجها من هذا البلد أو توصف من المواد المهربة وفيها تحدث خسائر كبيرة للتجار والمسافرين معا ۰
في هذه البوابة أذا لم تكن أورقك الثبوتية مكملة لا تستطيع العبور ۰۰ وفي كل هذه المواقف بكل أسف تحدث المفاوضات والتسويات بكل أسف لصالح القائمين علي أمر

هـذه البوابـة ٠٠ وأصـبحت بهـذا التـاريخ مشـهورة ومعروفـة لكـل المسـافرين جيئـة وذهابا ٠٠ ومثل هذه التعرجات كثيرة في كل العرب ٠
لم نتوقف كثيرا في هذه المنطقة لأننا نحمل صفة الوفد الرسمي لذلك فلا تأخير ٠

حقول النفط :-

١٣٢/ تحركنا في اتجاه الشمال خروجا من هذه البوابة المحنة والشمس تدنوا من المغيب ٠ وبدأت حرارة الجو في الانخفاض وكثر عدد المركبات والشاحنات علي الطريق ولاحظت أن معظمها شاحنات بترول أشكال وألـوان وإحجـام مختلفـة ٠ وبعـد قليـل بـدا احمـرار السماء الذي كان هو شفق المغيب وانعكس احمـرارا علـي الارض ولكنـه لم يكـن شـفق المغيب بل كان هو عبارة عن شعلة البترول المغنية دومـا علـي الآبـار ٠٠ ومجموعـة أبـار تكون حقل وهذا يعني أن كل المنطقة ارض تسير عليها هي منطقة حقول البترول الليبيـة وتتسع وقتها لتشمل كل القطر الليبي ٠٠ وبرغم الإظلام الكثيف في الليل إلا أن مشاعل الآبار إضاءة المكان وأضفت علي الرحلة شئ من المتعـة والتـأقلم علـي الطريـق المتعـب أثناء النهار ٠٠ وبلغ بنا الإعياء مبلغه قررنا المبيت في أول استراحة نصلها وأخيرا وصلنا احدي الاستراحات وأمضينا فيها الليلة ٠
كم هي بعيدة المسافات في هذا البلد العربي الشاسـع الواسـع وتزيـده الصـحراء وعـورة وبعدا حقيقا ٠
عند الصباح الباكر لاحظنا أن حركة الشاحنات ذادت كثافة وأصـبحت تنقـل قطـع مـن الأنابيب الضخمة ولا تسع الشاحنة إلا لأنبوبة واحد فقـط وهـي الأنابيـب الـتي يجـري عليها النهر العظيم الليبي ذلك المشروع الحلم للقادة والتي بزلت فيه مجهودات كبيرة حتى رأي النور وتدفقت مياهـه لـتروي السـاحل الليـبي ٠٠ وفي تقـديري أن السـاحل دائمـا اخضر ولا يحتاج لمياه النهر العظيم والصحراء هي أحوج للـتعمير مـن السـاحل ولكنهـا إستراتجية ذلك البلد ٠
طريق الإسفلت صار أكثر اتساعا وأكثر تفصـيلا بـل صـار هنـاك آخـر جـواز لـه لمـرور شاحنات النهر العظيم ٠

أصبحنا نتخلى عن الصحراء شيئا فشيئا وندخل في منطقة الحضارة المأهولة بالسكان والعمران ٠ لاحظت أن هذه المنطقة كأنها سهول ممتدة دون تضاريس ومرتفعات وأخاديد بل هي سهول ممتدة علي مدي البصر ٠٠ ولأول مرة نشاهد هنا وهناك بعض الغطاء النباتي الأخضر في شكل مزارع و أصبحنا اقرب للساحل ولكن سرعنما اكتشفت أن هذه المزارع تساند حقول البترول في تقديم الخدمات الاعاشية بأنواعها ٠

أوجلة :-

١٣٣/ بعد مسير ٩ ساعات أصبحنا علي مشارف أوجلة احدي أجمل الواحات علي هذا الطريق خضرة متناهية وأشجار نخيل باصقات وأخري علي الارض وأنواع من البلح لم أراه في حياتي ٠ اوناس نشطون أهلها مزارعون وتجار ورعاة البلح هذه الواحة الصغيرة كأنها خلية للنحل من شدة حركة أهلها كسبا للعيش ورسما لمستقبل أجيالهم التي تأتي ٠

وقفنا للراحة وإصلاح بعض الإطارات قابلنا أشخاص سودانيين وليبين وتعاملوا معنا بكرم فياض وقدموا لنا منتجات هذه الواحة المعطاة من عصائر وفواكه وهى منطقه زراعه ورعى وتصنيع المواد المحلية تغليف العجوة وتعليب الفواكه ولاحظت أن بها كميات من عسل النحل والمناحل ومن هنا علمت أيضا أن الزراعة بشقيها متطوره جدا ويمكن استخدمت فيها الاله ٠٠ذلك واضح من أنواع المنتجات المعروضة ولاحظت أيضا أن أعداد كبيره من الافارقه يعملون في هذه الواحة ٠

تحركنا مرورا بمزارع النخيل الشمالية التي تقع على جانبي الإسفلت خضره ترد الروح المهاجرة وهى لأتشبه الصحراء مطلقا حتى خرجنا من هذه الواحة الجميلة ودخلنا الصحراء مره أخرى ولأكن هذه المرة تختلف بعض الشئ حيث تقاربت الاستراحات وترى المزارع المتبعثره هنا وهناك وزادت عدد السيارات على الطريق كلها تدل على إننا اصحبنا نقترب من الساحل.

واحة جالو:

١٣٤/ هي أيضا واحة وتشبه سابقتها إلا أنها على الساحل وأكثر تنميه وحضارة وبالاضافه إلى الزراعة والرعي كنشاط بشرى بها بعض المصانع والتجارة المدهشة لأنها تربط من شرق البلاد وغربها وجنوبها ٠

هي مدينه واسعة بعض الشئ وبها اكبر تقاطع الطرق في ليبيا٠وتعبرها بعض خطوط الأنابيب التي تحمل البترول من الحقول الجنوبية إلى مينا الصادر على شاطئ المتوسط وامام هذه الواحة تعبر الطريق القارئ الذي يأتى من الشرق ويودى إلى مدينه بنغازي وتتجه غربا إلى مابعد مدينه طرابلس وهو طريق بنغازي يربط كل دول شمال أفريقيا وغربها ومجموعه الدول التي تسمى دول الساحل ٠

المعروف أن الشاطئ الليبي يفوق الإلف كيلو المطل على البحر الأبيض المتوسط٠ وعلى طول هذا الشاطئ يوجد أعداد كبيره من مواني تصدير البترول إلى أوربا وأنحاء العالم المختلفة ألاف السفن حاملات البترول ترسو على هذا الشاطئ في كل رأس ساعه٠

هذه الواحة حيوية وتتفرق منها الطرق شرقا وغربا وتمثل المدخل الرئيسي الجنوبي الذي ياتى من الصحراء ٠

وهذه المنطقة مهمة جدا لي لانى جئت في معية الكثيرين من أبناء بلادي بحث عن الرزق والعيش الكريم بين الساحل والصحراء وعبرنا الصحراء حتى وصلنا أخيرا الساحل ونبدأ نقوص في التفاصيل عن ما نبحث عنه بين رمال الصحراء وعرض المتوسط

الساحل:

١٣٥/ هذا الساحل هو الساحل الذي يسر المغامرين من بني البشر ويدفع بهم نحو الزرقاء وفيهم من قضي نحوه وفيهم من ينتظر ٠٠ الساحل والصحراء توأمان ٠٠ الصحراء هي موطن لكل ما هو غامض وغير معروف والبحر كذلك في لجته الزرقاء كل الغموض والقطر الليبي في تقديري هو صحراء ولجة

تمتد السواحل الليبية من شرق بنغازي وحتى غـرب طـرابلس وهـي تطـل علـي البحـر الأبيض المتوسط ٠٠ وداخل الصحراء نجد المياه علي بعد ٥٠ كيلو فقط في اتجاه الجنـوب أي في داخل الصحراء ٠٠ هذه إل ٥٠ كيلو هي الخضرة الزرع والضرع والناس ٠
لذلك اخضرت هذه إل ٥٠ كيلو وانتعش الجميـع حتـى المهـاجرين مـن دول الصـحراء الذين جاؤا دون معرفة ودون ثروة عاشوا بين أهل الدار وأصحاب الملك عمـال أوفيـاء ولا يطبق ما جاء عليهم في الكتاب الأخضر ٠٠ شـركاء الإجـراء أجـراء مهمـا تحسـنت أجورهم هم نوع من العبيد وكان الذين جاؤا من دول الصحراء أو جنوب الصحراء هم ازرل أتباع العبيد ٠
جاءت مجموعات كبيرة من دول جنوب الصحراء وما زالت تـأتي وسـوف تظـل كـذلك إلي يوم الدين ما دام الثروة موجودة في الساحل والبترول يتدفق عـبر المتوسـط ٠ اروبـا لماذا يبقون تحت الجهل والتخلف والمرض والفقر وهناك قلة بتمتع بالخير والمال ٠
جاؤا دون معلومات ولا يفكـون الخـط وكلـهم أمـيين قـد يكـون خـدعهم بعـض أبنـاء عمومتهم أو بعض تجار الساحل وعبروا بهم في ممرات غير معروفة في الصحراء منهم من مات وفقد حياته ومـات دون طموحاتـه ومـنهم مـن عـاش حـي كميـت أي تـوفي عنـه صاحب العمل الأكل والشراب والكسوة كل عام مرة ٠٠ وأخر طالب زيادة عـن ذلـك لا يجد وقد لا يعيش طويلا وهو بدون هوية أو أوراق ثبوتية
كلهم واجهوا نفس المصير أذا لم تبلعهم غول الصحراء يبلعهم أهل السـاحل ٠وكـثيرون من أبناء بلدي الله وحده هو الذي يعلـم أيـن هـم الان٠ والـذين ضـاقوا بالحيـاة علـى اليابس قصدوا البحر لم يكن حظهم أوفر من الذين بقوا على اليابس٠
كل الذين ضاقوا بالحياة على اليابس قصدوا البحر ٠وهنا الإحساس بالظلم قـد ينصـب على صاحب القارب المتهالـك والـذي اخـذ كـل مـدخراتهم يرمـى بهـم في السـواحل الاروبيه حيث الحياة أفضل٠وظلم هذا الرجل أسهل من ظلم أهل اليابس الـذين تعمـل معهم راعيا لأغنامهم في بيئة كلها جفـاف وقسـوة وتبقـى علـى ذلـك المنـوال عشـرات

السنين دون راتب وإذا طالبت سوف تجد مصير الكلب السعران امران أحلاهما مر إما البقاء على اليابس وتبقى كالسوام واو الموت في جهة البحر وتصبح للحيتان طعام ٠

- كم الذين ماتوا في الصحراء في بداية الرحلة ويستقلون شاحنات هالكة ؟!
- ومن المسؤل فيهم؟!
- من هم الذين نفقدهم في دروب الصحراء٠
- كم فقد في ليبيا تحت ظلم المخدميين؟١
- ومن هم؟!
- وهل يعلم أهلهم وذويهم في دول جنوب الصحراء٠
- كم عدد العطاله في دول الساحل؟١
- والى متى يظلوا في الانتظار؟١
- كم من الذين ضاقوا بالحياة ذرعا وقصدوا البحر؟١
- كم من الذين ركبوا قوارب الصيد وغادروا السواحل الليبية؟
- ومن الذين نفقدهم على هذه القوارب المتهالكة؟١
- من هم سماسرة الترحيل على اليابس وعلى البحر؟١
- وكم ماتوا من أبناء بلادنا واصحبوا قوتا للأسماك؟١
- وكم منها وصلوا الشواطئ الاروبيه وأودعوا السجون هناك؟١
- لماذا يرمى هؤلا بأنفسهم في التهلكة؟١
- مسئوليه من في دول جنوب الصحراء؟١

الجهل.المرض

الفقر.القطي.الجوع

وكل دوافع الهجرة المسكوت عليها٠٠والتى راح ضحيتها ألاف من أبناء بلادي ٠٠اما في مجاهل الصحراء أو على قوارب الموت في بحار ليس لها عوام ٠او تحت ظلم وقهر المخدميين وتجار الرقيق٠

- مازالت الهجرة الغير شرعيه مستمرة هل نتوقع مراجعه أمرها؟!

- مازال تجار التهريب مستمرين هل تتوقف الظاهرة؟!

الخاتمة

دول الساحل والصحراء٠٠

١٣٦/ هناك أريد الحديث عن هذه الدول من ناحية سياسيه أو اقتصاديه بل أتحدث عنهم ومعهم من ناحية إنسانيه تخص شعوبهم التي تعانى دون رحمه لدرجه الموت من اجل المستقبل المشرق والحياة الأفضل ٠لا تعتبر هذه الدول المنضوية تحت مسمى دول الساحل والصحراء ٠(س ص) أن تراعى مواطنيها الذين يعيشون في الفقر،والجهل،والمرض،والجوع،والعطش،والاحباط،والاضمحلال،والانتحارالمعنوى٠ويختارون الطريق الصعب في سبيل إيجاد الأمل لهم ولأبنائهم وأسرهم أنها من ابسط المعوقات يا زعماء أفريقيا ٠ لايجدها مواطنهم لذلك يختارون الموت ٠بدلا من الحياة التي لأطعم ولا راحه٠٠

من الساحل والصحراء تكمن المصيبة ٠بين الساحل والصحراء يكون أبشع أنواع الموت بين الساحل والصحراء تتضح الحقيقة وبين الساحل والصحراء يتوارى الأمل المشرق وتموت على الشفاه ابتسامه النساء والأطفال ٠بين الساحل والصحراء تنتحر المعنويات وتموت الفرحة ٠بين الساحل والصحراء العطاله والبطالة والعمالة ٠بين الساحل والصحراء قطاع الطرق المرتزقة وتجار الرقيق وتجار المخدرات ٠بين الساحل والصحراء يختفي المجرمون وتتفاقم الجريمة

بعمري سالت ماذا تبحث اجتماعات دول الساحل والصحراء وكل المعاناة حاجرة ككثافة في هذه الدول هم الذين يعلمون مايدور في الصحراء الكبرى ويعلمون مايدور في عرض المتوسط٠

١٣٧/ كيف يسافر الناس إلى ليبيا؟!

تتم حركه المسافرين إلى ليبيا عبر المدن الاتيه ٠٠

- دنقلا
- سوق ليبيا أم درمان
- حمره الشيخ شمال كرد فان

- مليط شمال دارفور
- كتم شمال دارفور
- الطينة السودانية غرب دارفور

هذه عدت مواني للترحيل والاستقبال وتضبط حركه الهجرة من والى السودان ولكن بكل الأسف يمكن أن يسافر الإنسان دون إيقاف حتى وان لم يملك الأوراق التي تمكنه من السفر ٠كل المطلوب أن يكون لديك المال الكافي لتنفقه نفقات الرحلة ٠٠

ومن هنا يصبح الإنسان ضحية سماسرة التهريب وظلم المخدميين في الطرف الأخر ٠٠وقسوه الصحراء في رحله الاعوده وحيتان المتوسط المفترسة وسجون أوربا الغير معروفه أو التشرد والتسول والسكن تحت الارض في مستنقعات المجارى٠

- من هم المسافريين٠٠

هم أبناء بلادي التعابى والغلابة والجهلة الذين لا يفكون الحظ وطنهم العطاله والبطالة والفقر والجهل والمرض وأصبحوا كالقطيع ٠لقمه سائقة للمجرمين ووقود للجريمة والإجرام٠ومغامريين لايعرفون اليأس حتى ولو ضاعوا في دروب يحدوها الأمل والتطلع إلى المستقبل الزائف والأمل الهوان والثروة المستحيلة

في الأجزاء الغربية من بلادنا خيم الفقر سنين عديدة وانعدمت التنمية و التعليم و كل الخدمات وكثرت العطاله والبطالة وقله المياه وعانى الإنسان كثيرا بعد سنوات الجفاف والتصحر في منتصف الثمانينات ٠٠لذلك أسباب كثيرة ترجع للسلطة والثروة والتعليم٠هاجر الناس من كل المدن والقرى ٠وبالارجل وعلى ظهور الإبل وشتى أنواع المواصلات٠

وبذلك أصبحوا لقمه سائغه تصل المستقلين والاستقلاليين من سماسرة التهريب٠٠سافر الناس لكل أنحاء الدنيا وهم لايشعرون بمواجهه حجم الهجرة العشوائية ٠٠سافروا بكل أنواع المواصلات وهم لايدرون أن الطرق كلها لاتؤدى إلى روما٠٠

سقطت مجموعات كبيره لايعرف لها عدد ولا أسماء ولا أهل ولا معارف ولا عناويين بل نفقوا كالإبل في الصحراء٠٠

وليس أبناء بلادي فقط بل انضم إليهم أعداد وأعداد من أفريقيا جنوب الصحراء والذين يواجهوا نفس المصير وتلاحمت هذه القطعان البشرية وقرروا البحث عن المستقبل الضائع في رمال الصحراء اى في الساحل أو في لجنه المتوسط وبكل أسف سقطوا دونه وأسدل الستار على مسرحيه أبطالها جياع وأميين وعطاله لايملكون قوتهم.

١٣٨/ هذه الصحراء مكمن الخوف والقلق يمكن تعميرها والعيش فيها كما تعيش الشعوب التي تقطن الصحارى في إنحاء العالم٠

أذا اعتبرنا أن الماء هو أهم عنصر في الصحراء أنا أؤكد أن الصحراء هذه مليئة بالمياه السطحية والجوفيه٠٠وبها العديد من الواحات التي تصلح أن تكون مدن مثل الكفرة وجالو وأوجله ونجد أعظم وأضخم واحة في الصحراء واحة ألنخيله ٠٠هذه الواحة تحدثت عنها في جزء آخر من هذه الاصداره ٠٠واحه غنية بأشجار النخيل والنوع القصير ومنتج لدرجه عاليه ومهجورة تماما لآياتي عبرها الاعابرين طريق أو الطيور المهاجرة وهذه الواحة تستفيد منها قبائل القرعان الشادية في موسم حصاد لبلح ٠٠حيث تأتى هذه القبائل بقوافل الإبل لتجنى هذا البلح المهجور من أهله ٠٠

جبل العطرون٠٠

هذه المنطقة عبارة عن مخيمات لحصاد العطرون وهو لا مقطوع ولا ممنوع ثروة يتمتع بها المغامرون من أصحاب الشاحنات يمكن أن ٠٠تقام حوله مدينة وتسمى مدينه العطرواالجبل راهب هي واحة في واقع الأمر حيث تعيش الحاجة خادم الله وأغنامها وكيف لها أن تعيش دون ماء٠٠

وادي هور٠٠

هذا الوادي يمكن أن يمثل حائط صد أول لرياح الصحراء ٠٠لمافيه من مياه سطحيه وجوفيه يمكن زراعه ألقطاء النباتي وزراعه الخضر والفاكهة ورعى كل أنواع الحيوانات في هذا الوادي الذي يصلح لعشرات المدن من غربه وشرقه وجبرونا خير مثال ظلت محطة للقوات المسلحة لفترة طويلة ٠ويسكن حولها اكبر فرقان الكبابيش العطوية وهى

معبر للقادم والراجع للسودان بالتزود بالماء والصحراء في تقديري لا لاتنقصها المياه لأنها موجودة في باطن ارضها٠٠والنهر العظيم الليبي اصدق مثال٠٠

كيف لنا أن نهجر ارض حيوية كهذه بسسب فقدان الماء ونترك الرمال تنساب إلى داخل بلادنا وتكاد أن تشطر هذه البلاد إلى قسمين وتهدد مجرى النهر بالدفن كما دفنت كثير من المناطق فى شمال بلادنا٠٠

اثنا خدمتي في القوات المسلحة واثنا وجودي في جبرونا هذه كانت لدينا مزرعة منتجه لدرجه عاليه لكل أنواع الخضر وفى كل فصول السنة وهذا يدل على خصوبة الارض وصلاحيتها للزراعة وهذه المنطقة تحتاج لتعبيد الطرق فقط٠٠

حائط صد أخر لمكافحه هذا الزحف الصحراوي الذي يهدد بلادنا ٠٠وحائط صد طبيعي ويتمثل في السلاسل الجبلية الطبيعية والتي خلقها الله نستفيد منها في درى المخاطر الصحراوية ٠٠هى سلاسل الجبال الممتدة من غرب أم درمان جبال المرخيات مرورا بمرتفعات جبره الشيخ ومرتفعات حمرة ألوز وجبال سودرى وكجمر وآم بادر وآم قوزين وجبال ميدوب وحتى كتم الملتحمة في جبل مره ٠٠هذه السلاسل الجبلية مرصوصة كما ذكرت وينهما بعض المساحات الخالية وتصلح للسكن والزراعة وخاصة الغابات لتبقى مصد الرياح ٠٠وكل المجهود ينصب في حفر الدوانكى والحفائر لإيجاد ألماء حتى تكون المنطقة ماهوله بالسكان وانأ لست خياليا بل هذا ممكن لان الإنسان في هذه المنطقة لم يستقرا أبدا مداوم علي الترحال بحثا عن الماء والكلاء فإذا وفرنا الماء بخطه تستهدف الفتحات من بين السلاسل الجبلية نكون أقمنا حائط لهذا بمجرد استقرار الإنسان وثروته الحيوانية في موقع الماء المعنى٠٠

كثيرون من أبناء بلادي لايدرون شئ عن هذه لصحراء وحتى أن شخصينا لو لم اذهب بنفسي لأداء الواجب لما علمت هذه الصحراء مهجورة وغير معروفه إلا لأهل البادية وحتى هؤلاء لايعلمون فيها ألا مايخصهم وثروتهم الحيوانية ولكن ماهي أنواع الثروات الأخرى لايعلمها ألا الله وجدت يوما وعلى جبال سودرى مناجم للذهب استخرجه أجدادنا القدماء بالطرق التقليدية ومازالت صخوره تملا الارض٠٠اثأر ومقابر قديمه

على مرتفعات كجمر لايدرى احد عنها شئ والأقرب من ذلك انني وجدت منطقه محاطة بالسلك الشائك في جبال أبو فأس غرب كجمر وهذه المنطقة المسورة لديها مدخلين في كل مدخل توجد قرية ألان هذه القرى هي أسره الخفرا الاثين الذي تم تعيينها في زمن الاستعمار بواسطة الخواجة والذي كان مهتما بره المنطقة ومرت السنين وغادر المستعمر ولم يبقى منه ألا أحفاد هؤلاء الخفريين ٠٠والذين لا يعلمون ماذا يحرسون داخل هذه المنطقة المسورة وما زالوا حتى كتابة هذه الأسطر وظل راتب الخفريين موروث يدفعه الآن أبناءهم من محليه سودرى٠٠هناك في جبال ميدوب وجبال كتم أخاديد ومغارات وأنفاق عميقة ظلت غير مكتشفه حتى ألان برغم من وجود عده مدن حولها لكننا غير مهتمين بالتاريخ٠٠والآن نريد أن ندرا عن أنفسنا خطر الصحراء خطرها هي نفسها وجيوش الرمال المتحركة والغازية لبلادنا٠٠ونحمى أنفسنا من خطر الذين وجدوا مواقع مناسبة من البعد والقسوة الطبيعية الموجودة فيها وهاجروا لها ٠٠واصبح خطرها يهدد المسافرين والمستقرين فيها من البوادي المتنقلة فيها٠٠أصبحت قبلة للجريمة والمجرمين بكل الأشكال والأنواع وأقيمت فيها المعسكرات للتدريب العسكري ومعسكرات قطاع الطرق المرتزقه ٠وتمكين استخدامها لدفن النفايات كما اشيع عن المنطقة غرب أم درمان التي هي جزمن هذه الصحراء٠

غبنا عن الصحراء وغابات الدولة لذلك واجه أبناء بلادنا البسطاء كثير من الإشكاليات:

- واجهوا الموت في الصحراء بسبب قله الماء والغذاء وفقدان الاتجاه٠
- واجهوا خطر النهب المسلح وقطاع الطرق الذين لايعرفون الرحمة
- واجهوا استبداد وقهر المخدومين في الطرف الأخر بحجه أنهم لايملكون أوراق تثبت هويتهم
- ظلوا يقدموا خدمات كبيره وشاقه دون راتب وأحيانا أذا طالبت بحقك بشدة سوف تقتل وتحضرني قصه احد أبناءنا والذي عمل راعيا للأغنام ورعى عام دون مرتب بل كان يأكل ويشرب ويأخذ بعض النثريات على أن يأخذ كل مستحقاته عندما يقرر العودة النهائية ٠ولكنه حرم من المرتب وتم تعويضه بعدد ٢ماعز ٠ووضع الكمين بالاتي أذا

قبل بهذا العرض يأخذ الغنم ويلحق ويتم قتله باعتبار انه حرامي سرق هذه الأغنام ولكن صديقي كان واعيا ورفض الغنم أعاد بيعها لصاحبها أو لأخر وبنصف قيمتها وبهذا التصرف نجا من الموت وكثير من أبناء بلادنا ماتوا بهذه الطريقة أو غيرها٠٠

- تم تجنيد أعداد كبيره من أبناء بلادي البسطاء الذين نجو من الموت في الصحراء ووجدوا أنفسهم مجبرين في معسكرات جيش الخلاص وكانوا أوفياء وصاروا وفودا لمعركة إقليم اوزد التي خاضتها تلك الدولة التي تقع بدايتها في الساحل وجل مساحتها في الصحراء وأصبحوا محاربين قصرا دون خيار ولم تكن أمنيتهم الموت بالوكالة في حروب ليس لهم فيها مصلحه ألا من كتبت له الحياة بعدها

- أما الذين نجوا من الموت في الصحراء والموت في الحرب ولم تتلقفهم افواة الحيتان في البحر الأبيض المتوسط دخلوا السجون وما زالوا بها بسبب التميز العنصري المثير للقلق والاستفزاز ٠وابناء بلادي دماءهم حارة لايرضون الذل والهولن٠٠والذى يفلت من الموت منهم يكون مقره السجون٠

سال احدهم موجها السؤال لأحد ابناءنا٠٠

من اسمك؟!

قال:

أنا عبيد عثمان٠٠

قال له

اى نعرفك (عبيد لكن شن بسموك٠٠

لاتعليق٠٠

المحتويات

• سلسلة جبال كوسو • العوينات	
المحور(ج) • الصياح – مزبد • مزبد – الوخايم • الوخايم – القرقف • القرقف – وادي هور • وادي هور – السبعانى – شجرة الليبيين • شجرة الليبيين – سكر شتت • سكر شتت – واحة السلفي	٨٧
المحور(د) الطريق عبر الضاحية • كتم – الوخايم • وادي هور • كلبس – الطينة • الطينة – العوينات	٩٩
المحور(هـ) أم درمان – دنقلا – العوينات • أم درمان – قوز أبو ضلوع • قوز أبو ضلوع – التمتام • التمتام – قهوة أم الحسن • قهوة أم الحسن – القبولاب • القبولاب – الدبة	١٠٩